جمهورية العراق
وزارة الثقافة والسياحة والآثار
Ministry of Culture, Tourism and Antiquities - IRAQ

قصص

أُسطورة الخَلْق

قصص وأساطير عالمية

اختيار وترجمة
ماجد الحيدر





دار المأمون
للترجمة والنشر

جمهورية العراق
وزارة الثقافة والسياحة والآثار
دار المأمون للترجمة والنشر



أُسطورة الخَلْق

قصص وأساطير عالميّة



أُسطورة الخَلْق

قصص وأساطير عالميّة

اختيار وترجمة
ماجد الحيدر

عنوان الكتاب: أُسطورة الخَلْق/ قصص وأساطير عالميّة

اختيار وترجمة:ماجد الحيدر

المراجع اللغوي: أسمهان سهل كاظم

التصميم: عماد سعيد

الرقم الدولي(ISBN): 978-9922-638-43-0

الناشر: دار المأمون للترجمة والنشر / وزارة الثقافة والسياحة والآثار

الطبعة الأولى: 2022

العراق - بغداد - شارع حيفا

مبنى وزارة الثقافة والسياحة والآثار

دار المأمون للترجمة والنشر

http://dar-mamoon.mocul.gov.iq
mamoon@dar-mamoon.mocal.gov.iq

المحتويات

كلمة الناشر

الأسطورة، بوصفها أحد الأجناس الرئيسة للأدب القصصي الشعبي تمثل أقدم محاولة بشرية لفهم العالم وإضفاء قدر من المعقولية عليه. لقد مثلت النماذج الأولى (التي سبقت الدين والفلسفة والعلم) للإجابة عن التساؤلات الكبرى التي لم تزل أصداؤها تتردد في أذهاننا: من نحن؟ كيف جئنا؟ ما الوجود؟ كيف خلق هذا الكون؟ ما العناصر الخارقة التي تتحكم فيه؟ وغيرها الكثير.

بسبب الطبيعة الخالدة الكبرى لهذه الأسئلة يندر أن نجد شعبًا أو أمة، غابرة أو معاصرة، إلا وقد خلقت لنفسها منظومة من الأساطير التي تطمح للإجابة عنها، منظومة تتأثر بالظروف البيئية والمناخية والجغرافية والسايكولوجية الجمعية لتلك الأمم. ومن هنا نجد أن أساطير الخلق لدى بعض الأمم عنيفة دموية عاصفة مثل صيحات حروب وغزوات وعويل كوارث بيئية هوجاء بينما نجدها، عند أمم أخرى، مسالمة هادئة مثل جداول من ماء رقراق ينساب وسط الخضرة.

في هذا الكتاب تقدّم دار المأمون لقرّائها باقة منتقاة من الأساطير والحكايات الشعبية التي تجمع بين المتعة والتأمل.

مقدمة
في الأدب القصصي الشعبي

مفاهيم أولية، مدخل تاريخي

مع أن هدف هذه المقدمة ليس البحث المستفيض في الأدب القصصي الشعبي أو تاريخه، لكننا نرى ضرورة تقديم تعريف موجز بالمصطلح ليكون مدخلًا مناسبًا للولوج إلى عالم هذا الأدب.

الأدب القصصي الشعبي (narrative folk literature)[1] مصطلح عام يستخدم في الإشارة إلى الأنواع المختلفة من النثر القصصي التي تتضمنها التقاليد المحكية للشعوب.

والأدب القصصي الشعبي بصفته أحد الأشكال المتعددة للفلكلور، التي تتناقلها الشعوب وتأخذ حيزا من ذاكرتها الجماعية، يكون عرضة للتحول والتبدل مع الزمن وتكرار الرواية. وحيث إنه يكتسب صفاته المميزة من أنماطه و»موتيفاته» الأساسية ودوافعه السردية وليس من شكله اللفظي فإنه قادر على الانتشار والانتقال وتخطي الحواجز اللغوية. كما إن بعض الحكايات الشعبية يمكن أن تقتحم أسوار الثقافة المكتوبة (الرسمية) دخولًا وخروجًا، لتتحول الحكاية أو النادرة والمأثرة المدونة في كتب التاريخ أو الأدب إلى حكاية شعبية يجري تداولها شفهيًا وتدخل عليها عشرات التعديلات حتى ليغدو من الصعوبة بمكان تحديد مصدرها الأصلي والعكس صحيح.

والحكاية الشعبية «ثمرة تفكير إنساني، وعقل البشر هو مبدعها وهي ليست عمل فرد بذاته بل هي نتاج جماعي شارك فيه الكثيرون، وبقاؤها وخلودها يؤكدان سلامتها وروعتها»[2] والطابع الجماعي الذي أشرنا إليه لا ينفي أن كثيراً من الأعمال التي لها مؤلفون معروفون بلغت درجة من قوة الخيال والإبداع ومخاطبة الضمير الجماعي مما جعلها تتداخل مع الحكايات الشعبية والأساطير لتشكل إضافات رائعة للتراث الشعبي المحلي والإنساني. فشخصيات مثل دون كيشوت وميكي

ماوس وشيرلوك هولمز وأشعب وشيبوب والملا نصر الدين.. وغيرها، قد تكون شخصيات تاريخية حقيقية أو من صنع أقلام معروفة غير أنها أضحت جزءًا من الذاكرة الجماعية التي أشرنا إليها.

إن العلاقة بين أدب الأطفال والموروث الشعبي عموما والأدب القصصي الشعبي على وجه الخصوص علاقة مؤكدة جلية من النواحي التاريخية والنفسية. ومع اتفاقنا على أن الأدب القصصي الشعبي بمفهومه الواسع ليس في الأصل قصصًا موجهة للأطفال، وأنه في واقع الأمر أعمال تحمل في ثناياها حكمة البشرية وصوراً لمعتقداتها وآمالها ومخاوفها وتاريخها، إلا أن ذلك لا ينفي أن الأطفال على مر العصور قد شاركوا الكبار في (ملكيته) و(صنعه) و(استخدامه). وإذا كان جمع الموروث الشعبي وإخضاعه للتحليل الاجتماعي والاقتصادي والنفسي ودراسة أسباب احتضانه والحفاظ عليه عبر الأجيال المتعاقبة يقع في صلب اختصاص علماء الفلكلور والأنثروبولوجيا فإن كاتب قصص الأطفال يبحث في ثنيات هذا الموروث عن جوانب أخرى ملائمة لاختصاصه من حيث القيم التي يحملها ومقدار ما تتمتع به من خيال وجمال ومتعة.

والربط بين الأدب القصصي الشعبي والأطفال لم يكن وليد عصر معين؛ فإذا تجاوزنا التاريخ القديم وتاريخ العصور الوسطى وما حفلت به مناهج التعليم الديني والرسمي وبطون الكتب من صور بدائية لما سمي لاحقا بأدب الأطفال وانتقلنا فورا إلى بدايات ظهور أدب الأطفال كشكل أدبي مستقل، وهي البدايات التي تعود (في أوربا) إلى عصر النهضة، سنجد أن للموروث الشعبي حصة الأسد في كل ما بدأت المطابع الأولى بإخراجه على استحياء من أدب للأطفال. وقد تزامن ذلك كما قلنا مع بزوغ عصر النهضة وانتشار التعليم واختراع الطباعة في القرن الخامس عشر وما رافق ذلك من ظهور الثقافات القومية (vernacular literatures) وعودة الشعوب إلى تاريخها الوطني والمحلي الذي أضحى مادة خصبة وطازجة للقراء الصغار، فبدأ أدب الأطفال يغادر بالتدريج إطار القصص التوراتية والكلاسيكيات الإغريقية والرومانية ووعظ الفلاسفة المدرسيين ليعود إلى المنهل الثّر الذي يشكله الأدب الشعبي والفلكلور ويعبّ منه ما شاء من صور وحكايات وأغانٍ وترانيم وخرافات خلبت ألباب الصغار والكبار. ولعل من أبلغ الأمثلة على ذلك أن أول طبّاع إنكليزي وهو وليم كاكستون (William Caxton) قد ضمّن مطبوعاته كتابًا للأطفال يعتمد الأدب الشعبي وهو (موت الملك آرثر-1469) للمؤلف والمترجم الإنكليزي السير توماس مالوري (Sir Thomas Malory). كما أن أول كتب الأطفال ذات الشأن في فرنسا كان كتاب شارل بيرو (Charles Perrault) الشهير (قصص وحكايات من الأزمان الغابرة-1697) وهو مجموعة

من حكايات الجن التقليدية وتتضمن قصص الحسناء النائمة وسندريلا والقبعة الحمراء واللحية الزرقاء. وقد تلقى هذا الاتجاه دفعة قوية أثناء وبعد القرن الثامن عشر (عصر التنوير) وكان لذلك أسباب منها:

- تزايد حركة الاستكشاف والاستعمار وما رافقها من تعرف على ثقافات شعبية وقبلية من آسيا وأفريقيا والعالم الجديد؛ فانتقلت آلاف مؤلفة من حكايات الشعوب المقهورة إلى أيدي الباحثين الأنثروبولوجيين وعلماء اللغة والفلكلوريين لتشكل مادة خامًا رئيسة للأدب الأوربي عمومًا وأدب الأطفال بالتحديد.

- ظهور الحركة الرومانسية وما نشرته من دعوة إلى البساطة والاندماج مع الروح الشعبية والاهتمام بالفلكلور. وقد قام كبار فلاسفة وأدباء العصر بدور مهم في تطور وتحرر قصص الأطفال من المباشرة والإملائية والوعظية، وكان للمفكر الفرنسي جان جاك روسو أثر بيّن في هذا التطور لاسيما في روايته الشهيرة (Émile-1762)

- نشاط حركة ترجمة الآثار الأدبية الخالدة لشعوب الشرق وما أحدثته من أثر عميق على تاريخ الأدب العالمي، فبدأ الناس في أوربا يقرؤون بشغف حكايات ألف ليلة وليلة وبيدبا الملك وكليلة ودمنة وغيرها، وقد أحدثت الأولى ما يكاد يشبه الثورة في الذوق والمزاج الأدبيين في أوربا منذ أن بدأت ترجماتها المتعددة إلى الفرنسية على يد جالان(Antoine Gal-land) بين عامي 1704 و1717 ، والى الإنكليزية علي يدي وليم لَين (Edward William Lane) في أربعينيات القرن التاسع عشر وبيرتن (Richard Francis Burton) في ثمانينيات القرن نفسه.

- تزايد حركة جمع الموروث القصصي الشعبي التي رافقت اكتساب علوم الأنثروبولوجيا والفلكلور صبغتها العلمية ومكانتها المعترف بها ضمن العلوم الاجتماعية والإنسانية، فتوزعت مجاميع من المختصين الذين انصبت جهودهم على جمع ودراسة وتحليل الموروث الشعبي في أرجاء البلاد لاسيما في المناطق الريفية وغير الصناعية (حيث المواطن المهمة لجمع واصطياد المادة الفلكلورية) ليجمعوا الكثير مما أخذ يتعرض إلى خطر الضياع نتيجة الثورة الصناعية وما أحدثته من تحولات عميقة؛ فقدم الأخوان جاكوب لودفيك وفلهلم غريم (Jacob Ludwig Karl Grimm & Wilhelm Karl Grimm) إسهاما ملحوظا بجمعهما وتقديمهما لمجموعة رائعة من الأدب القصصي الشعبي نشرت بين عامي 1812 و1815

وترجمت إلى أغلب لغات العالم وتضمنت قصصًا أصبحت جزءًا من كلاسيكيات أدب الأطفال مثل (هنسل وغريتل) و(بيضاء الثلج والأقزام السبعة) و(الخياط الشجاع). وقد لاحظ الأخوان غريم التشابه العظيم في الأفكار الرئيسة والشخصيات ما بين الحكايات الشعبية الألمانية ونظيراتها الأوربية كما افترضا وجود أصل هندو-أوربي مشترك لها. ثم اكتشف الفولكلوريون وعلماء الأنثروبولوجيا لاحقًا أن هذا التشابه لا يقتصر على أوربا بل يتعداها ليشمل أوجه التشابه الكثيرة بين الثقافات القديمة والموروث الشعبي لمناطق عديدة من العالم مما أسهم في تطوير العديد من النظريات الخاصة بأصول الموروث الشعبي وأنماط انتشاره وانتقاله. وقد أسهم الجدل الذي ثار حول أصول الأساطير والحكايات الشعبية في إثارة المزيد من الاهتمام بأشكال الفلكلور من قبل الكتّاب والمؤلفين وساعد على ذلك أيضا الشعبية الهائلة التي حظي بها كتاب الغصن الذهبي The Golden Bough) -1890) وهو كتاب من (12) جزءًا جمع فيها الأنثروبولوجي الإنكليزي السير جيمس فريزر (Sir James Frazer) خلاصة للقصص القديمة.

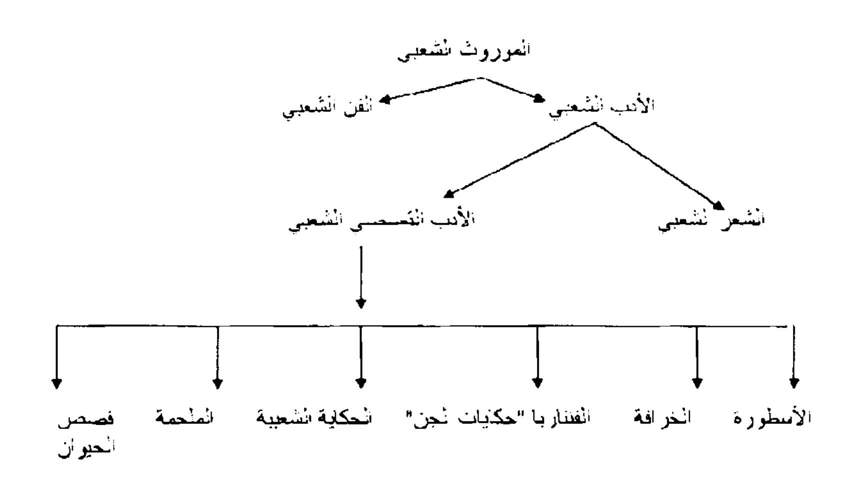
لقد شهد القرن التاسع عشر ظهور واحد من أعظم كتّاب قصص الأطفال في التاريخ وهو الدانمركي هانز كريستيان أندرسن (Hans Christian Andersen) الذي نشرت حكاياته المعدة عن القصص الفلكلورية في الفترة 1835-1872 ومن أشهرها (ثامبلينا) و(البلبل) و(الحذاء الأحمر) و(البطة القبيحة). كما أعاد الروائي الأمريكي ناثانيال هوثورن (Nathaniel Haw-thorne) سرد الأساطير الإغريقية الكلاسيكية في (كتاب العجائب للبنات والأولاد-1852)[3] و«حكايات تنغلوود للبنات والأولاد» (1853) . وفي إنكلترا ومع نهاية القرن التاسع عشر كتب أندرو لانغ (Andrew Lang) مجموعة من أشهر "حكايات الجن" الأوربية في سلسلة من الكتب بدأت عام 1889 بكتاب الجن الأزرق (Blue Fairy Book). ولقد كشف رد الفعل الحماسي الذي ظل الأطفال يبدونه تجاه الأساطير وحكايات الجن والخرافات والحكايات الشعبية عن الخيال الواسع الذي تتمتع به تلك الحكايات وقدرتها المدهشة على مزج الحقيقة بالفنتازيا الأمر الذي يلتقي على الدوام مع الجنوح الفطري لدى الأطفال إلى خلق عوالمهم الخيالية الخاصة بهم بعيدًا عن عوالم الكبار وتحديداتهم وقد حظيت مسألة هذه العلاقة بالكثير من البحث الذي قدمت من خلاله العديد من المحاولات التفسيرية المعتمدة على وجهات النظر الفلسفية والنفسية والاجتماعية وحتى البيولوجية. وعموما فقد واصل أدب الأطفال الغربي هذا الاهتمام بالموروث الشعبي المحلي والخارجي إلى عصرنا الراهن مستفيدا من الإمكانيات الهائلة وغير المحدودة لهذا الموروث وتوسع

ذلك ليشمل سينما الأطفال وموسيقاهم وحتى برامج الحاسبات والألعاب الإلكترونية الحديثة. ومن الظواهر اللافتة الاستفادة المتزايدة من الموروث الشعبي لدول العالم الثالث والصين واليابان وسكان أمريكا الأصليين (الهنود الحمر).

الأنواع الأساسية للأدب القصصي الشعبي

لقد ظلت قضية تحديد تقسيم واضح وقاطع لأنواع الأدب القصصي الشعبي وتقديم تعريف وافٍ ونهائي لكل نوع من هذه الأنواع من الأمور التي دار حولها الكثير من الجدل والخلاف بين الباحثين وذلك بسبب عدم الوضوح والتداخل الحاصلين بين العديد من المصطلحات والمفاهيم الأساسية. ويبدو الأمر بيّنًا من النظر في التعريف الذي أوردناه قبل قليل للأدب القصصي الشعبي: فهو «مصطلح عام»، «يطلق على أنواع مختلفة» وهو، أي الأدب القصصي الشعبي «عرضة للتحول والتبدل مع الزمن وتكرار الرواية» غير إننا سنحاول هنا التوصل إلى بعض القواسم المشتركة التي قد تفيدنا في هذا المجال. وفي محاولة متواضعة منا لفك بعض من هذا التداخل استخدمنا مصطلح «الأدب القصصي الشعبي» (narrative folk literature) كمصطلح شامل للإشارة إلى ذلك الأدب النثري المتوارث (المحكي والمكتوب) الذي يضم الأسطورة والخرافة والحكاية الشعبية والملحمة الشعبية والقصص الشعبي الفكاهي وغير ذلك. أما مصطلح الحكاية الشعبية (folk-tale) الذي كثيراً ما يستخدم كمصطلح شامل يضم تلك الأنواع فقد آثرنا استخدامه للإشارة إلى نوع فرعي محدد من الأدب القصصي الشعبي وهو النوع (رابعا) كما سيرد لاحقًا.

وعليه يمكن رسم المخطط التقريبي الآتي:



تجدر الاشارة إلى أن الفن الشعبي يمثل هو الآخر عالماً واسعا ومتشعبا يضم الرقص والرسم وألعاب الأطفال وأغنياتهم وعروض الدمى والمشاهد التمثيلية الهزلية وعروض الطقوس الدينية والأغنية الشعبية وترانيم الامهات ومراثي النساء في مجالس العزاء إلى آخر ذلك.

والأنواع الأساسية للأدب القصصي الشعبي (مع أخذ مسألة التداخل في الحسبان) هي:

أولاً: الأسطورة:

كلمة (myth) وتعني الأسطورة مشتقة من الكلمة الإغريقية (mythos) ومن جملة معانيها: «كلمة» و «حكاية» و «خيال».

يخلط الكثير من الباحثين بين مصطلحي الأسطورة (myth) والخرافة (legend) وهو الأمر الذي لا يقتصر على تداخل المفهومين وصعوبة وضع خطوط فاصلة بينهما بل يتعداه إلى ترجمة المصطلحين نفسيهما إذ نجد قاموس المورد على سبيل المثال يترجم كلمة (legend) كالآتي:

"أ" أسطورة، خرافة "ب" أساطير، خرافات ...وغيرها.

ثم يعود ليترجم كلمة (Myth) كالآتي:

(1) أسطورة، خرافة (2) شخص أو شيء خرافي (3) الأساطير والخرافات جملة [4]

فإذا انتقلنا إلى الموسوعات العالمية الكبرى العامة والمتخصصة سنجد أن هناك نوعًا من التفريق الحاصل بين المصطلحين، بيد أن أيًا منها لا يغفل أن يستدرك هذا التفريق بالإشارة إلى التداخل الشديد الحاصل بين أحدهما والآخر بل بين كل منهما والأنماط الأخرى من الحكاية الشعبية[5]. كما إن الخلاف قد امتد بين الباحثين حتى عد بعضهم الأسطورة نوعًا من أنواع الحكاية الشعبية فيما ذهب آخرون إلى أن الحكاية الشعبية نوع من أنواع الأسطورة.

وفي خضم هذا الارتباك نادى فريق ثالث بعدم جدوى أو ضرورة مثل هذه التقسيمات ودعا إلى استخدام مصطلح عام هو الحكاية التقليدية!

وهكذا فإن التعريف الأكثر قبولا للأسطورة هو بإيجاز شديد:

الأسطورة: حكاية (دينية عادةً) تروي أحداثًا وقعت في زمن موغل في القدم (غالبًا ما يكون في بدء الخليقة)، وهي تشرح الظواهر الكونية والخارقة أو بعض المعتقدات أو التقاليد أو خلق الكون أو الإنسان أو ظهور المؤسسات الاجتماعية وتفسر أسباب نشأتها وهي تتخذ أبطالها -الذين

يصبحون أبطال الحضارات المعنية- عادة من الآلهة أو أنصاف الآلهة الذين يتخذون شكل البشر، وتروي مغامراتهم وصراعاتهم وأفعالهم الكبرى.[6]

والأساطير على أنواع نذكر منها:

- الأساطير الكونية **cosmic myths**: وهي المتعلقة بالظواهر الرئيسة للكون وتنظيمه وخلقه وخلق الإنسان مثل الأسطورة البابلية المسماة "إينامو إيليش" (حينما في العُلا) التي تعود إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد.
- أساطير الآلهة **Myths of the Gods**: وهي الأساطير التي ليس لها علاقة مباشرة بالإنسان بل تركز على أفعال الآلهة وصراعاتها و «شؤونها العائلية»!
- أساطير الأبطال **Myths of Heroes**: وتروي مغامرات الأبطال الأسطوريين الذين هم في الغالب أنصاف آلهة أو مولودون بطرق خارقة ومكلفون بأعمال بطولية مثل هرقل وأوديسيوس الإغريقيين وريموس ورومولوس الرومانيين وكلكامش السومري.
- الأساطير التعليلية أو التفسيرية **Etiological myths**: ويعدها بعض الباحثين ضربًا من الأساطير الكونية وهي تمثل محاولات الإنسان الأولى لاصطناع أسلوب منطقي لتفسير ظواهر معينة تتعلق بالإنسان أو الآلهة أو الطبيعة في العصور التي سبقت ظهور الأساليب العلمية، مثل وجود جبل ما أو حدوث بركان أو اتخاذ آلهة ما شكلًا معينًا.
- أساطير ما بعد الموت **Eschatological myths**: وهي وثيقة الصلة بالأديان والطقوس الدينية وتروي وقائع الحياة الأخرى وتفاصيل الانتقال إلى العالم السفلي والثواب والعقاب ...وغيرها.

وتضيف بعض المصادر إلى ذلك:

- الأساطير الحضارية: وهي التي تكشف عن صراع الإنسان مع ظروف الحياة خلال انتقاله من المرحلة الطبيعية إلى المرحلة الحضارية أي كفاح الإنسان لبناء الحضارة ومستلزماتها.
- الأساطير الرمزية: وقد جاءت في مرحلة متقدمة من الفكر الإنساني حين أصبحت الأسطورة وسيلة للإبداع الفني والشعري لتعبر عن قلق الإنسان وثورته على تسلط الآلهة التقليدية وثقته بنفسه واعتداده بقدراته وغير ذلك من أغراض الإبداع الفني.

لقد تناول الباحثون الأسطورة بالدرس والتحليل منذ زمن الإغريق وسلكوا في العصر الحديث مناهج مختلفة وانقسموا في تعليل نشأتها إلى العديد من المدارس منها المدرسة التاريخية والمدرسة العلمية (التأملية) والمدرسة التطويرية والمدرسة الوظيفية والمدرسة النفسية والمدرسة الحضارية. غير أن من المهم بمكان هو علاقة أدب الأطفال بالأسطورة بوصفها أحد أقدم وأهم الأنماط الأساسية للحكاية الشعبية: ومن الآراء المبكرة في هذا الصدد الرأي القائل إن الأساطير تمثل طفولة العقل البشري وهي بذلك تناسب عقلية الطفل الجانحة إلى الخيال والفنتازيا وأنها «يمكن أن تصبح من أمتع ما يقرأ الأطفال لو أنها صيغت صياغة جديدة» وهي تثير خيال الطفل وتقدم له التسلية لاسيما في عصرنا الحاضر(7). غير أن هناك من الباحثين من يرفض أن تذكر الأساطير للأطفال بحجة أنها معقدة تسبب لهم الإرباك والحيرة إضافة إلى كثرة رموزها مما يجعلها صعبة على الفهم(8) ونحن نذهب إلى أن الأساطير ما زالت، مع إيغالها في القدم، تقدم كنوزًا من التأملات والإشارات الرمزية والقيم النفسية والاجتماعية مما يجعلها مناسبة للصغار والكبار على السواء شريطة إعدادها إعدادًا مناسبًا.

ثانياً: الخرافة Legend

الخرافة في أصلها هي التاريخ الشعبي، أو سرد خيالي شعبي يحمل معنى رمزيًا. وهي -حتى حين تتعامل مع مواضيع دينية- تختلف عن الأسطورة في كونها تتحدث عما حدث في العالم بعد انتهاء مرحلة الخلق. وهي تختلف أيضًا عن التاريخ الرسمي في طريقة التقديم، والهدف الذي ترمي إليه، والجوانب التي تركز عليها. غير أن الخرافة تشترك مع الأسطورة في أنها جزء من معتقدات الشعوب بمعنى أن كلا من الراوي والمستمع يؤمن -بدرجات متفاوتة- بصحتها، أي أنها تمتلك درجة من المصداقية والسلطة المعنوية والاحترام أو القداسة، وفي هذا فرق مهم بين كل من الأسطورة والخرافة من جهة وبين الأنواع الأخرى من الأدب القصصي الشعبي من جهة أخرى(9)

والخرافة (أدبيًا) حكاية نثرية أو شعرية قصيرة في العادة تبرز أحداثًا وشَخصيّات وَهْمية تتراءى من خلالها أحْداث وشخصيات واقعيّة بحيث أنّ الذّهن يتتبّع عند قِراءتها أو سماعها المعنى الظّاهر والمعنى الباطن في الوَقْت نفسه. وهي -كشأن بقية أنواع الأدب القصصي الشعبي- تميل إلى النمطية في رسم الأحداث والشخصيات وتتناول مواضيع مختلفة كالأشباح والكائنات الخرافية (وحوادث الالتقاء بها) ومغامرات الشخصيات التاريخية والأبطال أو تفسير سمات جغرافية معينة أو أسماء

بعض الأماكن (وهذه تدعى الخرافات المحلية). وعلى الرغم من اختلاف الناس من مجتمع إلى آخر في درجة تصديقهم للحكاية الخرافية فإن هناك تشابهًا ملحوظًا في أنماطها وفي الشخصيات الخارقة التي تقدمها؛ فالتنين على سبيل المثال (وهو كائن هائل الحجم يجمع صفات الثعبان والتمساح وقد يكون مجنحًا وغالبًا ما ينفث النار من فمه) ذو أهمية كبيرة في الحكايات الأوربية والصينية على حد سواء وكثيرًا ما يؤدي فيها دور الحارس للكنوز العظيمة أو القوة الخارجية التي تهدد سكان مدينة ما بالدمار وتتلقى منهم إتاوات منتظمة. وهناك المارد العملاق الذي يظهر في حكايات ألف ليلة وليلة ونجد صداه في الكثير من حكايات الشرق والغرب والذي يكون غالبًا حبيسا في قمقم أو مصباح نتيجة للعنة سحرية. وهناك الطير العملاق الذي يحمل البشر بين مخالبه وهناك العنقاء التي تبعث من رمادها والحصان الطائر والحوريات والسعلاة والأشباح والجثث التي تخرج من قبورها والكائنات نصف البشرية ونصف الحيوانية. وقد ترجع أصول الكثير من هذه المخلوقات إلى أساطير أو معتقدات دينية موغلة في القدم الأمر الذي يعيد إلى الأذهان مسألة التشابك والتداخل بين أشكال الحكاية الشعبية. ولم يكف البشر عن ابتداع الخرافات إلى الآن فكثيرًا ما تقدم وسائل الإعلام الجماهيرية قصصا تعدها واقعية ولكنها تتميز بكل الدوافع والأنماط التي تميز الخرافات وتعكس اهتمام البشر الأزلي بقضايا الحياة والموت والجنس والخير والشر ..وغيرها، ولعل بعض من الأمثلة الحديثة على ذلك تحول العديد من الشخصيات العامة إلى شخصيات خرافية بسبب الصفات النمطية التي أضفيت عليها وعلى حبكة القصص التي تروى عنها مما جعلها رموزًا خرافية أكثر منها شخصيات حقيقية في تاريخ موضوعي كما حصل بالنسبة إلى الممثلة الأمريكية مارلين مونرو أو الأميرة ديانا إذ تحولت الأولى إلى رمز خرافي للجمال الأنثوي والثانية للحب الثائر على التقاليد.

ويقترن مفهوم الخرافة أحيانا مع مفهوم المعتقدات الخرافية الموروثة(tradition) غير أن الأخيرة تمتلك في العادة مقدارًا أكبر من الأيمان والموثوقية والتصديق بين أفراد المجتمعات التي تنشأ فيها.

إن ما قيل عن العلاقة بين الأسطورة وأدب الأطفال يصح إلى حد كبير على الحكاية الخرافية بل إنها في رأينا تمنح فرصًا أكبر للاستفادة منها في أدب الأطفال وذلك لبساطتها النسبية من ناحية الحبكة والرمزية وصفات أبطالها وابتعادها عن المعتقدات الدينية البائدة وقدراتها الإمتاعية الكبيرة.

ثالثاً: الفنتازيا الشعبية أو حكايات الجن Fairy tales

وهي قصص خيالية تدور أحداثها عادة في مكان يدعى أرض العجائب Wonderland مليء بالسحر والشخصيات الغريبة. وهذه الحكايات تختلف عن الأسطورة والخرافة بأنها متوجهة للصغار أساسًا بقصد التسلية أو زرع قيم معينة (مع أن الصغار والكبار كانوا يستمتعون بها في الأصل). أي أن كلا من الراوي والمستمع يعلم أنها من وحي الخيال. ومع أن هذا النوع يعج بالخوارق والكائنات الخارقة والغريبة فإن قليلًا منها (أي الكائنات) لها علاقة فعلية بالجن، وهذا ما حدا بالباحثين عند الإشارة إليها إلى تفضيل الكلمة الألمانية (märchen) على المصطلح الإنكليزي (fairy tale). وأرى أن المصطلح العربي "حكايات الجن" هو الآخر غير مناسب ولعل الأيام تكشف لنا عن ترجمة دقيقة لهذا المصطلح تحمل معانيه الدلالية لا الحرفية. وهنا أستطيع الزعم بكل تواضع أن مصطلح الحكاية الفنتازية الشعبية أو الفنتازيا الشعبية الذي يرد في هذه المقدمة هو أحد البدائل المناسبة لمصطلح حكايات الجن.

لقد جمعت غالبية الفنتازيات الشعبية الأوربية من وسط وشرقي أوربا خلال القرن التاسع عشر. ومع أن هذه الحكايات تتناول مدى واسعًا من المواضيع -كما في قصص سندريلا وبيضاء الثلج وذات القبعة- فإن الحبكة الأنموذجية فيها تتضمن بطلاً (أو بطلة) مستضعفًا يوضع في سلسلة من الاختبارات أو يرغم على تنفيذ عدد من المهام شبه المستحيلة بمساعدة بعض القوى السحرية أو الغيبية للوصول إلى حق ولادي أو ثروة كبيرة أو زواج مناسب. لقد دخلت هذه القصص إلى أدب الأطفال الحديث في الوطن العربي عن طريق الترجمة من اللغات الأوربية وتمازجت مع ما وصلنا من حكايات شعبية محلية لها صفات كثيرة مشتركة حتى غدا من الصعب الفصل بينها(10).

رابعا: الحكاية الشعبية (أو الفلكلورية) folktale

هناك كما قلنا الكثير من الخلاف حول التحديد الدقيق لهذا النوع من الأدب القصصي الشعبي ولكننا نستعمل هذا المصطلح هنا للحكايات التي تختار شخوصها من الناس الاعتياديين ولا وجود فيها لكائنات خارقة أو أحداث غير قابلة للتصديق أي أنها قصص يقل فيها عنصر الفنتازيا. وقد تشترك هذه الحكايات أحيانا مع الفنتازيات الشعبية أو الخرافات في بعض من أنماطها وقيمها ودوافعها ومضمونها الخيالي، إلا أنها لا تدور في أرض العجائب أو دنيا الأحلام بل تحدث في عالم واقعي ليست فيه شخصيات خارقة أو أحداث سحرية (على الرغم من ورود المصادفات الغريبة). وكثير من هذه الحكايات تشتق مادتها من وقائع تاريخية أو حادثة طريفة أو مثل شعبي لتبني من

خلالها قصة بسيطة بقصد التسلية أو الموعظة أو إبلاغ رسالة اجتماعية أو سياسية معينة، أي إنها باختصار أشبه بالقصة القصيرة غير أنها في الغالب مجهولة المؤلف ومتوارثة شفويًا وقد تكون أحيانا منقولة عن طريق الكتاب ومعلومة المؤلف غير أنها أصبحت جزءًا من التراث الشعبي بمرور الزمن. وكثير من قصص الأمثال والمقامات وحكايات الشطّار والعيارين وقصص الحب أو القصص الواردة في الكتب التراثية أو الطرائف أو الأكاذيب التي تروى بقصد الإضحاك يقع ضمن هذه المجموعة.

خامسا: الملاحم الشعبية Folk Epics

الملحمة (epic) في التحديد الشائع، قصة شعرية طويلة تدور حوادثها حول معارك ضخمة، وبطولات خارقة. ومع أن أغلب الملاحم تتناول بطولات فرد أو مجموعة قليلة من الأفراد (مما يحافظ على تماسك ووحدة العمل الفني) إلا أنها تعكس طبيعة ومثل وصراعات الشعب بأكمله في مراحل حساسة ومصيرية من تاريخه وتعكس إحساسه بوجوده الإنساني والقومي. والملحمة عادة ذات أسلوب نمطي يتضمن ظهور الآلهة والقوى الخارقة إلى مسرح الأحداث، والنزاع الذي يتخذ شكل الحرب أو الصراع الجسدي، وفقرات تقليدية مثل الابتهال إلى آلهة الفن أو شيطان الشعر، ورواية المتن الأساسي ولوائح مطولة من الأبطال وحوارات شعرية مسترسلة ذات لغة عالية. وقد تظهر على خلفية الأحداث صور وإشارات للحياة اليومية. وقد فرق الإغريق بين الشعر الوجداني والشعر الملحمي، فالأول (الذي يعبر عن مزيد من العواطف الذاتية) هو ما يغنى أما الثاني فهو ما يتلى تلاوة.

وتقسم الملاحم إلى:

أ- ملاحم شعبية folk epic: ويعتقد أنها تطورت من الشعر القبلي المتناقل شفهيا الذي كان ينظمه الشعراء الجوالون أو غيرهم ثم جرى جمعه وتدوينه في زمن لاحق على يد شعراء وكتاب مجهولين. والمادة القصصية في الملاحم الشعبية غالباً ما تكون قديمة، وقد تظل هذه المادة متناثرة في قصائد ملحمية متفرقة إلى أن يتم جمعها لاحقاً في عمل ملحمي مطول، وربما لا يتاح لها أن تجمع فتصل إلينا متفرقة. ومن أمثلة الملاحم الشعبية القديمة التي تحتوي على عناصر أسطورية ملحمة كلكامش السومرية و «المهابهاراتا» الهندية.

ب- الملاحم الأدبية literary epics: وهي من إبداع مؤلف معروف يتعمد استخدام هذا الشكل العريق (بالاعتماد على ملحمة أو ملاحم شعبية سابقة في كثير من الاحيان) وهي، شأنها

شأن الملاحم الشعبية، تتناول تقاليد الأمة أو أساطيرها أو تاريخها. ومن أمثلتها «الأوديسة» و«الإلياذة» لهوميروس (في رأي البعض) والإنياذة التي كتبها الشاعر الروماني فيرجيل في القرن الأول قبل الميلاد و(المقدمة-1850) للشاعر الإنكليزي وردزورث. وقد يقوم أحد الشعراء باقتباس قصة فلكلورية أو ملحمية ونظمها في عمل شعري ملحمي فيكون العمل خليطًا من الملحمة الشعبية والملحمة الأدبية، كما فعل الشاعر الكردي أحمدي خاني (1650-1707) في كتابته لملحمة ممُ وزين.

جـ- **الملحمة الساخرة mock epic**: وهي ملحمة مشتقة من الملحمة «الجادة» لكنها تتخذ من هجاء الأفكار أو الظروف المعاصرة مادة لها بأسلوب تهكمي يحاكي الملحمة التقليدية على نحو ساخر. ومن أمثلتها (اغتصاب خصلة الشعر-1712) للشاعر الإنكليزي الكسندر بوب.

د- **السيرة الشعبية**: السيرة (biography) تعني بشكل عام ترجمة حياة إنسان أو أكثر. وقد تكون السيرة ذاتية (autobiography) عندما يقوم صاحبها بكتابة ترجمة حياته أو يكتبها مؤرخ أو ناقد أو أديب. أما السيرة الشعبية فهي لون خاص من الأدب الشعبي تكاد تنفرد به الآداب الشرقية وبخاصة العربية[11] وتحكي قصة طويلة في العادة وتغطي مرحلة زمنية طويلة[12] تستعرض خلالها مآثر وبطولات فرد بعينه أو قبيلة بأكملها في خضم الصراع من أجل توكيد الذات وتخطي الصعاب ودحر الخصوم وهي تعتمد النثر بشكل أساسي وقد يتخللها الشعر. وقد وصلت إلينا الكثير من السير الشعبية العربية المتكاملة من أشهرها سيرة عنترة وسيرة بني هلال والأميرة ذات الهمة والظاهر بيبرس وغيرها. والسير الشعبية مادة غنية لمن أراد الإفادة منها من كتّاب الأطفال، ومن الأدباء العرب (نخص منهم بالذكر عبد التواب يوسف وفاروق خورشيد) من أوقف شطرًا كبيرًا من جهده على دراسة السير الشعبية وأفاد منها إعدادًا واستلهاما في الكتابة للطفل.

سادسًا: القصص على لسان الحيوانات Fable

وهي القصص التي يكون فيها الحيوان (الذي يتصف بصفات آدمية) هو الشخصية الرئيسة[13]. ولا مانع من وجود شخصيات مساعدة آدمية أو من الآلهة أو من النبات أو الجماد. وقد كان أقدم ظهور لمثل هذه القصص في حضارات وادي النيل والرافدين. أما اشهر مجموعة من هذه الحكايات فهي حكايات ايسوب (Aesop) وهو كما يقال عبد إغريقي معتوق عاش في القرن السادس قبل الميلاد ظلت حكاياته تتناقل شفويا حتى جمعت في القرون الوسطى. ومن المجموعات الأخرى الشهيرة المجموعة السنسكريتية بانجاتانترا (Panchatantra) المنسوبة إلى الراهب البراهمي بيدبا من القرن

الثالث للميلاد، وقد ترجمت إلى أكثر من خمسين لغة. وقد عرف الأدب العربي هذا النوع من القصص منذ عصر ما قبل الإسلام ثم كتب (أو ترجم) ابن المقفع في صدر الدولة العباسية الكتاب الشهير (كليلة ودمنة) وظهرت نماذج كثيرة من هذه القصص في رسائل إخوان الصفا والشعر العربي وكتابات الجاحظ والمعري وغيرهما. أما في عصر النهضة فقد ظهرت في فرنسا مجموعة شهيرة من هذه الحكايات كان بطلها الثعلب (رينارد). لكن أعظم هذه المجموعات في العصور الحديثة هي حكايات الفرنسي لافونتين (Jean de la Fontaine) التي نشرت بين عامي 1668–1694.

وحكايات الحيوان ذات ميزتين أساسيتين: الأولى، إنها تحمل على الدوام رسالة أو موعظة أخلاقية مباشرة تظهر عادة بالنص عليها في نهاية الحكاية. والثانية، إنها ليست محددة زمنيا أو مكانيا، وبهذا يكون الفرق واضحًا بين هذه الحكايات والقصص التي تدور حول حياة الحيوانات في الطبيعة.

هذا ويجدر بالذكر أن احمد شوقي كتب للأطفال الكثير من حكايات الحيوان الشعرية وحذا حذوه في العراق معروف الرصافي ومصطفى جواد.

«الموتيفات» الأساسية للحكاية الشعبية

إن كلمة «الموتيف» كلمة لاتينية وتعني حرفيًا العلة أو التحريض. وهو مصطلح يستخدمه الفولكلوريون لوصف التفاصيل الفردية داخل الحكاية. قد يشير «الموتيف» إلى شخصية أو إجراء أو وضع أو كائن.

هناك قدر كبير من الخلاف من جانب الباحثين حول ما يشكل موتيفا. أحد أهم التعريف هو ما قدمه عالم الفولكلور الأمريكي ستيث طومسون (1885–1976) في مؤلفه الضخم ذي الأجزاء الستة (فهرس الموتيفات في الأدب الشعبي) الذي استند إليه علماء الفولكلور لعقود عديدة. فهو يعرف الموتيف بأنه "أصغر عنصر روائي له المقدرة على الاستمرار خلال الزمان والمكان كجزء من التقاليد والمأثورات في ثقافة معينة" وقد كان منهج طومسون في دراسة الموتيفات وفهرستها منهجًا عمليًا يهدف إلى تزويد الباحثين بأداة قيمة في الدراسة المقارنة للفولكلور.

كان طومسون يستهدف من خلال الموتيف إيجاد محاولة– لتصنيف الحكايات الشعبية العالمية وهي محاولة تعد بمثابة استكمال أو تطوير لما انتهي إليه عالم الفولكلور الفنلندي آنتي آرني (1867–1925) في تصنيفه الذي يقوم على تصنيف الحكايات على أساس النمط.

ويشير طومسون إلى الموتيف بأنه أي عنصر في الحكاية يميزه عن الحكايات الأخرى، فقد يكون مخلوقًا غير اعتيادي أو أرضًا غريبة أو حدثًا مذهلاً أو ممتعًا بشكل ملحوظ، أي إنه أي جزء من الأجزاء التي يمكن تحليل الحكاية اليها. هذا التعريف الواسع يزداد توسعًا عند وضعه موضع التنفيذ. فقد رأى إرنست باومان (عند تطبيقه مبادئ طومسون على دراسة الفولكلور الإنجليزي والأمريكي الشمالي) أن الموتيفات تشمل المفاهيم والظواهر والخصائص والقوى والأحداث والمخلوقات والأشياء وحتى القصص القصيرة والبسيطة التي سماها جان برونفاند (وهو أحد أتباع طومسون.) بالحكايات ذات الموتيف الواحد.

إن فهم طومسون للموتيفات يشير بالتأكيد إلى عناصر قابلة للقسمة. لكن تحديد موضع الموتيف في الهيكل الهرمي للحكاية أمر متروك لقرار الباحث الفلكلوري. اختار طومسون عمدًا نظام ترقيم للموتيفات يعتمد إلى حد ما على نظام فهرسة مكتبة الكونجرس، بحيث يمكن توسيع فهرس الموتيفات في أي وقت ودون نهاية. وفي سياق التوسع يجب على الباحث أن يقرر ما الذي يشكل موتيفا أو فئة من الموتيفات أو تقسيما فرعيا من الموتيفات. يقدم باومان هذا المثال على ذلك:

فالموتيف المرقم **E384** : شبح يستحضر عن طريق الموسيقى هو موتيف يحمل رقمًا كاملًا، وهو ينقسم إلى قسمين فرعيين، الأول هو المرقم1 : **E384**. شبح يستحضر بضرب الطبول، والموتيف المرقم**E384.2**: شبح يستدعى بالصفير. وبما أن الاختلاف الوحيد بين هذين الدافعين هو نوع الموسيقى المستخدمة لاستحضار الشبح، فإن الحكاية الأساسية هنا هي استدعاء الشبح باستخدام الموسيقى. ولذلك فإن نوع الموسيقى -مع أهميته- ليس مميزًا بما يكفي لتزويدنا بموتيفين منفصلين. ومن ثم يعدّ **E384** موتيفا واحدًا يضم نوعين فرعيين من المتغيرات في الحكاية الإنجليزية. وهذا مثال آخر:

المدخل **D** – السحر.

D800 إلى **D1699** – الأشياء السحرية.

D900 الى -**D1299** أنواع الأشياء السحرية

D1242 – السائل السحري

D1242.1 – المياه السحرية (تستخدم كنوع من المؤثرات السحرية). وهكذا دواليك.

إن ما يقدمه طومسون ليس تعريفًا دقيقًا للعنصر، لكنه أداة عملية لتحديد العوامل الفاعلة والأشياء والأحداث لأغراض البحث الفولكلوري المقارن. وفي هذا الصدد تعدّ أبحاث طومسون قيّمة للغاية.

أما الباحث البنيوي الروسي فلاديمير بروب (1895-1970) فلم يسعَ إلى تقديم تعريفه الخاص للموتيف، بل اكتفى في كتابه (مورفولوجيا الحكاية) بمحاولة دحض الفكرة القائلة إن الموتيف عنصر أساسي. ويقترح بدلا من ذلك، مفهومًا جديدًا يمكن من خلاله تصنيف الحكايات الشعبية وهو الوظيفة التي يعرّفها بأنها "فعل لإحدى الشخصيات يُنظر اليها من ناحية أهميتها لمسار الحدث". وهو عنصر مستقر وثابت ومستقل عن الشخصية التي تؤديه، ويشكل بذلك عنصرًا أساسيًا في الحكاية. وهو يؤكد على وجود عدد قليل نسبيًا من الوظائف (واحد وثلاثون) مقارنة بالموتيفات.

إن قارئ هذه المجموعة من الحكايات لا بد أن يلاحظ فيها عددًا من الموتيفات المهمة مثل:

الأعداء أو المنافسون الخارقون للطبيعة (مثل العمالقة أو المردة)

الأعوان أو المساعدون الخارقون للطبيعة (مثل الجن الطيب أو الجنية العرابة أو روح الغابة أو جني الأشجار)

الأشياء السحرية (مثل عباءة، أو طاقية الإخفاء)

القوى السحرية (مثل تحقيق الأمنيات)

التحولات السحرية (من بشر إلى حيوان أو بالعكس)

وعموما فإن الموتيف ليس حكرًا على الدراسات الفولكلورية بل صار يستخدم على نطاق واسع في تحليل الكثير من الأجناس الأدبية والفنية وهو يسمح للمؤلفين والكتاب والفنانين بخلق أعمال أكثر شعرية وتنظيمًا، مما يقود المتلقي إلى فك شفرات رموز لأفكار أكبر وأعمق مما يظهر على السطح. ومن هنا تكمن أهميته في كل الأجناس الأدبية ومنها الأدب القصصي الشعبي.

لقد حرصنا، في اختيارنا لهذه المجموعة (التي نأمل بإتباعها بمجموعات أخرى) على أن تكون مصادرها من أفضل كلاسيكيات الأدب القصصي الشعبي وأن تتنوع مواضيعها وموتيفاتها لتضم الأسطورة والخرافة والفنتازيا الشعبية (حكايات الجن) والحكاية الشعبية. كما حرصنا على أن تكون الحكايات المختارة من قارات ومجتمعات مختلفة لتعكس أهم أنماط تفكيرها الجمعي وعاداتها وتقاليدها وتاريخها ومعتقداتها الروحية كما سيرى القارئ الكريم، وكلي أمل في أن تقدم له الفائدة والمتعة المرجوتين.

الهوامش

1. سنتطرق إلى مسوغات استخدامنا لهذا المصطلح لاحقًا.

2. عبد التواب يوسف، الطفل والموروث الشعبي، بغداد، دار ثقافة الأطفال، 1989

3. صدرت ترجمته العربية التي قامت بها الدكتورة سهير القلماوي تحت عنوان « كتاب العجائب»، مكتبة الأنجلو المصرية، 1964.

4. منير البعلبكي، قاموس المورد، مادتي (myth) و (legend).

5. Encyclopedia Britannica، مادتي myth and mythology و folktale . وكذلك Microsoft Encarta Ency-clopedia 2000. مادتي Mythology و folktale.

6. نلاحظ أن أبطال بعض أساطير غربي إفريقيا وسكان أمريكا الأصليين يتخذون أشكال حيوانات مخادعة "trick-ster" واسعة الحيلة وجشعة وغبية كثيرا ما تخدع نفسها أو تتعرض للخداع (مثل العنكبوت "أنانسي" البطل/ المحتال للعديد من الحكايات الشعبية لغربي أفريقيا)

7. أنظر مقدمة ناثانيال هوثورن لكتابه "كتاب العجائب"، ترجمة الدكتورة سهير القلماوي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1964.

8. عبد الفتاح أبو معال: "أدب الأطفال، دراسة وتطبيق"، دار الشروق، عمان، 1984، ص 41.

9. يميل بعض الباحثين إلى إطلاق تسمية (legend) على نوع محدد من الأساطير وهو حكايات الأبطال. أنظر: كاظم سعد الدين، تحديد أجناس الأدب الشعبي في الخليج والجزيرة العربية، كتاب التراث الشعبي (2) : أبحاث في التراث الشعبي، بغداد، 1986، ص 135.

10. نقلت مكتبة سمير اللبنانية إلى العربية (دون ذكر أسماء المترجمين) العشرات من هذه الحكايات في سلسلة من الكتب الكبيرة القطع ذات إخراج فني راق أسمتها "حكايات من كل زمان" وأردفت كل حكاية بعدد من الأسئلة ذات الطابع المدرسي.

11. ولعل أكثر الأنواع قربا إلى السيرة هو "الساغا" (saga) وهي قصص نثرية شبه واقعية تروي مغامرات الأبطال الاسكندنافيين في القرون الوسطى.

12. من ذلك مثلا أن سيرة عنترة تقع في (3554) صفحة. أنظر: فاروق خورشيد، "أضواء على السير الشعبية" القاهرة، 1964، ص 39.

13. قد تتخذ بعض هذه الحكايات من النباتات شخصيات رئيسة (على سبيل المثال الحكاية السابعة من حكايات لافونتين "حكاية السنديانة والقصبة") أنظر: "حكايات من لافونتين"، اختارها وترجمها جبرا إبراهيم جبرا، بغداد،1987، ص 41.

حكايات يابانية

إبريق الشاي العجيب

في قديم الزمان، وكما سمعتهم يقولون، سكن كاهن مقدس في معبد مورينجي بمقاطعة كوتسوكي.

كان هذا الرجل المبجل يتميز بثلاث خصال: أولاً، كان مستغرقًا في التأملات والطقوس والعادات والعقائد. فقد كان عالمًا عظيمًا بالسوترا المقدسة[1]، ويعرف أشياء غريبة وغامضة. ثم إنه كان يملك ذائقة حادة ممتازة لم ينلها أحد، إذ لم يكن يسعده شيء مثل حفلات الشاي اليابانية القديمة المعروفة بشا نو يو[2]، أما خصلته الثالثة فهي معرفته الجيدة لوجهي العملة وحبه لعقد الصفقات. ما من أحد يضاهيه سعادة عندما يصادف إبريق الشاي القديم، وهو صدئ وقذر وشبه منسي، ملقى في زاوية متجر فقير في أحد الشوارع الخلفية ببلدته.

- «قطعة قبيحة من المعدن القديم (قال رجل الدين المبجل لصاحب المتجر) لكنها ستعمل جيدًا بما يكفي لغلي قطرة ماء متواضعة في المساء. سأعطيك مقابلها ثلاثة رِنات[3].»

قال هذا وأخذ الإبريق إلى البيت فرحًا، لأنه كان ابريقًا جميلًا مصنوعًا من البرونز، يصلح تماما لحفلات الشاي. قام أحد الرهبان المبتدئين بتنظيف الإبريق وجليه فبدا مثل تحفة جميلة تسر الناظرين. ثم أداره الكاهن يمينا ويسارا وأعلى وأسفل وتأمله ونقر عليه بأظافره وابتسم وصاح:

- ؟يا لها من صفقة، يا لها من صفقة!»

وفرك يديه ثم وضع الإبريق على صندوق مغطى بقطعة قماش أرجوانية، وتأمله لوقت طويل حتى ثقلت جفونه واضطر لفرك عينيه عدة مرات قبل أن يغمضهما تمامًا. وتهدل رأسه وغط في النوم.

عندها -صدّق أو لا تصدّق- حدث شيء عجيب؛ تحرك إبريق الشاي دون أن تمسه يد، وخرج من فوهته رأس مشعر وعينان ساطعتان. ثم أخذ الغطاء يقفز لأعلى ولأسفل. وأخيرا برزت أربعة مخالب بنية مشعرة وذيل كثيف ناعم. وفي أقل من دقيقة كان الإبريق قد نزل من الصندوق وأخذ يدور حول الغرفة ويتأمل ما فيها، ثم قال:

- «إنها لغرفة غرفة مريحة حقا!»

ولأنه سُرّ كثيرا بوجوده في هذا المكان الجيد، سرعان ما بدأ يرقص ويقفز وبتزل برشاقة ويغني بأعلى صوته. كان ثلاثة أو أربعة مبتدئين يدرسون في الغرفة المجاورة، وعندما سمعوا الجلبة قال قائلهم:

- «ما زال العجوز صاحيًا. استمعوا اليه. ترى ما الذي يفعله؟»

وضحكوا وأكمامهم على أفواههم. يا رحمة الله! أية ضوضاء أحدثها إبريق الشاي! بِنغ! بِنغ! بِنغ! بِنغ! طِن! طِن! طِن!

وسرعان ما توقف المبتدئون عن الضحك. وأزاح واحد منهم الباب الورقي واختلس النظر.

- «يا للشيطان! (هتف الشاب) ها هو إبريق الشاي القديم للسيد يتحول إلى غُرير[4]. لتحمنا الآلهة من السحر، وإلا ضعنا بالتأكيد».

وقال مبتدئ آخر:

- «لقد جليته قبل أقل من ساعة».

ثم جثا على ركبتيه ليقرأ السوترا المقدسة. وضحك ثالث وقال:

- «أنا أفضل التفرج على العفاريت عن كثب».

وتركوا كتبهم بلمح البصر، وشرعوا بمطاردة الابريق محاولين إمساكه. لكن هل ظفروا به؟ أبداً! لقد رقص وقفز وحلّق في الهواء. واندفع المبتدئون هنا وهناك، انزلقوا على الحصران وتصبب منهم العرق وأخذوا يلهثون.

- «ها ها! ها ها! (ضحك إبريق الشاي العجيب) امسكني إن استطعت!»

واستيقظ الكاهن المبجل وقد تورد وجهه وصاح:

- «ما معنى هذا الصخب؟ إنكم تقطعون علي حبل تأملاتي المقدسة».

- "أيها السيد، أيها السيد (صاح المبتدئون وهم يلهثون ويمسحون جباههم) إبريق شايك مسحور. لقد تحول إلى غرير، غرير بشحمه ولحمه. لن تصدق الرقص الذي رقصه أمامنا، لن تصدق أبدًا!"

أجابهم الكاهن:

- «هراء وسخف! مسحور؟ لا شيء من ذلك. ها هو قابع فوق صندوقه هادئًا ومسالمًا، تمامًا حيث وضعته».

وكان كذلك حقا. حيث بدا صلبًا وباردًا وبريئًا على أحسن ما يكون. لم تكن فيه شعرة من غرير. وبدا المبتدئون كمجموعة من الحمقى.

- "إنها قصة محتملة بالفعل (قال الكاهن). لقد سمعت عن يد الهاون الذي اتخذ أجنحة وطار بعيدًا. يمكن لأي شخص أن يتفهم هذا. لكن إبريق يتحول إلى غرير؟ لا، لا! عودوا لكتبكم يا أبنائي، وادعوا الآلهة كي تحفظكم من عواقب الأوهام".

في تلك الليلة بالذات ملأ الرجل المقدس الإبريق بالماء من النبع ووضعه على «الهباتشي»[5] ليعد كوبًا من الشاي. وعندما بدأ الماء بالغليان صرخ الابريق:

- «آي! آي! آي! يا لحرارة الجحيم!»

ولم يضع الوقت، بل قفز من النار بأسرع ما يستطيع.

- "هذه شعوذة! (صاح الكاهن) أنه السحر الأسود. شيطان! شيطان! شيطان! النجدة! النجدة! النجدة!"

لقد أخرج الخوف ذلك الرجل الصالح من صوابه. وهب جميع المبتدئين راكضين اليه ليعرفوا ما الأمر.

- «هذا الإبريق مسحور. لقد تحول إلى غُرير. نعم كان غريرا بالتأكيد. إنه يتكلم ويتقافز في الغرفة».

- "كلا يا سيدي (قال أحد المبتدئين) انظر اليه. إنه قابع فوق صندوقه، هادئًا ومسالمًا".

وكان كذلك بكل تأكيد. ثم قال المبتدئ:

- «سيدي المبجل، لندعُ الآلهة كي تحفظنا جميعًا من عواقب الأوهام».

وأسرع الكاهن لبيع إبريق الشاي إلى عامل صفيح مقابل عشرين قطعة نحاسية.

- "إنها تحفة برونزية رائعة (أكد الكاهن) لاحظ أنني أتنازل لك عنها لسبب لا أستطيع الإدلاء به".

إنه أفضل من يعقد الصفقات! وحمل الصفّاح الابريق إلى منزله وهو في غاية السعادة. ثم قلّبه يمينا ويسارا وأعلى وأسفل وراح يتأمله وقال:

- «يا لها من تحفة جميلة! إنها لصفقة رابحة حقا».

وعندما ذهب إلى الفراش، وضع الإبريق بجانبه ليكون أول ما يراه في الصباح. لكنه استيقظ في منتصف الليل وشعر برغبة في النظر إلى الإبريق تحت نور القمر الساطع. وفجأة تحرك الإبريق دون أن تمسه يد، وخرج من فوهته رأس مشعر وعينان ساطعتان. ثم أخذ الغطاء يقفز لأعلى ولأسفل. وأخيرًا برزت أربعة مخالب بنية مشعرة وذيل كثيف ناعم.

- «غريب!» قال الصفاح

لكنه كان رجلاً يتقبل الأمور كما هي، وحين دنا الابريق-الغرير منه ولمسه بمخلبه قال له:

- «حسنا. ماذا الآن؟»

فأجابه الابريق:

- «أنا لست شريرًا».

- "كلا بالتأكيد".

- "لكنني أحب أن أعامل معاملة حسنة. أنا إبريق شاي من جنس الغرير".

- "هذا ما يبدو".

- "لقد شتموني.في المعبد وضربوني وأشعلوا تحتي النار. لم أستطع تحمل ذلك، كما تعلم".

- "إنني معجب بشجاعتك".

- "وأنا أعتقد بأنني سأستقر معك".

- "هل أحفظك في صندوق الورنيش؟"

- "إطلاقا! ابقني معك. دعنا نتحدث بين الحين والآخر. أنا مغرم بتدخين الغليون وأحب تناول الأرز والفول والحلويات".

- "وكأس من الساكي(5) أحيانًا؟»

- «حسنًا، نعم، كما قلت».

- «أنا على استعداد لذلك».

- «شكرا على لطفك. وكبداية، هل تعترض على مشاركتك سريرك؟ لقد برد الليل بعض الشيء».

- «لا أبداً».

صار الصفاح وإبريق الشاي صديقين حميمين. وأصبحا يأكلان ويشربان ويتبادلان الأحاديث كل يوم. كان الابريق ملمّا ببعض الأمور، وغدت شراكة ممتازة.

ذات يوم سأل الابريق صديقه:

- «هل أنت فقير؟»

- "نعم. الى حدٍ ما"

- "حسنًا، لدي فكرة رائعة. بصفتي إبريقا للشاي، أنا لا نظير لي. أنا بارع للغاية".

- "أنا أصدقك".

- "اسمي بومبوكو شاغاما. أنا أمير غلايات الشاي الغريري".

- "وأنا خادمك يا مولاي".

- "إن أردت الأخذ بنصيحتي، فسوف تطوف بي كي تعرضني على الجمهور. أنا حقًا نادر المثال، وأظن أنك ستجني بواسطتي قدرا كبيرا من المال".

- "لكن هذا سيكون عملاً شاقًا بالنسبة لك يا عزيزي بامبوكو".

- "أبدا. دعنا نبدأ على الفور".

وهكذا فعلا. اشترى الصفاح الستائر للمسرح، ودعا العرض «بامبوكو-جاكاما» ولن نصف كيف توافد الناس ليروا المتعة! ذلك أن إبريق الشاي الرائع العجيب كان يرقص ويغني ويسير على حبل مشدود كأنه ولد هكذا. لقد قدم ألاعيب وعروضًا ظريفة إلى درجة أن الناس كانوا يضحكون حتى تؤلمهم جوانبهم. وكان من الممتع رؤية إبريق الشاي وهو ينحني برشاقة كما السادة النبلاء ويشكر الناس على صبرهم.وكرمهم. وغدا "بامبوكو-جاكاما" حديث الأرياف، وجاء لمشاهدته كل النبلاء، ناهيك عن العامة. أما الصفّاح فكان يكتفي بهز مروحته واستلام النقود. لقد سمن واغتنى،

حتى أنه ذهب إلى البلاط نفسه حيث استمتعت السيدات والأميرات الملكيات كثيرًا بإبريق الشاي العجيب.

وأخيرًا تقاعد الصفاح من العمل، وجاءه إبريق الشاي والدموع تترقرق في عينيه اللامعتين ليقول له:

- «أخشى أن الوقت قد حان لتركك».
- "لا، لا تقل ذلك يا عزيزي بومبوكو، سنكون الآن سعداء معا. نحن ثريان".
- "لقد آن أواني. لن ترى بومبوكو القديم بعد الآن. من الآن فصاعدًا سأصبح إبريقا اعتياديا، لا أكثر ولا أقل".

فقال الصفاح وهو يذرف الدموع مدرارا:

- «أوه، عزيزي بومبوكو، ما عساي أن أفعل لك؟»
- "أعتقد أنني أود أن أوهب لمعبد مورينجي، بصفتي كنزًا مقدسًا".

من يومها لم يتكلم الابريق أو يتحرك مرة أخرى. لذلك قدمه الصفاح على أنه كنز مقدس للمعبد ومعه نصف ثروته.

وحاز إبريق الشاي على شهرة عظيمة لسنوات طوال، حتى أن بعضهم كان يعبده كقديس.

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) سوترا: هي كلمة سنسكريتية تعني خيط، وهي تحمل في تقاليد الأدب والفلسفة الشرقية معنى يشير إلى حكم وأقوال مأثورة مكتوبة على شكل نصوص دينية قديمة لكل من الهندوسية والبوذية والجاينية.

(2) يولي اليابانيون اهتماما عظيما لطريقة شرب الشاي وتقديمه، إذ يجري في احتفالات خاصة تدعى (جا-نو-يو) أو (سادو-جادو) حيث يقدم مسحوق الشاي الأخضر في مراسيم غاية بالدقة والتبجيل.

(3) الرِن: عملة يابانية قديمة كانت تساوي واحدا بالألف من الين.

(4) الغُرَيْر :(badger)جنس من الحيوانات اللاحمة التي تنتمي إلى فصيلة ابن عرس.

(5) مدفأة يابانية تقليدية تستعمل لتسخين الطعام أو الماء.

(6) مسكّر ياباني يُتخذ من الرز المختمر.

أسطورة الخلق اليابانية

في البدء لم تكن السماوات والأرض منفصلتين. واختلطت الأرض والمياه والمواد الصلبة والغازات والنار والحجر والنور والظلام معًا في هيولى[1] سائلة مضطربة.

ثم بدأت الكتلة الجبارة تتحرك من الداخل، وأخذت الجزيئات الأخف من الغاز والهواء في الارتفاع لتشكل السماوات. أما الأجزاء الثقيلة فهبطت وتماسكت وشكلت الأرض. مثلما شكل الماء البحار الأربعة. ثم ظهر شيء مثل سحابة بيضاء تطفو بين السماء والأرض خرجت منها ثلاثة كائنات: كائن السماء الوسطى، الكائن العالي الجليل، والكائن المهيب. وصان هؤلاء الثلاثة أجسادهم عن كل نظر.

ثم شق ثرى الأرض الدافئ شيء مثل شطء الأسل[2]. كان واضحاً مشرقا مثل الكريستال. ومن هذا الشطء ظهر كائن اسمه «شطء الأسل المبجل البهيج». بعد ذلك ظهر كائن آخر من براعم النبتة اسمه «المبجل المولود في السماء». هذه الكائنات الخمسة تدعى «الآلهة السماوية». ثم ظهرت إلى الوجود أربعة أزواج من الكائنات: (1) الكائن الخارج من الطين الأول وكائنة الرمل والطين؛ (2) الكائن ذو الأيدي والأقدام النامية والكائنة ذات الأنفاس (3) ذكر وأنثى المكان العظيم (الأرض)؛ (4) كائن الكمال الكلي والكائنة التي صرخت بقرينها «غريب ومخيف». وهكذا فإن آخر ثنائي ظهر إلى الوجود هما أول رجل وامرأة واسمهما إيزاناغي وإيزانامي.

ويقال إن أزواج الكائنات الأخرى قبل إيزاناغي وإيزانامي لم تكن سوى أشكالهم غير الكاملة أو العمليات التي مروا بها قبل الوصول إلى الكمال.

عاش هذان الكائنان في السماء. لم يكن العالم قد أُتِم تشكيله بعد، وكانت التربة تطفو مثل سمكة في الماء، ولكن بالقرب من السطح؛ وهو مكان سُمي بـ "المنطقة العائمة" كانت الشمس والأرض والقمر لا تزال مرتبطة ببعضها بعضًا مثل الرأس بالرقبة أو الذراعين بالجسم. ثم أخذوا ينفصلون شيئًا فشيئًا، وغدت الأجزاء التي تربطهم تزداد نحافة. سمّي الجزء الشبيه بالبرزخ "جسر السماء

العائم". وكان إيزاناغي وإيزانامي يقفان عليه عندما رأيا زوجًا من طيور الذعرة[3] يهدلان ويتغازلان بعذوبة. سُرّ الزوجان السماويان بالمشهد لدرجة أنهما شرعا بتقليد الطيور. وهكذا بدأ فن الحب الذي يمارسه البشر حتى يومنا هذا.

أثناء تبادلهما أطراف الحديث على جسر السماء هذا، تساءلا إن كان ثمة عالم تحته. وأرسلا النظر بعيدًا إلى البحار الخضراء، لكنهما لم يريا شيئًا! أخذ إيزاناغي رمحه الطويل المرصع بالجواهر وركزه في الكتلة العكرة، وأخذ يديره ويديره. وعندما رفع الرمح تصلبت القطرات التي نزلت منه إلى الارض من تلقاء نفسها. وهكذا تكونت اليابسة. وبينما إيزاناغي ينظف رمحه، تطايرت كتل الوحل والطين التي التصقت به إلى الفضاء وتحولت إلى نجوم ومذنبات. ويقال إن ايزاناغي هو من تسبب بدوران الأرض اليومي عندما أدار رمحه.

وأطلقا على الأرض التي تشكلت على هذا النحو اسم "جزيرة القطرة المتجمدة" لأنهما اعتزما إنشاء أرخبيل كبير وأرادا تمييزها على أنها الجزيرة الأولى. نزلا من السماء على الجسر العائم وهبطا على الجزيرة. وضرب إيزاناغي رمحه الطويل في الأرض فصار محور العالم. ثم شرع في بناء قصر حول الرمح الذي يشكل العمود المركزي. (كانت هذه البقعة سابقًا في القطب الشمالي، لكنها الآن في إيشيما[4]، قبالة الساحل الشرقي الأوسط لليابان). قرر الزوجان أن يسيرا حول الجزيرة ويستكشفانها كل من طريق. ثم التقيا معًا. فصاحت إيزانامي:

- «يا له من رجل جميل!»

لكن إيزاناغي وبخها لأنها بدأت الحديث، وقال إن عليهما أن يحاولا مرة أخرى. فجالا الجزيرة من جديد، وعندما التقيا أمسكت إيزانامي لسانها وهتف إيزاناغي:

- «يا لها من امرأة جميلة!»

كانا في مزاج رائق، فشرعا في خلق اليابان فأصبحت «أواجي» أول جزيرة تخرج من الماء، وتبعتها الجزيرة الرئيسة. ثم خلقا ثماني جزر كبيرة، ومن هنا جاء اسم اليابان «إمبراطورية الجزر الثماني الكبرى». كما خلقا ست جزر أصغر، وتشكلت عدة آلاف من الجزر الصغيرة التي تكون أرخبيل اليابان العظمى الأبدية من خلال الاندماج التلقائي لرغوة البحر.

بعد أن تشكلت البلاد على هذا النحو خلق الزوج الإلهي ثمانية ملايين من الآلهة الأرضية أو "كامي" ، وعشرة آلاف من الأشياء المختلفة على الأرض. وأنبتت الأرض زرعها مع أنها لم تزل

مغطاة بالضباب. لذلك خلق إيزاناغي بأنفاسه الالهية ذكر الريح وأنثاها. وهكذا فإن كل هذه الجزر هي أبناء إيزاناغي وإيزانامي، وكانت أول ما ولدت صغيرة وضعيفة لكنها نمت وكبرت شيئا فشيئا حتى وصلت إلى حجمها الحالي كما هو الحال عند البشر الذين يولدون أطفالا صغارا ثم يكبرون.

مع استمرار الفصل التدريجي بين اليابسة والبحر تشكلت الدول الأجنبية من خلال تخثر رغوة البحر. ثم وُلد إله النار من أمه إيزانامي، وهو الإله الذي غالبًا ما يغضب بشدة من أي شخص يستخدم نارًا غير نظيفة. ثم خلقت إيزانامي آلهة المعادن والطين والمياه العذبة. وأمِرت الأخيرة بأن تبقي إله النار هادئًا وأن تطفئه عندما يبدأ في ارتكاب الأذى.

لكن إيزاناغي وإيزانامي، بدءا في الشجار مع أن زواجهما لم تمضِ عليه سوى فترة قصيرة، ذلك لأن إيزانامي طلبت من زوجها ذات مرة ألا ينظر إليها عندما تتوارى عن الانظار. لكن إيزاناغي لم يفعل ما طلبت بل تطفل على خصوصيتها عندما كانت مريضة وحدق فيها عندما كانت ترغب في أن تكون بمفردها. فغضبت إيزانامي غضبا شديدا ونزلت إلى عالم الظلام السفلي واختفت.

بقيت إيزانامي لفترة طويلة في ذلك العالم المظلم تحت الأرض، وبعد انتظار طويل ذهب إيزاناغي وراءها. وفي ظلام العالم السفلي أصابه الرعب من هول ما رأى فترك قرينته هناك وحاول الهروب إلى الأرض مرة أخرى. لكنه، في صراعه المحتدم، خلق عدة آلهة انبثقت إحداها من عصاه. وعندما خرج إلى ضوء النهار أغلق الحفرة التي نزل منها بصخرة كبيرة حولها إلى إله أمره بمراقبة المكان. ثم اندفع إلى البحر واغتسل طويلا كي يطهر نفسه. وعندما نفث من رئتيه الهواء المتلوث الذي استنشقه في العالم السفلي خرج إلها الشر من أنفاسه. وعلم إيزاناغي أن هذا سيسبب أذى وشرًا كبيرين، فخلق إلهين آخرين لتصحيح شرهما. لكنه حين غسل عينيه وعاود النظر بوضوح ظهر كائنان ثمينان وجميلان؛ واحد من عينه اليسرى وهي عذراء متلألئة نادرة الجمال أطلق عليها فيما بعد اسم روح السماء المضيئة أو "أماتيراسو" أما من عينه اليمنى فقد ظهر «سوسانو» أي حاكم القمر وبعد أن أصبح الآن نظيفا وطاهرا مرة أخرى وأنجب هذين الطفلين الجميلين، ابتهج وقال:

- «لقد أنجبت طفلاً بعد طفل، وها أنا ذا في النهاية أنجب طفلين كما الجواهر».

كان سطوع جسد العذراء «آماتيراسو» رائع الجمال فأشرق في السماء والأرض. وقال إيزاناغي وهو في غاية السعادة:

- «مع أن أطفالي كثر، لكن لا أحد منهم مثل هذا الطفلة العجيبة. يجب ألا تبقى في هذا المكان».

وخلع عقد الأحجار الكريمة عن عنقه وخشخشه وأعطاه إياها قائلاً:

- «كوني حاكمة على سهول السماء العالية».

في ذلك الوقت لم تكن المسافة بين السماء والأرض كبيرة جدًا، فأرسلها إلى السماء الزرقاء بواسطة «العمود الذي يوحد السماء» الذي يسند السماء فتسلقته بسهولة، وصارت تعيش في الشمس، تنير السماء والأرض بأكملها. انفصلت الشمس الآن تدريجيًا عن الأرض وتحرك كلاهما بعيدًا عن بعضهما حيث يستريحان في مكانهما الحالي.

ثم تحدث إيزاناغي إلى حاكم القمر سوسانو وقال:

- «ستحكم على الأرض المولودة حديثًا والبحر الأزرق الشاسع، بمياهه المالحة الهائلة».

وهكذا تم خلق السماء والقمر والأرض وسكناها. وبما أن اليابان تقع مباشرة مقابل الشمس يوم انفصلت عن الأرض، فمن الواضح أن اليابان تقع على قمة الكرة الأرضية. ومن السهل ملاحظة أن جميع البلدان الأخرى قد تشكلت من خلال التصلب التلقائي لرغوة المحيط وتجمع الطين في البحار المختلفة. كما خلقت النجوم لتوجيه المحاربين العائدين من الدول الأجنبية إلى بلاط الميكادو[5] وهو الابن الحقيقي للسماء.

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) الهيولى أو الشواش: حالة الكون المختلطة قبل تكونه، أو المادة اللا متشكلة التي يقال إنها سبقت الكون.

(2) الشطء: أوّل ما يظهر من الشّجر أو الزرع (ورد في القرآن: كزرعٍ أخرج شطأه)، والأسل نباتٌ ذو أغصانٍ كثيرة شائكة الأطراف ينبت في الماء وفي الأرض الرّطبة وتُصنع منه الحُصرُ والحبال.

(3) طائر الذعرة (بضم الذال) هو طائر من رتبة العصفوريات موطنه الأصلي أستراليا وشرقي آسيا وهو من الطيور الشائعة التي تفضل الغابات الكثيفة.

(4) إيشيما: جزيرة صغيرة إلى الشمال الشرقي من جزيرة اواجي اليابانية.

(5) الميكادو: ويعني حرفيا "سيد السماء" هو إمبراطور دولة اليابان وقائد الدولة وعميد العائلة الإمبراطورية اليابانية، كما أنه أعلى سلطة لديانة الشينتو، لكنه بحسب تعريف الدستور الياباني الحديث ليس سوى رمز للدولة ولوحدة الشعب ولا تتعدى سلطاته الدور الرمزي في نظام الملكية الدستورية المتبع حاليًا في اليابان.

الاستبصار [1]

وصل أحد المسافرين إلى قرية وبحث عن نزل يقيم فيه ليلته فوجد واحدًا رأى أنه يناسبه على الرغم من قدمه ورثاثته. سأل إذا كان بإمكانه أن يمضي الليل هناك، فقالت له صاحبة النزل: بالتأكيد.

لم يكن أحد في النزل إلا تلك السيدة، لذلك قضى المسافر ليلته دون أن يقلق راحته شيء.

في صباح اليوم التالي، وبعد أن انتهى من الإفطار، خرج لاتخاذ الترتيبات اللازمة لمواصلة رحلته، فإذا به يفاجأ بها وهي تطلب منه التوقف للحظة ثم تقول له إنه مدين لها بألف جنيه، معلنة بكل رزانة أنه اقترض هذا المبلغ من نزلها قبل سنوات طوال. دهش المسافر مما سمع، وبدا له أنه طلب لا يصدق، فجلب صندوق ثيابه وأخرج منه عباءة غطى بها نفسه تمامًا.

ثم خاطب المرأة بعد أن عزل نفسه لبعض الوقت وسألها:

- «هل كان والدك بارعًا في فن الاستبصار؟»

فأجابت:

- «نعم. وكان يعزل نفسه أحيانا كما فعلت».
- "اشرحي لي بالضبط لماذا تقولين إنني مدين لك بهذا المبلغ الكبير".

روت له المرأة كيف إن والدها أورثها وهو يحتضر ممتلكاته كلها إلا نقوده، وكيف قال لها أن مسافرًا غريبًا سيحل ضيفا على نزلها في يوم معين بعد عشرة أعوام، وإن ذلك المسافر مدين له بألف جنيه يمكنها في ذلك الوقت أن تطالبه بها وتستردها منه. ثم أخبرها بأنها ستعيش في غضون ذلك عن طريق بيعها لسلع والدها ومقتنياته واحدة بعد الأخرى.

لقد ظلت حتى اليوم تبيع الأشياء الثمينة التي ورثتها، غير أنها استنفذتها كلها تقريبًا. وها قد حلّ الموعد المعلوم ونزل المسافر الغريب في منزلها كما تنبأ والدها بالضبط، لهذا استنتجت بأنه الرجل الذي عليها أن تسترد منه الألف جنيه.

عندما سمع المسافر حديثها قال لها إن كل ما تحدثت به صحيح تمامًا. ثم أخذها إلى جانب من الغرف وطلب منها أن تنقر بأصابعها بلطف على أحد الأعمدة الخشبية، فإذا بصوت أجوف يخرج من مكان في داخله. عندها قال المسافر إن النقود التي تحدثت عنها المرأة المسكينة مخبأة في هذا الجزء من العمود. ونصحها بإنفاقها بتعقل ورويّة، ومضى في طريقه.

كان والد هذه المرأة ماهرًا للغاية في فن العرافة أو الاستبصار فعرف بطرقه الخاصة أن ابنته ستمر بعشر سنوات من الفقر المدقع وأنه في يوم ما في المستقبل سيأتي عراف ليقضي ليلته في المنزل ويرد لها المال المذكور. لقد أدرك الأب أنه إذا ورّث ابنته ماله دفعة واحدة فسوف تنفقه بإسراف. وعندما قلّب الأمر من جميع جوانبه قرر أن يخفي النقود في العمود، وأمر ابنته بأن تتصرف كما أسلفنا. ووفقا لنبوءة الأب جاء الرجل الغريب ونزل عندها في اليوم المتوقع واكتشف، عن طريق تمكنه من فن العرافة، مكان إخفاء الجنيهات الألف!

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) الاستبصار أو العرافة **Second Sight** : هو القدرة على التنبؤ بالمستقبل.

كيف أُغريت إلهة الشمس بالخروج من كهفها

عندما اختبأت الإلهة التي تسطع على كل قريب وبعيد في أحد الكهوف كي تتخلص من المزح الشريرة لأخيها سوسانو إله القمر، لم يعد هناك ضوء، وغرقت السماء والأرض في الظلام.

عقد مجلس لجميع الآلهة في القاع الجاف لأحد الأنهار في حقول السماء (الذي ندعوه درب التبانة). كي يتشاوروا لإيجاد طريقة لتهدئة غضب الإلهة. أمر إله متبصر وبالغ الحكمة بالتفكير في خطة لإغرائها بالخروج من الكهف. وبعد المداولات اللازمة اتفقوا على صنع مرآة كبيرة لإغرائها بالتحديق في نفسها، وتنفيذ بعض الحيل الأخرى لإثارة فضولها للخروج ومعرفة ما يحدث. لذا بدأوا العمل بكل جد، فصنعوا مرآة عظيمة وصقلوها، ونسجوا قماشًا لملابس جميلة، وبنوا سُرادقا كبيرًا وصاغوا عقدًا من نفيس الجواهر، وصنعوا الصولجانات المذهبة، واختبروا إحدى النبوءات. وبعد أن أصبح كل شيء جاهزًا اختاروا إلهة المرح البدينة ذات الخدود الوردية والوجه المليء بالغمازات والعينين المليئتين بالمرح، المسماة أوزومي، لقيادة الرقص. كانت تحمل مزمارا مصنوعا من الخيزران ذا ثقوب بين المفاصل، بينما حمل كل إله في الأوركسترا العظيمة زوجًا من الصنوج الخشبية الصلبة المسطحة كي يقرعوها.

ربطت أكمامها الطويلة الفضفاضة بسيقان كرمة زاحفة، وصنعت لنفسها عصا من أغصان الخيزران كي توجه بها حركات الموسيقيين تمسكها بإحدى يديها بينما تمسك بالأخرى رمحا يلتف حوله العشب وترن عليه أجراس صغيرة. أضيئت نيران عظيمة أمام الكهف كي يتمكن جمهور الآلهة من مشاهدة الرقص، ونُصبت لأوزومي حلبة للرقص أُعِدت من صندوق دائري كبير يصدر صوتا يشبه صوت الطبل عندما تضربه بقدمها. ثم شرع صف من الديوك بالصياح في ايقاع متوافق.

صار كل شيء جاهزًا، واختبأ الإله القوي -الذي كلفوه بسحب إلهة الشمس من الكهف حالما يتغلب عليها الفضول وتحاول اختلاس النظر- بجانب الباب الحجري للكهف. صعدت أوزومي

على الصندوق وبدأت في الرقص. وحين دوى صندوق الطبل سيطرت عليها روح الحماسة والتهور وشرعت بترديد إحدى الأغنيات.

وغلبها الطيش، فأخذت تلوح بعصاها في جموح وتخفف من ثيابها، ورقصت حتى لم يبقَ على جسدها ما يغطيه. كانت الآلهة مستمتعة بحماقتها هذه لدرجة أنهم ضحكوا حتى اهتزت السماء كما يحدث عندما تدوي الرعود.

سمعت آلهة الشمس داخل الكهف كل هذه الأصوات الغريبة: صياح الديوك، الطرق على السنادين، تكسر الأخشاب، أنغام الكوتو[1]، قرع الصنوج، رنين الأجراس، صرخات أوزومي، وضحك الآلهة الصاخب. وتساءلت عما يجري، فاختلست النظر. وما أن فعلت ذلك حتى رفعت (الإلهة المضاعفة الجمال) المرآة.

كانت المرآة الساطعة التي ترى فيها وجهها مدهشة للغاية. غلب فضولها خوفَها فنظرت الإلهة ذات الإشراق البعيد فيها، وإذا بالإله القوي يفتح الباب الصخري ويمسك بيدها ويجرها إلى الأمام، فإذا بالضياء يغمر أرجاء السماوات والأرض، وعادت الأشجار والعشب الى الاخضرار، واستأنفت إلهة الألوان عملها في صبغ الأزهار. وهربت الكآبة من العيون، وأصبح البشر بيض الوجوه من جديد.

وهكذا أصبحت الكارثة التي حلت بالسماء والأرض على يد إلهة الشمس المختبئة في الكهف، سببا لفائدة كبيرة للبشر. فقد أجبرت الآلهة بحكم الضرورة على اختراع فنون الأشغال المعدنية والنسيج والنجارة والحلي والعديد من الأدوات الأخرى المفيدة للجنس البشري. كما استفادت في هذه المناسبة من الموسيقى والرقص والداي كاكورا (الكوميديا التي تضحك الآلهة) والعديد من الألعاب التي يلعبها الأطفال في زماننا.

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) الكوتو نوع من الآلات الموسيقية الوترية، يعد من أهم العناصر في الفرقة الموسيقية التقليدية اليابانية.

ملكة البقدونس

ما أغرب أن تصبح ابنةُ فلاح تعيش في قرية ريفية مغمورة بالقرب من أسكا في مقاطعة ياماتو ملكة!

لكن هذا بالضبط ما حصل. لقد مات والدها وهي لم تزل طفلة صغيرة، ونذرت الفتاة نفسها لرعاية والدتها بكل بِرِّ الأبناء. في أحد الأيام عندما خرجت إلى الحقول لجمع بعض البقدونس الذي كانت والدتها مولعة به، صادف أن الأمير شوتوكو، المعلم البوذي العظيم، كان يشق طريقه إلى قصره وسط حشود غفيرة من سكان الريف الذين تجمعوا على الطريق الذي يمر فيه الموكب لمشاهدة هذا المنظر الفريد ولإظهار احترامهم لابن الامبراطور العظيم. لكن الفتاة البارّة وحدها التي لم تأبه بما يدور حولها، إذ واصلت قطف البقدونس. لاحظها الأمير من عربته فاندهش مما يجري وأرسل أحد خدمه ليستفسر عن سبب ذلك.

ردت الفتاة:

- «لقد أمرتني والدتي بأن أقطف لها بعض البقدونس، وأنا أنفذ أوامرها وتعليماتها. وهذا هو السبب في أنني لم أستدر لأقدم احترامي للأمير».

عندما أبلغ الأمير بإجابتها أعجب للغاية بالتزامها الكامل ببرّها. فعرّج على كوخ والدتها في طريق العودة وأخبرها بما حدث. ثم أركب الفتاة في عربته الملكية الثانية وأخذها معه إلى البيت، إلى القصر الإمبراطوري، وانتهى الأمر بأن اتخذها زوجة له.

وهذا هو السبب الذي دفع الناس الذين سمعوا بقصتها إلى أن يطلقوا عليها هذا الاسم الغريب: اسم ملكة البقدونس!

(عن الانكليزية)

حكايات هولندية

أسطورة الحذاء الخشبي

منذ زمن بعيد بعيد، قبل سنوات لا يمكن أن تحيط بها التقاويم أو تقيسها الساعات، نزلت الملايين من الجنيات الطيبة من الشمس إلى الأرض. وهناك تحولت إلى جذور وأوراق، وأصبحت أشجارًا. وظهر الكثير الكثير من أنواعها التي غطت الأرض. لكن الصنوبر والبتولا والدردار والسنديان[1] كانت من أهم الأنواع التي خلقت البلاد التي تدعى هولندا. وكانت الجنيات التي عاشت في الأشجار تسمى عذارى الطحالب أو أقزام الأشجار.

غير أن شجرة السنديان صارت المفضلة لدى الناس، فقد عاشوا آنذاك على ثمار البلوط التي يأكلونها محمصة أو مسلوقة أو مهروسة أو يصنعون منها دقيقا يعجنون منه خبزا. أما لحاؤها فقد دبغوا به الجلود، كما صنعوا من أخشابها القوارب وبنوا المنازل. وتحت أغصانها، حول جذوعها، أرقد الناس مرضاهم على أمل الحصول على مساعدة الآلهة. وتحت أغصان السنديان أيضًا أقسم المحاربون أن يكونوا مخلصين لأسيادهم وقدمت النساء نذورهن، أو أحاطت الزوجات بجذوعها مشتبكات الأيدي على أمل إنجاب أطفال جميلين. وبين فروعها المورقة رقد المواليد الجدد قبل أن يراهم الأطفال الآخرون وهم في المهد[2]. وكانت الأمهات يمررن صغارهن من خلال شتلة منقسمة أو شجرة صغيرة كي يكونوا أقوياء أصحاء. والأروع من ذلك أن السنديان، كدواء شعبي، كانت لديه القدرة على علاج الامراض.

غير أن الأرض الجديدة كانت تعاني أحيانًا من مرض يسمى الانهيار، وذلك عندما تنخسف ويغمرها ماء البحر فيسقط فيه الناس والمنازل والكنائس والحظائر والماشية، فيغرقون ويضيعون إلى الأبد في طوفان من المياه[3]

لكن البلوط، بجذوره القوية، ساعد على تثبيت التربة. وكانت قصص المدن الميتة التي تهاوت تحت الأمواج، وقصص غابة القصب الشهيرة، التي غطت مئة قرية اختفت في ليلة واحدة، معروفة لدى الهولنديين.

أما أشجار البتولا فكانت ملتقى العشاق الذين يتعاهدون في ظلالها على الحب والوفاء، ويحفرون شكل قلبين متصلين على لحائها الأملس. في الصيف توفر الغابة الظل وفي الشتاء الدفء من خلال حطبها. أما في الربيع فتغدو الأوراق الجديدة أعجوبة تسر الناظرين، وفي الخريف تسمن الخنازير من تناول ثمارها التي تسقط على الأرض. ولهذا قدس الناس الأشجار وشيدوا منازلهم في الغابة ولم يرغبوا ببديل منها.

لكن بمرور الوقت وانتشار الأبقار وتكاثر الأغنام والخيول، برزت الحاجة إلى مزيد من الأراضي المفتوحة للمراعي وحقول الحبوب والمروج، وزرعت أشجار الفاكهة التي تحمل التفاح والكمثرى والخوخ والكرز، ونما العشب والقمح والشعير والجاودار[4]. ثم بدأ الناس يحبون حدائقهم وبساتينهم المفتوحة للشمس بدلاً من الغابة المظلمة، لكنهم، مع ذلك، ظلوا خشنين فظين للغاية، ولم يكونوا يلبسون في أقدامهم غير قطع خشنة من الجلد الصلب مربوطة من خلال أصابع أقدامهم، على الرغم من أن معظمهم كانوا حفاة الاقدام.

صار قطع الغابات أمرًا لا مناص عنه، فانهمك الرجال بإعمال فؤوسهم فيها حتى اختفت أراضي الغابات (وودلاند) في غضون سنوات قليلة لتحل محلها (هولندا) الجديدة، بشعبها وبيوتها ذات الأسطح الحمراء بمداخنها وطواحين الهواء والسدود واللقالق، محل أرض الغابات القديمة المكتظة بالأشجار.

وكان هناك رجل طيب، نجار ماهر جدًا، أحب السنديان إلى درجة أنه أطلق على نفسه وعلى أطفاله من بعده اسم إيك الذي يعني السنديان في اللغة الهولندية. وعندما دعا أصغر بناته، بحضور جيرانه وأصدقائه، لوضع حجر الأساس لمنزله الجديد على وفق العادات الهولندية الجميلة، منحها أمامهم جميعًا اسم فان إيك (الذي يعني من السنديان)

كان الأب النجار حزينًا على ضياع الغابات، حتى صار يذرف الدموع خوفًا من أن لا تبقى سنديانة واحدة في الريف. وكان خائفًا أيضًا من فكرة أن الأرض الجديدة التي أنشئت عن طريق دفع المحيط وبناء السدود، قد تغور وتغرق ثانية وتعود موطنًا للأسماك. وفي مثل هذه الحالة سيغرق كل الناس: الأطفال وأمهاتهم، الرجال والنساء، الخيول والماشية. ووصل إلى قناعة بأن الهولنديين تعجلوا أكثر من اللازم في كسب مساحات جديدة من الأرض على حساب البحر.

ذات يوم، بينما هو جالس على عتبة بابه، غارقًا في أفكاره الحزينة، ظهرت عذراء الطحلب وجني الأشجار[5] وهما يغذان السير جنبًا إلى جنب واقتربا منه وأخبراه أن سنديانة أسلافه لديها رسالة له.

ثم ضحكا وهربا. ذهب فان إيك، الذي أصبح الآن الاسم الكامل لعائلة الرجل، إلى الغابة ووقف تحت شجرة السنديان القديمة الكبيرة التي أحبها آباؤه وأجداده، والتي لم يسمح لأي شخص بقطعها.

نظر إلى الأعلى فإذا بأوراق الشجرة تصدر حفيفا غريبا ثم انحنى عليه غصن كبير وهمس في أذنه:

- «لا تحزن ولا تندب فأن نسلكم، حتى بعد أجيال كثيرة، سوف يرون أعظم مما شهدتم. سنزول أنا وزملائي من أشجار السنديان، لكن أشعة الشمس ستنتشر على الأرض وتجففها. ثم ستخرج لكم الأرض طعاما أوفر وأفضل، بدلًا من أن تنخسف وتسقط كما يسقط البلوط من الأشجار. وعندما تمتد الحقول الخضراء وتنمو المدن في مكان الغابات سنعود إلى الحياة من جديد، لكن في شكل آخر. وسوف نوفر لكم ولأطفالكم وأطفال أطفالكم الدفء والراحة والنار والنور والثروة التي تحتاجون اليها. ولن تخافوا على الارض من ان تنخسف لأننا وكل أشجار السنديان والبتولا والزان والصنوبر سنقف على رؤوسنا من أجلكم. سنحافظ على بيوتكم لئلا تسقط في الطمي وسوف تمشون وتركضون فوق رؤوسنا. سنفعل ذلك بصدق وإخلاص كما فعلنا مذ تجذرنا في التراب. صدّق ما أقول لك وكن سعيدًا. سوف نقلب أنفسنا رأسًا على عقب من أجلكم».

قال فان إيك:

- «لا أستطيع أن أتصور كيف يمكن لكل هذه الأمور أن تحدث».
- "لا تخف، هذا وعد مني ولن أخلفه".

وتمايلت أوراق الغصن للحظة أخرى، ثم ران السكون حتى ظهرت عذراء الطحلب وجني الأشجار من جديد ويدهما في يد بعض وهما يسيران في خفة ومرح:

- «سوف نساعدك ونجعل أصدقاءنا من أقزام الجن يفعلون الأمر ذاته. والآن، خذ بعضًا من خشب السنديان وانشر قطعتين طول كل منهما قدم واحد. تأكد من تجفيفهما جيدًا ثم ضعهما على طاولة المطبخ ليلاً قبل أن تذهب إلى السرير».

بعد أن قالا ذلك نظرا إلى بعضهما البعض وضحكا كما تفعل الفتيات واختفيا فجأة. ذهب فان إيك إلى كوخه الخشبي وهو يتساءل عما يعنيه كل هذا، وقطع خشب السنديان، وفي الليل، بعد أن أفرغت زوجته مائدة العشاء، وضع القطعتين الطويلتين في مكانهما.

عندما استيقظ فان إيك في الصباح تذكر حلمه، وأسرع إلى المطبخ حتى قبل أن يرتدي ثيابه. وهناك، على الطاولة، رأى زوجًا من الأحذية الخشبية الدقيقة الصنع. لم يرَ علامة على وجود أدوات أو نشارة، لكن الخشب النظيف والرائحة اللطيفة جعلته سعيدًا. وعندما نظر مرة أخرى إلى الأحذية الخشبية وجدها ناعمة جدا؛ من الداخل والخارج. كان لها كعوب في أسفلها ومدببة بطريقة جميلة عند أصابع القدم. بدت بشكل عام مغرية للأقدام فجربها ووجدها مناسبة تمامًا. وحاول المشي على أرضية المطبخ التي اعتادت زوجته على دعكها وتلميعها ثم رشها برمل أبيض نظيف تدفعه بالمكنسة بين طبقات الخشب. غير أن الأمر كان بالنسبة لفان إيك أشبه بالسير على الجليد. وبعد أن انزلق واستعاد توازنه وكأنه على حبل مشدود وكاد أن يكسر أنفه حين ارتطم بالحائط، خلع الحذاء الخشبي، وتوقف عن استعماله داخل المنزل. لكنه، عندما خرج من البيت وجد حذاءه الجديد خفيفًا جدًا ومريحا للقدمين ويسهل المشي به. ولم يعد الأمر أشبه بمحاولة التزلج كما هو الحال في المطبخ.

في الليل رأى في الحلم اثنين من أقزام الجان يدخلان المطبخ عبر النافذة. أحدهما، وكان كابوترا قبيحا مكفهر الوجه [6]، يحمل صندوقًا من الأدوات. أما الآخر، وهو قزم صبوح الوجه، فقد بدا أنه المرشد. أخرج الكابوتر في الحال منشارا وبلطة وبريمة حفر وأداة تنعيم وسكينا طويلا يشبه الإزميل. في البداية بدا أن الجنيين يتشاجران بشأن من يجب أن يكون الرئيس. ثم استقرا وشرعا في العمل بهدوء. أخذ الكابوتر الخشب وشكله من الخارج، ثم أفرغه من الداخل ليصنع زوجًا من الأحذية قام القزم بتنعيمها وصقلها. ثم وضع أحدهما قدميه الصغيرتين فيها وحاول أن يرقص لكنه انزلق على الأرضية الملساء وسوى أنفه بالأرض فقام الثاني بسحب أنفه فعاد إلى شكله السابق على الفور. وعندما صار كل شيء على ما يرام. رقصا معًا على الأحذية الخشبية، ثم خلعاها وقفزا من النافذة وهربا.

عندما ارتدى فان إيك الأحذية الخشبية اكتشف أن هذا النوع من ألبسة القدم هو الأفضل على الاطلاق، سواء في الحقول أو في الطين وعلى التراب الناعم أو في الأماكن الموحلة الزلقة. إذ لم تنغرس في الوحل وظلت الاقدام مرتاحة حتى بعد ساعات من العمل ولم تضايق القدمين وصانتها عن تسرب الماء بشك أفضل كثيرا من الجلد. وعندما رأت السيدة فان ايريك والأطفال مدى سعادة الأب، أراد كل منهم زوجًا منها ثم سألوه عن الاسم الذي سيطلقه عليها فأجاب:

- «سأسميها كلومبين» (أي القبقاب بالهولندية)

وهذا ظلت تسمى كلومبين أو كلومبس حتى يومنا هذا. ثم قال فان إيك:

- «سأجني ثروة من هذا. سأقوم في الحال بفتح متجر للأحذية الخشبية!»

وهكذا ذهب من فوره إلى ورشة الحداد الذي يصنع له القوالب الحديدية وطلب منه أن يصنع مجموعة من الأدوات مثل تلك التي استخدمها الكابوتر والقزم، ورآها في حلمه. ثم علق لافتة كتب عليها «لدينا أحذية خشبية» وصار يصنع الأحذية الخشبية للأطفال الصغار الذين غادروا الاحضان للتو، وللبنين والبنات، وللرجال والنساء الكبار ولكل من يخرج من المنزل، في الشارع أو في الحقول. وسرعان ما أصبحت القباقيب الموضة الشائعة في كل أنحاء الريف. وصار من حسن الأخلاق أن تخلع حذاءك الخشبي وتتركه عند الباب قبل أن تدخل المنزل. ثم أخذت السيدات، حتى في المدن والبلدات، يلبسن الأحذية الخشبية، لاسيما عندما يتنزهن أو يعملن في الحديقة. وأدخلت تلك الأحذية معها موضة الجوارب الناعمة والدافئة والجوارب المصنوعة من صوف الأغنام. وسرعان ما انهمكت آلاف الإبر في حياكة وسائد ناعمة بين باطن القدمين والخشب. وأخذت النساء في الحياكة حتى أثناء ذهابهن إلى السوق أو تبادل القيل والقال في الشوارع. وصرت ترى محلات نجارة الأحذية في كل بلدة وقرية.

عندما أصبح فان ايك أكثر ثراء مما قد يرى في أحلام النهار، رأى حلما ليليا بهيجا ثانيا، فأصبح في اليوم التالي ووجهه مستبشر متبسم حتى أن كل من التقاه في الشارع حياه وسأله بطريقة ودية:

- "صباح الخير يا سيد مرح. كيف ابحارك اليوم؟"

هذه هي الطريقة التي يتحدث بها الهولنديون في بلدهم المائي، إذ لا يقولون «كيف حالك؟» بل «كيف ابحارك؟» أو « كيف تسير الأمور معك؟»

ثم قص فان إيك رؤياه: لقد زاره جني الأشجار وعذراء الطحلب من جديد فغنيا ورقصا وهما مفعمان بالحيوية والسعادة.

- "ماذا الان؟" سأل الحالم زائريه والابتسامة تعلو وجهه.

لم يكد السؤال يخرج من فمه حتى دخل كابوتر يعلو السخام وجهه من أثر الحدادة، وهو يمسك بيد صندوق أدواته وبالأخرى آلة غريبة المظهر كانت كتلة كبيرة من الحديد موضوعة في إطار ولها حبال تسحبها لأعلى ثم تتركها لتسقط في ضربات متتالية.

- «ما هذا؟» سأل فان إيك فأجابه الكابوتر:

- "إنها مطرقة للأوتاد والركائز[7]". ثم شرح له كيفية استخدامها، وانبرت عذراء الطحالب قائلة:

- «غداً عندما يسألك الناس في الشارع كيف إبحارك؟ فاضحك في وجوههم. نعم، الآن يمكنك تعليم الناس كيفية بناء المدن والكنائس العظيمة ذات الأبراج العالية، والبيوت الشامخة مثل تلك الموجودة في الأراضي الأخرى. خذ الأشجار، وانزع فروعها ثم دبب قممها واقلبها رأسًا على عقب ودقها عميقا في الأرض بهذه الآلة. ألم تعدك شجرة السنديان القديمة بقلب الأشجار رأسًا على عقب؟ ألم تقل لك أنكم ستمشون فوقها؟»

طرح فان إيك الكثير من الأسئلة وأستبقى الجان لفترة طويلة حتى تأخر الوقت فاختلست عذراء الطحالب النظر عبر النافذة بقلق. وعندما رأت طلوع النهار، طارت هي والقزم والكابوتر بعيدًا، حتى لا يتحولوا إلى حجر بسبب ضوء الشمس.

في صباح اليوم التالي قال الرجل السعيد الذي صار الناس ينادونه باسم السيد مرح:

- «سأجني ثروة أخرى من هذا أيضًا!»

وأنشأ في الحال معملا لصنع مطارق الأوتاد والركائز. وأرسل الرجال إلى الغابة ليختاروا الأشجار الطويلة المستقيمة ويقطعوا أغصانها. ثم يدببوا جذوعها من أحد طرفيها كي تدقّها المطارق عميقًا في غور الأرض. وهكذا بنيت أسس خشبية في قوة الحجر في تلك التربة الناعمة الإسفنجية وارتفعت الآلاف من المنازل المتينة البناء، حتى أن جدران الكنائس العالية وأبراجها صمدت للرياح ولم تتزعزع في أعتى العواصف.

لم يكن لدى هولندا القديمة تربة خصبة مثل فرنسا، أو قطعان كبيرة من الأغنام تنتج الصوف مثل إنجلترا، أو جيوش من النساجين كما في بلجيكا. لكن سرعان ما نشأت المدن الكبيرة، بقصورها وقاعات بلدياتها الفخمة وارتفعت نحو السماء مثلها مثل كل الكاتدرائيات والأبراج في الأراضي الأخرى التي كانت تعتمد على أسس من حجر. وشمخت كنائسها المبنية من الطابوق في الهواء. وأقيمت السدود التي أبقت المحيط بعيدًا فوق أشجار الغابات التي انغرزت عميقا في الرمل والطين. وهكذا، بدلاً من الألفي ميل مربع القديمة، امتد في المملكة،

على مدار السنين، اثنا عشر ألفًا من الأميال الغنية بالحقول الخضراء والماشية وتحولت هولندا إلى هذه البلاد الرائعة ذات العادات الجميلة التي منحت المتعة والسرور لكل فتى أو فتاة سافر في أرجائها.

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) الصنوبر: شجر معروف، والبتولا شجرة تنمو في المناطق الشمالية من آسيا وأوروبا وأمريكا والدردار شجر نفضي كسابقه يمكن أن ينمو إلى ارتفاعات كبيرة والسنديان هو شجر البلوط.

(2) هذه إحدى الطرق لتفسير مصدر المواليد الجدد للأطفال الاكبر سنا، مثلها مثل القول إن اللقالق هي من تأتي بهم وتلقي بهم إلى البيوت عن طريق مداخنها.

(3) من المعلوم أن تضاريس هولندا عبارة عن سهول منبسطة، لا توجد فيها جبال أو تلال أو هضاب، وتحتضن دلتات العديد من الانهار مثل الراين والميز والآيسل والفال، وقد استقطع الهولنديون عبر التاريخ مساحات كبيرة من الأراضي الساحلية على حساب البحر، عن طريق إقامة السدود والحواجز وردم مياه البحر وتحويلها إلى أراضٍ زراعية وتجفيف المستنقعات والبحيرات والمساحات المكتسبة من البحر وإضافتها إلى البر الهولندي. إن المياه تغطي خمس مساحة هولندا تقريبا وذلك في شكل بحيرات وقنوات ومستنقعات، بينما تقع نصف أراضيها تقريبًا تحت مستوى سطح البحر وتحميها السدود لدرء الفيضانات عنها. وكان هذا السبب في أن تسمى البلاد في الهولندية Nederland، وفي الإنجليزية والألمانية والفرنسية والإسبانية بأسماء تعني حرفيًا الأرض المنخفضة.

(4) نبات عشبي يشبه القمح والشعير ويزرع على نطاق واسع لصنع الخبز والوسكي وعلف الحيوانات.

(5) عذارى أو عوانس الطحلب وجن الأشجار: كائنات خرافية تنتمي إلى شعب الطحالب وهم فئة من الكائنات الخرافية في الفولكلور الجرماني تربطها علاقة حميمة بالأشجار والغابة. توصف أحيانًا بأنها تشبه الأقزام، فهي بنفس حجم الأطفال أو أصغر، لكنها كبيرة في السن وذات شعر أشيب وترتدي ثيابا من الطحالب (غير أنها توصف أحيانا بأنها جميلة) وعلى وفق الأسطورة كانت هذه الجنيات لا تحب الظهور وتقترض أحيانًا أشياء من الناس أو تطلب المساعدة لكنها لا تنسى أن تعوض المالكين بسخاء، غالبًا بنصائح جيدة أو خبز، بيد أنها سريعة الغضب وأغلبها، لاسيما الإناث، قادرة على إرسال الأوبئة من ناحية، وشفاء ضحايا مثل هذه الأوبئة من ناحية أخرى.

(6) في فولكلور الأراضي المنخفضة: الكابوتر هم أناس صغار يعيشون تحت الأرض أو في الفَطر وهم أيضًا أرواح تساعد في المنزل. لدى الذكور منهم لحى طويلة كثة ويرتدون قبعات طويلة مدببة حمراء. وهم في العموم يخجلون من البشر وكثيراً ما يعاقبون الناس على التجسس عليهم.

(7) مطرقة الركائز أو مطرقة الأوتاد pile driver آلة تستخدم لدق الركائز الخشبية أو الكونكريتية في الأرض الرخوة لتهيئتها كأسس للأبنية.

الأميرة ذات التنّورات العشرين

في زمان بعيد بعيد، قبل أن تتفتح زهور الكتان الزرقاء في هولندا[1]، وعندما كانت الأمهات الهولنديات يرتدين ملابس من جلود الذئاب، عاشت أميرة صغيرة أحبها والدها، الملك والقائد الحربي العظيم، حبا يفوق الوصف. كانت غاية في الجمال ومولعة بتأمل نفسها. لم تكن هناك مرايا معدنية أو زجاج في تلك الأيام، ولهذا اعتادت الذهاب إلى الغابة لرؤية انعكاس وجهها الجميل في البرك ومجاري الماء العميقة الهادئة. كانت تلك متعتها التي لم تكن لتسأم منها أو تمل.

لكن الأميرة الصغيرة كانت في بعض الأحيان سيئة السلوك للغاية. ذلك لأن طبعها لم يكن لطيفًا مثل وجهها. كانت تتمرغ في الرمل وتطوف في الغابة بين الأوراق والأدغال حتى تتشابك خصلات شعرها. ولذلك تراها عندما تمشط مربيتها شعرها بمشط حجري -لأنهم لم يعرفوا أي نوع آخر في ذلك الوقت- تهتاج وتوبخ وتضرب بقدمها الأرض في كثير من الأحيان. وفي إحدى نوبات غضبها العارم وصفت مربيتها بـ «الأرخَص»[2]. عندها وضعت المربية يديها على وجهها:

- «أنا؟ أرخص! هذا فظيع!»

ثم لمست جبينها لترى إن كان لديها قرنان.

سئمت المربية من السلوك السيئ للأميرة الشابة، فكانت تذهب أحيانا إلى والدتها لتخبرها بمدى شقاوة ابنتها التي وصلت حد أن تدعوها بالأرخص. لكن هذا دفع الفتاة إلى المزيد من سوء السلوك، فإذا بها تتمرغ بين أوراق الشجر بأكثر من قبل حتى تتشابك جدائلها ولا تعود المربية قادرة على تمشيط شعرها بسهولة.

بدا من غير المجدي معاقبة الفتاة الصغيرة المشاكسة عن طريق لكم أذنيها أو قرص ذراعها أو صفع مؤخرتها بقوة. بل إنهم حاولوا تحسين سلوكها من خلال حرمانها من عشائها، لكن ذلك لم يجد فتيلًا. وأخيرًا ذهبت المربية والأم إلى والدها كي تشكيا اليه الأمر. قلق الملك كثيرا. إنه قادر على منازلة الرجال الأشداء بهراوته ورمحه، بل حتى العمالقة بسيفه وفأسه؛ لكن تقويم سلوك ابنته

الصغيرة التي يحبها كعينيه أمر يفوق طاقته. لم يكن لديه ابن وكانت الأميرة هي طفلته الوحيدة التي تعقد الأسرة الملكية آمالها عليها. وتساءل الملك: كيف ستحكم شعبه بعد أن يموت وتصبح هي الملكة. لكنه، مع ذلك، كان سعيدًا لشيء واحد: إنها مع شقاوتها، لطيفة مع الحيوانات على الدوام، شأنها شأن أبيها. كان حيوانها الأليف عجلَ أرخصٍ صغير قتل بعض الصيادين أمه في أحد أيام الشتاء، فوفرت له الأميرة ما يلزمه من دفء ورعاية وصارت تطعمه بيديها كل يوم.

ذهب الملك إلى الغابة كي يتمشى بمزاج كئيب ووجه حزين مفكرًا في طريقة لخلق سيدة مهذبة لطيفة من هذه الفتاة الفظة التي تكبر بسرعة لتصبح امرأة فارعة جميلة.

وتذكر الملك كان هو نفسه صبيًا صغيرًا لطيفًا جدًا مع جميع الكائنات الحية، البرية والمروضة، البكماء وذات الصوت -نعم، حتى مع الأشجار في الغابة. وحين صار أميرًا يافعًا لم يسمح أبدًا للحطابين بقطع سنديانة قبل أن يطلبوا الإذن من الجنية التي تعيش في الشجرة. وكانت ثمة، على وجه الخصوص، سنديانة كبيرة قريبة من قصر والده الملك قيل إن الأطباء كانوا يعثرون بين أغصانها المورقة على الأطفال الصغار ويجلبونهم إلى أمهاتهم. اعتنى الأمير الفتي بهذه الشجرة، وعلمه رجل حكيم أن يشذب أغصانها ويبعد عنها الديدان ويحذر كل الناس من مغبة قطع أغصانها -حتى في اليول تايد[3].

ذات مرة طارد بعض الصيادين أنثى أرخص شابة مع عجليها حتى دخلت في متنزه الملك، فركض الأمير على الرغم من صغر سنه وانبرى للمطاردين القساة وصرفهم عنها، ثم قام بإيوائها وإطعام عائلتها المكونة من ثلاثة أفراد، حتى قويت وسمنت، فأرسل صيادًا يجيد تقليد صوت أنثى الأرخص ليدعو ذكرها إلى حافة الغابة. ثم أطلق سراحهم جميعًا، وفرح برؤية الوحوش البكماء تتجول معًا.

كبر الأمير الصبي وصار رجلاً وجلس على العرش سنوات طوال ونسي كل شيء عن حادثته القديمة تلك. وفي يوم ما وبينما هو يسير في الغابة هب نسيم لطيف وبدأت أوراق شجرة السنديان القديمة في الحفيف ثم الهمس. وسرعان ما اتضحت الكلمات، فقالت الروح التي تسكن فيها:

- «لقد مرت علي آلاف السنين مذ كنت مجرد سنديانة فتية في هذا المكان. سأموت بعد لحظات وأتهاوى إلى الأرض، فقطّع جسدي إلى ألواح رقيقة واصنع منها لابنتك تنورة خشبية مثل البرميل وأرغمها على ارتدائها كلما أساءت السلوك، حتى تعد بأن تحسّن تصرفاتها».

حزن الملك على فكرة فقدان الشجرة العظيمة التي لعب تحتها وهو صبي كما فعل آباؤه وأجداده من قبل فتغير وجهه، لكن السنديانة قالت له:

- «ابتهج يا صديقي، فسوف يتبع ذلك شيء أفضل: عندما أموت ستنمو في هذه البقعة زهرة زرقاء. وسوف تتحول الغابة إلى حقول تسبح في ضوء الشمس. وعندما تصبح ابنتك لطيفة ومهذبة سوف تغزل الصبايا شيئًا أجمل من التنورات الخشبية. ولهذا عليك أن تعتني بالزهرة الزرقاء. إضافة الى ذلك (أضاف صوت الشجرة) وحتى لا ينسى ذكري، ستتخذ أنت وسلالتك، من الآن فصاعدًا، لقب تين آيك - الذي يعني باللغة الهولندية عند السنديانة»

في تلك اللحظة بالذات اندفع إلى الغابة أرخص ضخم كان شعره المسترسل وعرفه الأشعث رماديين من الهرم. ظن الملك أن الوحش الجبار، الذي يزن طنًا تقريبًا، سيخفض قرنيه ويهاجمه، فاستل سيفه استعدادًا لمقاتلته. غير أن الأرخص توقف على بعد عشرة أقدام من الملك وأخذ يخور، ثم تحول الخوار إلى صوت خاطب الملك بهذه الكلمات الجميلة:

- «سوف أموت مع شجرة السنديان، لأننا إخوة سُحرنا منذ ألف عام، وسيزول السحر عنا بعد لحظات قلائل. لا الشجرة ولا الأرخص قادران على نسيان لطفك معهما عندما كنت أميرًا. حالما تتحرر روحانا ونعود إلى موطننا على سطح القمر، اقطع قرني الأيمن واجعل منه مشطًا لتسريح شعر ابنتك وسيكون أنعم من الرخام».

وفجأت هبت عاصفة هوجاء دفعت الملك إلى الاختباء خلف بعض الصخور. ثم توقفت الريح بعد دقائق وعادت السماء صافية. ونظر الملك فإذ بالسنديانة راقدة على طولها فوق الأرض والى جانبها الأرخص الذي غدا جثة هامدة. عندها فقط وصل حطابو الملك، الذين تراكضوا إلى المكان ظنًا بأن سيدهم قد أصيب بمكروه، فأمرهم بقطع القرن الأيمن للأرخص وتقسيم جزء من السنديانة إلى شرائح رفيعة. وفي اليوم التالي، صنعوا تنورة من خشب السنديان ومشطًا من قرن الأرخص. لقد كانتا من الجدّة والطرافة أن دفعتا كل امرأة في المملكة تقريبًا إلى القدوم لرؤيتهما.

بعد ذلك، أطلق الملك على نفسه لقب سيد أرض تين آيك، الذي ظل اسم سلالته من بعده. وكانت الأميرة تجبر على ارتداء تنورتها الخشبية كلما أساءت السلوك، الأمر الذي جعل الأولاد والبنات يشيرون إليها ويسخرون منها، وكان في هذا عقاب شديد لها.

وحدث بعدها شيء غريب؛ فقد وجدوا أن الأميرة تصبح ألطف وأرق في كل مرة تمشط فيها المربية شعرها. وصارت تشكر مربيتها في كثير من الأحيان وتقول لها إنها تحب تسريح شعرها بالمشط الجديد، حتى أنها توسلت إلى والدها ليسمح لها بالحصول على مشط خصوصي تحتفظ به لنفسها. ولم يمضِ وقت طويل حتى فاجأت مربيتها ووالديها بتمشيط شعرها وتسريحه بنفسها. لقد تغيرت الأميرة تغييرًا رائعًا لدرجة أنها لم تضطر في كثير من الأحيان إلى ارتداء تنورتها الخشبية. وبعد عام أو عامين، لم تعد تلبسها بتاتا، فنسي أمرها وتوقفت الشائعات والنمائم التي دارت حولها.

وفي يوم من أيام الصيف، بينما الأميرة تسير في الفضاء المشمس المفتوح، رأت زهرة زرقاء في موضع السنديانة القديمة. كانت جميلة وغريبة الشكل فاقتطفتها وشبكتها في شعرها. وعندما وصلت إلى البيت، أكدت عمتها العجوز التي عاشت في أرض الجنوب بأنها ليست سوى زهرة الكتان.

بحلول الربيع، ظهرت الملايين من الأوراق الصغيرة الخضراء حيث كانت الغابة، وحين جاء الصيف أصبحت النباتات بارتفاع نصف ياردة. تعلمت النساء كيفية نقع السيقان في الماء كي تتفسخ الألياف الخارجية الصلبة من الكتان. ثم صرن يستخرجن منها الخيوط الشبيهة بالحرير بعدها يقمن بلفها على دواليب الغزل وينسجنها قطعًا من قماش جميل ينقعنها في سائل قاصر ثم ينشرنها على العشب تحت أشعة الشمس حتى تغدو ناصعة البياض.

صنع الناس خيوط الكتان أولاً، ثم صاروا يصنعون الدانتيل، وهتفوا في سعادة عندما رأوا كم كانت الأرض خضراء حيث كانت الغابة المظلمة:

– «دعونا نطلق على المكان اسم الحقل الأخضر».

وهكذا سمي المكان من يومها بالحقل الأخضر.

وحدث الآن أن الأميرة، عندما رأت الملابس الجميلة التي يمكن أن تخاط من هذا الكتان الناصع الأبيض، اخترعت نمطًا جديدًا من الملابس وأطلقت على الجزء العلوي منها اسم "الرّوك العلوي" أي ما يعلو الخصر، وسمت الجزء السفلي مما يلي الخصر "الرّوك السفلي". وبمرور الوقت، عندما نسجوا المزيد من الكتان الأبيض الجميل صارت لديها تنورة جديدة خاطتها ولبستها. ودفعتها فرحتها بها إلى أن ترغب بالمزيد من التنورات التي لبستها واحدة فوق الأخرى وربطتها حول خصرها، حتى بلغت عشرين تنورة بالتمام والكمال. لقد كانت فخورة بتنانيرها مع أنها جعلتها تبدو مثل البرميل. وعندما شاهدت والدتها وخادماتها وكل نساء المملكة، صغارا وكبار، كيف تألقت الأميرة بتلك التنانير، تبعنها جميعاً.

لم يكن من السهل دائمًا على الفتيات الفقيرات المقبلات على الزواج شراء عشرين تنورة. لكن الموضة هي الموضة، فصار على كل عروس أن تمتثل للقاعدة التي نمت حتى غدت تقليدًا متوارثًا ينص على أن يكون للفتاة ما لا يقل عن عشرين تنورة لأن هذا الرقم فقط كان يُعتقد أنه مناسب.

لذلك نشأ تقليد جديد، حتى بين الرجال. فقد اعتاد الشاب الخاطب، بمساعدة من قريباته أحيانا، على إهداء حبيبته تنورة واحدة أو أكثر لتضاف إلى دولاب ملابسها. وهكذا سادت الموضة ولا تزال قائمة بين نساء الساحل؛ بدينات كنّ أو نحيفات، طويلات أو قصيرات، إذ يراكمن التنورات الداخلية التي يتمايلن فيها بفخر وهن يتنزهن أو يذهبن إلى السوق أو يبعن أسماكهن أو يحكن القماش في البيت أو أمام المنزل أو ينادين في الشوارع: نبيع الرنجة الطازجة[4]. ولم يعد من شيء يسعد الفتاة مثل اهدائها تنورة جديدة. وغدا من المألوف أن يكون لدى الفتاة شكل كالبرميل أو أن تراكم التنانير على جسدها لتبدو مثل خنزير صغير.

ومع الوقت بنى الرجال سدًا للحصول على الكثير من المياه في الشتاء كي يفسّخوا فيها سيقان الكتان. لقد جعلت صناعة الكتان الناس أغنياء. ونشأت شيئا فشيئا مدينة أطلقوا عليها اسم روتردام، أو السد الذي تتفسخ فيه سيقان الكتان. ولأن تيارًا فضيًا من المياه صار يتدفق بلطف بين المروج الخضراء حيث كانت غابة السنديان، فإنهم لونوا شعار المدينة وختمها باللونين الأخضر والأبيض اللذين ظلا حتى يومنا هذا يزينان علم المدينة العظيمة، وصار المرء يرى، بين سحب الدخان العالية للمراكب البخارية الجبارة التي تعبر المحيط، شريطًا أبيض عريضًا بين خطين باللون الأخضر.

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) يزرع الكتان في مناطق واسعة من العالم للاستفادة من بذوره (التي تنتج زيت الكتان ذا الاستخدامات الطبية والغذائية والصناعية الكثيرة) ومن سيقانه التي تستخدم في صناعة الأقمشة والورق (بعد معاملتها بطرق خاصة) فضلا عن زراعته في الحدائق كنبات زينة بسبب أزهاره الزرقاء الجميلة.

(2) الأرخص أو الأورخص أو الثور البري: نوع من الماشية يشبه الجاموس لكنه ضخم جداً. يعتقد بأنه السلف البري للبقر المستأنس الذي تتحدر منه جميع الأبقار الأليفة اليوم. انقرض في القرن السابع عشر.

(3) اليول تايد أو مهرجان الشتاء: عيد وثني قديم كانت الشعوب الجرمانية تحتفل فيه بقدوم الشتاء، وقد أدمج لاحقا بأعياد الكريسمس التي حملت العديد من طقوسه.

(4) الرنجة: نوع من الأسماك الصغيرة التي تعيش في المياه الضحلة.

الولد الذي لم يكن يشبع من الجبن

كان «كلاس فان بوميل» صبيًا هولنديًا يبلغ الثانية عشرة من العمر، يعيش في مكان تكثر فيه الأبقار، طوله يزيد على خمسة أقدام ووزنه مئة رطل، لديه وجنتان ورديتان، شهيته عظيمة على الدوام حتى أن والدته كثيرا ما تقول إن معدته ليس لها قاع. كان شعره، السميك مثل قصب المستنقع، المقصوص بشكل مستقيم من تحت هذه الأذن إلى الأخرى، ذا لون ما بين لون الجزر ولون البطاطا الحلوة.

اعتاد كلاس على ارتداء زوج من الأحذية الخشبية التي تصدر قرقعة فظيعة عندما يركض للامساك بأرنب ما أو يجرجر رجليه على مهل فوق طريق قريته. كان كلاس يرتدي في الصيف بلوزة من الكتان الأزرق الخام، وفي الشتاء سراويل صوفية عريضة كأكياس القهوة يسمونها سراويل الجرس-لأنها تشبه زوجين من أجراس البقر مقلوبة لأعلى- يزررها على سترة سميكة دافئة. لقد دأبوا على إلباسه ثياب البنات حتى بلغ الخامسة من عمره. ثم ألبسوه في عيد ميلاده الخامس طاقما من ملابس الأولاد فيه جيبان يفتخر بهما كثيرا.

ولأنه ابن مزارع فقد نعم بخبز الجاودار والحليب الطازج على الإفطار. أما في الغداء فيقدم له، إلى جانب الجبن والخبز، طبقٌ مليء إلى آخره بالبطاطس المسلوقة، فيغرس شوكته فيه أولا ويروح يلتقط الكرات المستديرة البيضاء ويغمسها واحدة بعد أخرى في وعاء من الزبدة المذابة الساخنة. وسرعان ما تختفي البطاطس والزبدة تحت الخط الأحمر[2]. أما في العشاء فلديه خبز وحليب خال من الدهن، بعد نزع الكريمة لعمل الزبدة. كما يستمتع الأطفال مرتين في الأسبوع بوعاء من اللبن الخاثر أو اللبنة مع قليل من السكر البني على الوجه. لكن الجبنة هي الحاضرة على المائدة في كل وجبة، غالبًا في شرائح رقيقة يعتقد الصبي دائما أنها ليست سميكة بما يكفي.

عندما يذهب كلاس إلى الفراش ينام في العادة بمجرد أن يلمس شعره الأصفر الوسادةَ. في الصيف كان ينام حتى تبدأ الطيور بالتغريد عند الفجر. أما في الشتاء، عندما يكون السرير دافئًا والسيد جاك فروست في أوج نشاطه[2]، فإنه غالبًا ما يسمع الأبقار وهي تثرثر في طريقها قبل أن يقفز من كيس القش الذي يستخدمه كمرتبة. لم تكن عائلة فان بوميل غنية، لكن كل شيء في منزلهم نظيفٌ ومرتب.

يوجد دائما الكثير من الطعام في منزل فان بوميل: ثمة أكوام من خبز الجاودار بطول ياردة وسمك يزيد على ذراع الرجل، مصطفة على أطرافها في زاوية السرداب البارد المبطن بالحجارة. كانت الأرغفة تخبز في الفرن مرة في الأسبوع. ولقد كان وقت تحضير الخبز حدثًا رائعًا في منزل فان بوميل. ولم يكن يُسمح للرجال بدخول المطبخ في ذلك اليوم إلا إذا تم استدعاؤهم للمساعدة. أما دِلاء الحليب وأوعية الطهي المملوءة أو الفارغة، المدعوكة أو الموضوعة لتنشف تحت الشمس، والأجبان المكدسة في المخزن، فقد بدت أحيانًا كافية لإطعام جيش صغير.

لكن كلاس ظل يطلب المزيد من الجبن. أنه في الحقيقة فتى صالح، مطيع في المنزل، ومجتهد في المدرسة، ومستعد دائما للعمل في مزرعة الأبقار، غير أنه على الطاولة لا يكتفي أبدا. كان والده يضحك أحيانا ويسأله إن كان الذي تحت سترته بئرًا أم كهفًا!

كان لكلاس ثلاث أخوات أصغر منه: ترينتجي وآنكي وسارتيه؛ وهي الأسماء الهولندية المقابلة لكيت وآني وسالي. لكن أمهن، التي أحبتهن كثيرًا، كانت تسميهن "براعم البرتقال" وعند تناول العشاء، حين لا يتوقف كلاس عن غمس البطاطس في الزبدة الساخنة بينما فرغ الجميع من الأكل، تضحك والدته وتطلق عليه لقب اليقطينة. لكن كلاس لم يتوقف يومًا عن طلب المزيد من الجبن. وكانت أمه تصفه، حين يغدو نهما على نحو غير اعتيادي، بأنه ولد أسوأ من الزبدة والبيض -نسبة إلى العشبة ذات اللونين الأصفر والأبيض المسماة كتان الضفادع التي يراها المزارعون جميلة جدًا، لكنها ليست سوى عشبة عديمة النفع.

في إحدى أمسيات الصيف، وبعد توبيخ شديد استحقه بالتأكيد، قام كلاس وتوجه إلى فراشه في مزاج سيئ وهو يكاد يبكي بعد أن قام بمضايقة أخواته الثلاث كي يتنازلن له عن حصصهن الصغيرة من الجبن. وكانت هذه، إذا زدنا عليها شريحته الخاصة، قد جعلت معدته ثقيلة مثل الرصاص.

كان سرير كلاس موضوعا في العلية. عندما بني المنزل ازالوا واحدة من قرميدات السقف الحمراء ووضعوا محلها أخرى من الزجاج تعطيه في الصباح تسمح بمرور ضوء يتيح له ارتداء ملابسه، وتزود الغرفة بالهواء النقي عندما يكون الطقس معتدلا.

هب نسيم لطيف من غابات الصنوبر على المنحدر الرملي الذي ليس ببعيد، فصعد كلاس على المقعد ليشم روائح الصنوبر الزكية. وتراءت له أضواء ترقص تحت الشجرة. بدا أن أحد خيوط الضوء اقترب من فتحة سقف منزله وأخذ يتراقص حول المدخنة. ثم مر أمامه جيئة وذهابا، وأخذ يهمس في أذنه وهو يرقص في الهواء. لقد بدا الأمر أشبه بمئة من اليراعات التي وحدت أضواءها الباردة لتشكل مصباحا كبيرا واحدا[4]. ثم خيل إليه بأن الأشعة الغريبة تحمل شكل فتاة جميلة، لكنه ضحك على نفسه من الفكرة. ومع ذلك، سرعان ما شعر بأن الهمس أصبح صوتًا واضحًا ومرة أخرى ضحك بشدة لدرجة أنه نسي كآبته والتوبيخ الذي صبته عليه والدته، بل إن عينيه في الواقع تلألأتا من الفرح حين قدم له الصوت هذه الدعوة:

- تعال معنا، هناك الكثير من الجبن.

فرك الصبي عينيه وأشرع أذنيه كي يتأكد مما سمع. ومرة أخرى قالت له حاملة النور:

- هيا. تعال.

يا إلهي، أهذا ممكن؟ لقد سمع كبار السن يتحدثون مرارا عن سيدات الغابة اللاتي يهمسن للمسافرين ويحذرنهم. كما سبق له أن رأى حلقة الجنيات[5] في غابات الصنوبر، وهي ما كانت سيدة اللهب تدعوه اليها.

دار الضوء البارد المتحرك مرارًا حول ألواح القرميد الأحمر التي بدا أن القمر، الذي ارتفع وصار يختلس النظر من فوق المداخن، قد حولها إلى ألواح فضية. مع ارتفاع البدر في كبد السماء، صار بالكاد يستطيع رؤية الضوء الراقص الذي بدا مثل امرأة. لكن الصوت الذي لم يعد همسًا كما في البداية أصبح الآن أكثر وضوحًا:

- "هناك الكثير من الجبن. تعال معنا!"

- "سأرى ما الأمر!"

حدث كلاس نفسه وهو يرتدي جواربه الصوفية السميكة ويستعد للنزول على الدرج والخروج دون إيقاظ أحد. لكن ما أن وضع قدمه في حذائه الخشبي عند الباب حتى خرخرت

القطة وفركت ساقه فقفز خائفا ثم نظر إلى الأسفل فرأى الكرتين الناريتين الصفراوين في رأسها وعرف ما هما. وانطلق بسرعة إلى غابات الصنوبر باتجاه حلقة الجن.

يا له من مشهد غريب! ظن كلاس في البداية أنها دائرة من الذباب الناري الكبير. ثم رأى بوضوح العشرات من المخلوقات الجميلة الصغيرة كالدمى لكن النشيطة مثل الصراصير. كانت مضيئة ومشعة وكأنها مصابيح ذات أجنحة. إنها ترفرف وترقص يدا بيد حول حلقة العشب وهي في غاية الاستمتاع.

لم يكد كلاس يتغلب على مفاجأته الأولى حتى شعر فجأة بأنه محاط بصغار الجن. وكان بعض الأقوياء من بينهم قد تركوا الحفل الرئيس في الدائرة وجاءوا إليه. وشعر بأنهم يجذبونه اليهم بأصابعهم اللطيفة. وهمست واحدة منهم، وهي أجمل الجميع، في أذنه:

- "تعال. يجب أن ترقص معنا!"

ثم دمدمت العشرات من المخلوقات الجميلة في الجوقة:

- "الكثير من الجبن هنا. الكثير من الجبن هنا. تعال تعال!"

وصار كعبا كلاس خفيفين مثل الريش. وبعد لحظة لا غير، أخذ يرقص في سعادة كبيرة ويداه مشتبكتان في أيدي الجنيات. كان الأمر ممتعًا كما لو انه في عيد ميلاد والأولاد والبنات يرقصون في الشوارع يدا بيد كما تفعل الفتيات والفتيان الهولنديون خلال أسبوع الكريسمس.

لم يملك كلاس الوقت للنظر مليا إلى الجنيات، لأنه كان طافحا بالمرح والسرور. رقص ورقص طوال الليل حتى بدأت السماء تتحول في الشرق إلى اللون الرمادي ثم الوردي. ثم تهاوى على الأرض وغط في النوم وقد تدلى رأسه فوق الحافة الداخلية للحلقة الخيالية وقدماه في المنتصف.

شعر كلاس بسعادة بالغة، إذ لم يشعر بأي تعب، ولم يكن يعلم بأنه نائم. كان يعتقد أن شركاءه الخياليين الذين رقصوا معه ينتظرونه الآن ليحضروا له الجبن الذي أخذوا يقطّعونه بسكين ذهبية إلى شرائح ويطعمونه منها بأيديهم. آه كم كانت لذيذة! ظن الآن أنه يستطيع أن يأكل، وسيأكل، كل الجبن الذي يتوق اليه طوال حياته، فما من أم لتوبخه أو أب يهز إصبعه محذرًا. ما أجمل هذا!

لكنه أراد بعد مرور بعض الوقت أن يتوقف عن الأكل ويأخذ قسطا من الراحة. لقد تعب فكاه، وبدا له أن معدته محملة بكرات المدفعية، فشهق لالتقاط أنفاسه.

لكن الجنيات لم يسمحن له بالتوقف، فالجنيات الهولنديات لا يتعبن أبدًا. لقد أتين طائرات -من الشمال والجنوب والشرق والغرب- جئن يحملن الجبن ويسقطنه من حوله حتى هددت أكوام الكتل المستديرة بأن تحاصره أولاً مثل جدار ثم تغطيه. ثمة كرات حمراء من إيدام، ودوائر وردية وصفراء من جودا، وأخرى رمادية على شكل رغيف من ليدن.

وهناك، عبر فسحة رملية في غابة الصنوبر، نظر الولد. يا للهول! كانت أطول وأقوى الجنيات تدحرج كتلًا من الأجبان الضخمة المستديرة المسطحة من فريزلاند! إن كلا منها بحجم عجلة عربة، وتكفي لإطعام فوج كامل. أدارت الجنيات الأقراص الثقيلة كما لو كنّ يلعبن بالأطواق. وصرخن بفرح مجنون وهن يدفعنها بعصا الصنوبر كما يفعل الأولاد في اللعب. وتقاطرت عليه أجبان المزرعة، وأجبان المصنع، وجبن الكمار، وجبن ليمبورغ -الذي لم يستطع تحمله بسبب رائحته القوية. وسرعان ما تراكمت الكعكات والكرات وارتفعت من حوله لدرجة أن الصبي، عندما نظر إلى الأعلى، شعر كأنه ضفدع في بئر. وتأوه عندما خشي من أن تترنح جدران الجبن العالية وتسقط عليه. ثم صرخ بصوت عالٍ، لكن الجنيات ظنن أنه يغني. لم يكنّ بشرًا كي يعرفن شعور الصبي.

وأخيرًا، بشريحة سميكة في يد وقطعة كبيرة في اليد الأخرى، لم يعد بإمكانه أكل المزيد، مع أن الجنيات، بقيادة الملكة التي تقف على جانب، أو تحوم فوق رأسه، لم تتوقف عن حثه على تناول المزيد.

في تلك اللحظة بالذات، وبينما هو يخشى أن ينفجر، رأى كلاس كومة من الجبن بحجم منزل كامل وهي تنهار وتسقط عليه، فصرخ مرعوبا وهو يعتقد بانه قد انسحق مثل جبنة فريزلاند.

لكن الأمر لم يكن كذلك! لقد استيقظ وفرك عينيه ورأى الشمس الحمراء تشرق على الكثبان الرملية. كانت الطيور تغرد والديوك تصيح من حوله في جوقة واحدة كما لو انها تحييه. وعندها فقط دقت ساعة القرية لتعلن الوقت، وشعر بأن ملابسه مبللة بالندى. فجلس لينظر من حوله. لم تكن هناك من جنيات، لكن في فمه قضمة من العشب يمضغها بشهوة.

لم يروِ كلاس أبدًا قصة الليلة التي قضاها مع الجنيات، مثلما لم يحسم مسألة ما إذا كن قد تركنه بسبب سقوط منزل الجبن الذي كان يحلم به أو لأن ضوء النهار قد أشرق.

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) ويعنون به البلعوم.

(2) جاك فروست (أي جاك الصقيعي) شخصية خيالية تمثل تجسيداً للصقيع والجليد والثلوج والأمطار المتجمدة والشتاء والبرد القارس.

(3) اليراع: ذباب يطير في الليل ويبدو مثل نقطة نارية مضيئة.

(4) حلقة الجنيات: دائرة أو قوس من الفطر تتكون بشكل طبيعي في بعض الأماكن الحرجية أو المراعي.

(5) هذه الأسماء وما يليها هي لمدن هولندية شهيرة بإنتاج الجبن.

من حكايات الهنود الأمريكيين

الحصان الأزرق

مر على الهنود زمن لم يسبق لهم فيه أن رأوا حصانا. وعندما جاء المستكشفون الإسبان الأوائل في سفنهم الكبيرة ومعهم خيولهم، نظر الهنود إلى الغرباء وهم يمتطون ظهورها في عجب شديد، فظنوا الحصان والرجل الذي على ظهره حيوانًا واحدًا، ثم أدركوا خطأهم بعد حين. غير أن وقتًا طويلًا مر عليهم قبل أن يمتلكوا عددًا منها ويتعلموا لغتها.

وكان هناك حصان أزرق عظيم يجوب السهول الغربية وعلى ظهره بقايا ممزقة لما كان غطاءً حريريًا سماوي اللون. لم يحاول أي من الهنود أن يمسك به، بل تركوه يجول كما يحلو له. كان هذا الحيوان البري الحر، في نظرهم، زائرًا من أرض أخرى، من إسبانيا، البلد الذي أرسل إليهم رجالًا أشداء في دروع فولاذية. رجل واحد منهم تجرأ على ركوب الحصان الأزرق وكان أشجعهم جميعًا. وعندما مات ذلك الرجل أطلق الهنود سراح الحصان، لأن الشرر كان يتطاير من عينيه والبرق من حوافره.

وهذه قصة الحصان البري العظيم الذي كان يخشاه الهنود:

في أحد الأيام شاهد شاب هندي شجاع محاربًا إسبانيًا يمتطي حصانًا عبر التلال. كان خائفًا من هذا المحارب الإسباني الطويل الذي يتدرع بالحديد ويمتطي جوادًا يخطر في غطاء مزركش من حرير، لكنه قام من بين الأحراش وأطلق سهمًا أصاب الفارس الإسباني من خلال فتحة في درعه فأسقطه أرضًا. توقف الحصان ووقف فوق رأس فارسه الجريح، واندفع الشاب الهندي نحو الرجل وهو ينوي أن يجندله بسهم ثانٍ. لكن الحصان أخذ يصهل ويضرب الأرض بقدميه في غضب فخاف الهندي وأنزل سهمه ولبث حائرا لا يدري كيف يُبعد الحصان الغاضب. فلم يعرف أحد من الهنود من قبل كيفية التحدث بلغة الأحصنة. صرخ الشاب الهندي بالحصان فكان جوابه أن صهل مرة أخرى وكشف عن أسنانه البيض فتراجع الهندي وعلى وجهه نظرة مندهشة.

وعندما رأى الاسباني الجريح أن الهندي لا يعرف كيف يتفاهم مع الحصان أخبره بلغة الاشارات بأنه سيعلمه لغة الأحصنة إذا استبقاه حيًا، فأومأ الهندي برأسه موافقًا. وفي ذلك اليوم تفاجأ أبناء القبيلة برؤية ابنهم الشاب يصل المخيم راكبا على ظهر الحصان الأزرق وهو يُجلس الإسباني الجريح أمامه.

وظل الإسباني يعيد على مسامع الشاب الهندي الكلمات التي يخاطبون بها الخيول كي يسيروا أو يتوقفوا أو يركضوا إلى أن تعلم الهندي التحدث بها. وأخيرًا مات الإسباني متأثرًا بجراحه، لكن ليس قبل أن يعلّم الهندي لغة الخيول. لم يعد الشاب الشجاع خائفًا من امتطاء الحيوان، لكنه خشي أن ينتزع من الحصان غطاءه الأزرق السماوي، لأنه اعتقد بأنها قطعة قماش سحرية ضرورية لمنع الحصان من ركل أطفال القبيلة وعض رؤوس أهلها.

كان الحصان الأزرق العظيم سريعًا كما الريح وهو يمخر البراري مثل ظلال السحب وحوافره الطافية في الهواء تضرب الأرض كقصف الرعد في سماء الصيف فأطلق عليه سيده اسم الأزرق السريع. ولم يجرؤ أحد من الهنود الآخرين على الاقتراب منه. لأنهم لم يعرفوا لغة الخيول، وخافوا من أن يسقطهم أرضًا ويسحقهم بحوافره.

وعندما لقي سيد الحصان حتفه في إحدى المعارك قرر الهنود أن يتخلصوا منه بإبعاده إلى البراري كي يجول فيها بعيدًا عنهم، فاقتادوه إلى خارج المخيم وحلوا لجامه وأطلقوه هو والغطاء الحريري الذي على ظهره. وهكذا حدث أن جاب حصان أزرق وحيد الأرض زمنًا طويلًا. فكان يركض أحيانًا ويثير غمامات من الغبار وينادي دائمًا للآخرين من نوعه.

وأخيرا التقى بخيول أخرى هربت من أصحابها الإسبان وجاءت للعيش مع هذا الحصان الأزرق الوحيد ذي شرائط الحرير الزرقاء التي ترفرف فوق ظهره ورقبته. وأصبح ملكًا عليهم وصار نسل تلك الجياد الإسبانية خيولًا متوحشة تركض في قطعان كبيرة انحدر العديد من أفرادها من نسل ذلك الحصان الأزرق العظيم القادم من إسبانيا البعيدة.

(عن الانكليزية)

عروس الجنّ

في سالف الزمان عاشت فتاة جميلة تدعى نيم زو هي الابنة الوحيدة لزعيم هندي يعيش على شاطئ البحيرة العليا[1] إن اسم نيم زو يعني في اللغة الهندية "حياتي العزيزة". كان من الواضح أن والديها أحباها حبًا جمًا وفعلا كل ما في وسعهما لإسعادها وحمايتها من أي ضرر محتمل. لكن أمرًا واحدًا أقض مضجعهما: فعلى الرغم من أنها الصديقة المفضلة لبنات القرية الأخريات اللاتي كثيرًا ما شاركتهن اللعب والمرح، فقد كانت تهوى التنزه لوحدها في الغابة أو تتبع أية آثار ضعيفة تؤدي إلى قلب التلال الصغيرة فتغيب أحيانا لساعات طوال، وعندما ترجع إلى بيتها تبدو عيناها وكأنهما تعودان لإنسان قدم من أماكن قصية تكتنفها الأسرار ورأى أشياء غريبة وغامضة. ترى ما الذي كانت نين إي زو تراه وتسمعه في تجوالها من غير رفيق في تلك الأماكن المحاطة بالأسرار بين التلال؟ هل هي الجنيات؟ لم تجب عن ذلك قط. لكن أمها التي تتمنى لها أن تكون مثل الفتيات الأخريات، وتتوق لرؤيتها تتزوج وتستقر، كانت شديدة القلق.

دأب أهل القبيلة على الاعتقاد بأن أفراد الجن المولع بالعبث والإزعاج التي يطلقون عليهم اسم (بوك ودجي) يسكنون الكثبان الرملية التي غالبا ما تذهب اليها نيم زو للنزهة والتجوال. أنها التلال الرملية التي صنعها الجندب العظيم يوم رقص بجنون في حفل زفاف مان-آ-بو-زو وأثار الرمال خالقا منها هذه المنحنيات والتلال العظيمة التي ما زالت ترى إلى اليوم. أحب الجن تلك التلال التي نادراً ما زارها الهنود، فهي المكان المفضل لديها للمرح واللعب. قيل إنهم يجتمعون ها هنا في ساعات الغروب أيام الصيف ويتوزعون في فرق صغيرة يمارسون أنواع اللعب والمزاح والمقالب، ثم يسارعون بحلول الليل إلى الاختباء في غابة من أشجار الصنوبر يدعونها غابة الأرواح. لم يقترب أحد منهم من قبل، غير أن الصيادين، وهم يجدفون بقواربهم في البحيرة، ظفروا منهم بلمحات خاطفة من بعيد وسمعوا الأصوات الخافتة لهذه المخلوقات

الصغيرة وهي تضحك أو تنادي بعضها البعض، لكنها تسارع إلى الاختباء في الغابة كلما حاول الصيادون تتبعها، على أن آثار أقدامها، التي لا تزيد على أقدام الأطفال، يمكن رؤيتها على الرمال الرطبة للبحيرة الصغيرة بين التلال.

وإذا ما دعت الحاجة إلى إقناع المشككين الذين لا يؤمنون بالجن، سارع الصيادون الذين وقعوا فريسة ألاعيبهم وحيلهم إلى تقديم الأدلة على وجودهم. لم يؤذِ أولئك الجن أحداً قَط، لكنهم كانوا قادرين على إلحاق العديد من أنواع الإزعاج الطفيف؛ فقد يحدث أن يستيقظ صياد منهم ليجد ريش قبعته منتوفا، وقد يعثر صياد سمك على مجذافه الذي فقده مخبئا بين أغصان شجرة. وعندما تحدث مثل هذه الأشياء، يبدو جلياً أن الجن قد عادوا إلى مقالبهم. وكان عدد قليل من الأشخاص بما يكفي من الحمق للاعتقاد بأي تفسير آخر. أما نيم زو فقد احتفظت بأفكارها الخاصة بشأن هؤلاء القوم الصغار لأنها اعتادت، مثل ألق الصباح، على سماع الحكايات التي يرويها العجوز إياغو[2]. إحدى هذه القصص هي قصة بلاد السعادة، ذلك المكان البعيد حيث الفصل صيف على الدوام، وحيث لا يبكي أحد أو يقاسي الأحزان. طالما تنهدت متفكرة في تلك البلاد التي تملكت فكرها نهارًا وهي تنشد تلك الأماكن السرية بين التلال وتجلس في مكان منعزل ما تستمع فيه إلى الأصوات الغامضة التي تهمس في النسيم وتتساءل عن مكان تلك البلاد السعيدة، هذا المكان الذي يخلو من العناء والألم؟

وفي الليل، عندما تغوص في سريرها متعبة، يتسلل اليها الرسل الصغار لروح النوم (وينز) الخارجين من مخابئهم. كانت تلك المخلوقات الصغيرة الطيبة- الأصغر من أن تراها العين- تزحف مسرعة إلى وجه نيم زو المرهقة وتربت برفق على جبينها بهراواتها الحربية الصغيرة، التي تدعى مخالب القتال[3]. تربت وتربت حتى تغمض عينيها وتمضي إلى بلاد السعادة في أرض الأحلام الجميلة.

لقد رأت هي الأخرى آثار أقدام الجن على الشاطئ الرملي للبحيرة الصغيرة، وسمعت ضحكهم المرح في غابة الصنوبر، وسألت نفسها:

- أهذا مسكنهم الوحيد، أم أنهم ليسوا إلا رسلًا من بلاد السعادة، بعثوا كي يبينوا الطريق لهذه الانسانة التي طالما آمنت بوجودها وتاقت إلى دخولها؟

وانتهت نيم زو إلى الاعتقاد بأن الأمر كذلك حقًا. فأصبحت تشق طريقها أكثر من السابق إلى المرج المطل على غابة الأرواح وتجلس هناك وهي تحدق فيها. فلربما يفهم البوك-ودجي

ويخبرون الجنيات اللاتي يخدمونهن ثم تظهر، في يوم من الأيام، جنية على حافة أشجار الصنوبر وتدعوها إلى القدوم. لقد آمنت بأن هذا ما سيحدث بالتأكيد، إذا ما تمنته لفترة كافية واستطاعت أن تهب رغباتها أجنحة تطير بها. وهكذا ألفت، وهي جالسة هناك، كلمات أغنية ضبطت ألحانها على أنغام حفيف أشجار الصنوبر، ساعة تحرك الرياح الجنوبية أغصانها. ثم أخذت تغني:

"يا روح الاوراق الضاحكة

يا جنية غابة الصنوبر

أنصتي للصبية التي

تبكي حنينا لبلادك السعيدة.

ومن طرادك في رحاب الصيف

اسرعي لصبيتك الحزينة"

هل كان مجرد خيالها هو من أوحى اليها بأنها تسمع الكلمات الختامية لأغنيتها يتردد صداها من الغابة العميقة حيث تختبئ المخلوقات الصغيرة؟ أم أن البوك-ودجي يسخرون منها؟ لقد تأخرت أكثر من المعتاد، وأزف موعد عودتها. تمايل الهلال الجديد منخفضًا في السماء الغربية ورأساه يشيران نحو السماء حتى أن الرجل الهندي قد يدعي بأنه يمكن أن يعلق قرن بارودة عليه[4] وهذا يعني حلول موسم الجفاف عندما تتكسر الأوراق تحت أقدام الصيادين وتهرب الحيوانات أمامهم قبل أن يتمكنوا من الاقتراب بها يكفي لإطلاق النار، وهذا أمر يسر نيم زو:

- في بلاد السعادة لن يعاني أحد ولن تُزهق أية نفس.

ومع ذلك أرادت والدتها أن تزوجها بأحد الصيادين، رجل قضى حياته كلها في ذبح الأيائل الحمر في الغابة ولم يفكر يوما أو يتحدث عن أي موضوع آخر.

خطر هذا في ذهنها وهي تقوم من مقعدها في المرج وتلقي نظرة الوداع على أشجار الصنوبر. كان شعاع الهلال يلقي عليها نوراً خافتا، وتحرك خيالها من جديد. ما هذا الذي بدا كأنه يتحرك على طول حدود الغابة الغامضة؟ إنه شيء يشبه شبحا باهتا لفتى أطول قليلا من البوك ودجي ينزلق على الأرض بدلاً من أن يمشي، وثيابه ذات اللون الأخضر الفاتح تبرز مقابل الخضرة الداكنة لأشجار الصنوبر. نظرت مرة أخرى، لكن القمر كان قد اختبأ خلف التلال

وغمر الظلام الحالك كل شيء، ولم يعد يبلغ الأسماع سوى الصيحات المروعة لطائر السُبَد[5]. أسرعت الفتاة إلى المنزل، وفي تلك الليلة سمعت من شفتي والدتها ما كانت تتوقعه وتخشاه منذ فترة طويلة. قالت والدتها:

- «يا نيم زو. لقد أطلقت عليك هذا الاسم الذي يعني حياتي العزيزة، وأنت حقا عزيزة عندي مثل الحياة. ولهذا أتمنى لك أن تكوني آمنة وسعيدة وأن تتزوجي من رجل صالح يعتني بك الآن، ويحميك ويريحك عندما أرحل. أنت تعرفين الرجل الذي أعنيه».

- "نعم يا أماه (أجابت نيم زو) أعرفه تمام المعرفة. إنه يصطاد الغزلان، يقتل الغزلان، ويسلخ الغزلان. هذا كل ما يفعله، هذا كل ما يفكر فيه ويتحدث عنه. ربما يكون جيدا أن يقوم أحد بهذه الأمور مخافة أن نتضور جوعًا بسبب نقص اللحوم. ومع ذلك، هناك العديد من الأشياء الأخرى في العالم، وصيادك هذا يبدو راضيا مقتنعا بأن لا يفعل شيئا سوى القتل".

- "يا طفلتي المسكينة! أنت أصغر من أن تعرفي ما هو الأفضل لك".

- "أنا كبيرة بما يكفي يا أمي العزيزة لأعرف ما يخبرني به قلبي. ثم إن هذا الصياد الذي تريدين تزويجي منه هو بطول شجرة البلوط اليافعة، بينما أنا لست أطول بكثير من أحد الجن. عندما أقف فاردة طولي لا يكاد رأسي يبلغ خصره. سنشكل ثنائيا مضحكا!"

كان ما قالته صحيحًا تمامًا. لم تنمُ نيم زو أبدًا لتصبح أكبر بكثير من الأطفال. كان لديها جسد رشيق وضئيل، ويدان وقدمان صغيرتان، وعينان سوداوان مثل ظلام الليل، وفم مثل زهور المروج. من يراها للمرة الأولى وهي تمر على التلال، وشخصها الصغير مرسوم على خلفية من السماء، قد يحسبها جنية من عالم الحكايات. كانت نيم زو سعيدة في أغلب الأحيان على الرغم من طبيعتها اللطيفة الهادئة وحبها للأماكن المنعزلة، غير أنها لم تعد تضحك الان إلا في القليل النادر. غدت خطواتها بطيئة، وصارت تسير وعيناها مثبتتان على الأرض. لكن أمها قالت:

- «عندما تتزوج ستكون لديها أشياء أخرى تشغل عقلها، ولن تهيم حالمة بين التلال».

غير أن التلال كانت فرحتها العظيمة. تلك التلال والمروج المزهرة حيث تتمايل القبرات ذهابا وإيابا، وتغمرها السعادة إذ تراها تحط على سيقان آذان الدب[6]. لقد اعتادت أن تجلس

هناك عصر كل يوم لتغني أغنيتها الصغيرة. لكنها ستتوقف عن الغناء عما قريب. كانت الشمس الغاربة تصبغ بستان الصنوبر بضياء ذهبي، بينما يشكي طائر السُبَت همومه للنجوم. لكن الصورة لن تعود مكتملة؛ فلن تكون هناك نيم زو. لقد حُدد يوم الزفاف. عليها أن تصبح زوجة الصياد.

في اليوم المحدد لزواجها من الرجل الذي لا تحبه ارتدت نيم زو ثياب العرس. لم يسبق لها ان كانت بهذا الجمال. ثمة ورود حمراء ملتهبة في شعرها الأسود الفاحم؛ وكانت تحمل في يدها باقة متنوعة من أزهار المرج تخالطها خصلات الصنوبر. بهذا المظهر البديع انطلقت في زيارة وداع للغابة. أنه شيء لا يمكنهم إنكاره عليها، لكن عندما سارت في طريقها وأخفتها التلال عن الأنظار نظر ضيوف حفل الزفاف إلى بعضهم البعض بقلق، إذ حدث شيء لا يمكنهم تفسيره. ففي تلك اللحظة بالذات تجمعت سحابة قادمة من لا مكان وحجبت ضياء الشمس الذي استحال إلى ظل معتم. هل كانت علامة من نوع ما؟ ألقوا نظرة مواربة على الصياد، لكن العريس كان يشحذ سكينه على الحجر غير مبال بضياء الشمس أو الظل، كانت أفكاره وراء الغزلان!

ومر الوقت لكن نيم زو لم تعد. ثم جاءت الساعة التي تفاقم فيها قلق الضيوف وأخذوا يتساءلون عما أبقاها هناك كل هذا الوقت. وخرجوا أخيرا ليبحثوا عنها بين التلال. لم تكن هناك. وتتبعوا آثار أقدامها الصغيرة في المرج حتى قادتهم إلى مدخل الغابة نفسها؛ ثم تلاشى أثرها؛ لقد اختفت نيم زو ولم يروها بعد ذلك أبدا.

في اليوم التالي جاءهم صياد بأخبار غريبة. كان قد تسلق أحد التِلال أثناء عودته إلى منزله سالكًا طريقًا مختصرًا، وتوقف هناك للحظة كي ينظر إلى ما حوله. عندها فقط ركض كلبه نحوه وهو يئن وذيله بين ساقيه.

- «إنه كلب شجاع (قال الصياد) لا يهرب حتى من الدب، لكنه تصرف كما لو أنه رأى شيئًا ليس من عالمنا».

ثم سمع الصياد صوتا يغني، وسرعان ما توقف الغناء، وميز من بعيد صورة نيم زو وهي تسير مباشرة نحو البستان وذراعاها ممدودتان أمامها. وناداها فلم تسمع.

- «كانت تسير كالحالمة (قال الصياد) وعندما أوشكت على الوصول إلى الغابة خرج للقائها فتى نحيف مثل القصبة. ليس من قبيلتنا. لا، لم أرَ مثيله قط. كان يرتدي حلة من أوراق الغابة وثمة ريشات خضراوات تتمايل فوق رأسه. أمسكها من يدها ودخلا إلى الغابة المقدسة. لقد كان جنيا دون شك- الجني الأخضر. ليس عندي ما أضيف، لقد انتهيت من كلامي!»

وهكذا أصبحت نيم زو عروسًا في خاتمة المطاف.

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) البحيرة العليا، وتعرف عند الأمريكيين الأصليين باسم «غيتشي غومي» وهي أكبر البحيرات الخمس العظمى في أمريكا الشمالية وأكبر بحيرة للمياه العذبة في العالم من حيث المساحة. تشترك فيها كندا والولايات المتحدة.

(2) أنظر حكاية كيف جاء الصيف المنشورة في هذا الكتاب.

(3) مخالب القتال: سلاح محلي يستخدمه الأمريكيون الأصليون ذو مظهر مماثل للهياكل الخشبية للبنادق التقليدية.

(4) قرن البارود هو وعاء مصنوع من قرون الأبقار والثيران أو الجاموس يحتفظ فيه الهندي بمسحوق البارود.

(5) السُّبَد: طائر ينشط في الليل أو الفجر. متوسط الحجم، ذو أجنحة طوال ومناقير قصار وريش مختلف الألوان وصفير متقطع مميز ويشتهر أحد أفراد فصيلته بملهي الرعيان أو السبد المصري.

(6) آذان الدب أو البُوصِيرُ أو البوصفير جنس يضم أكثر من 350 نوعًا من النباتات الحولية الوبرية التي تنمو في أوروبا وآسيا. وتُعدّ الأماكن الحجرية الجافة في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط مناطق مناسبة لها.

كيف جاء الصيف

سئمتْ ألقُ الصباح[1] من الشتاء وتاقت للربيع. لقد بدا الأمر كما لو أن (كا-بب-أون-أوكا ، إله الرياح الشمالية الشرسة، لن يعود أبدًا إلى منزله في أرض الجليد. لقد جمد بأنفاسه الباردة مياه البحر الكبير (كج كومي) وغطاها بالثلج إلى عمق كبير حتى لم تعد تستطيع تمييز البحيرة العظيمة عن الأرض. كان العالم كله، باستثناء أشجار الصنوبر الخضراء الجميلة، متشحًا بالبياض- عالمًا صامتًا يغشي العين لا تسمع فيه موسيقى خرير الماء ولا أغنيات للطيور.

- «ألن يأتي أبو الحناء[2] مرة أخرى؟ (تنهدت ألق الصباح وأضافت) تخيّل يا (إياغو) لو لم يكن هناك صيف في أي مكان، ولم تكن ريح جنوبية تجلب البنفسج والحمام، ألن يكون الأمر مروعًا؟»

- « أصبري يا ألق الصباح (أجاب الرجل العجوز) ستسمعين قريبًا الإوزة البرية وهي تحلق عاليًا في طريقها إلى الشمال. لقد عشت الكثير من الأقمار[3]. أحيانا يبدو كأنه قد تأخر طويلاً، لكنه يأتي دائمًا. عندما تسمعين نداءه فأن ريح الجنوب لن تتخلف كثيرًا وراءه».

- «سأحاول التحلي بالصبر. (قالت ألق الصباح) لكن ريح الشمال قوية جدًا وشرسة. لا يسعني إلا أن أتساءل عما إذا كان هناك وقت كانت فيه قوته عظيمة لدرجة أنه جعل منزله هنا دائمًا. إن مجرد التفكير في الأمر يجعلني أرتعش!»

نهض إياغو من مكانه بالقرب من النار وأزاح جانبا ستارة جلد الجاموس التي تسد المدخل وأشار إلى السماء الصافية المتألقة بالنجوم.

- «أنظري هناك (قال إياغو).. في الشمال. انظري إلى تلك الكوكبة الصغيرة من النجوم. هل تعرفين ماذا نسميها؟»

فانبرى (ريش النسر) قائلا:

- «أنا أعرف، إنها كوكبة الدَلَق[4]. إذا نظرت إليها سترى مجموعة النجوم التي تشكل جسد الدلق ممدودًا وسهم يخترق ذيله. انظري يا أختي».

- «الدلق (كررت ألق الصبا) أتقصد الحيوان الصغير ذا الفرو، ذاك الشبيه بالثعلب؟»

- «نعم هذا صحيح».

- «آه، فهمت. ولكن لماذا يتمدد الدلق بهذه الطريقة في السماء والسهم يخترق ذيله؟»

- «لا أعرف السبب بالضبط (اعترف ريش النسر) أعتقد أن بعض الصيادين كانوا يطاردونه. ربما يستطيع إياغو إخبارنا".

أسدل إياغو الستارة وعاد إلى النار وقال لألق الصباح:

- «أنت محقة باعتقادك بأن زمنًا مضى لم يكن فيه صيف على الأرض. حتى وجد الدلق المسمى أوجيك طريقة لإخراج الصيف من السماء. كان الثلج يغطي كل أرجاء الأرض، وكان الجو دائم البرودة. ولولا استعداد الدلق أوجيك لتقديم حياته لكي نشعر كلنا بالدفء لكان ريح الشمال (كا بيب أون أوكا) سيحكم العالم كله كما يحكم الآن أرض الجليد".

ثم جلس ألق الصباح وريش النسر على السجادة الناعمة التي كانت ذات يوم المعطف الشتوي للدب (كموك وا) ليقص لهم إياغو كيف جاء الصيف:

- "في الغابة البرية التي تحد البحيرة العظمى عاش صياد عظيم يدعى (أوجيك). ما من أحد يعرف الغابة جيدًا مثله؛ إذ بينما كان الآخرون يتيهون دون آثار ترشدهم، كان أوجيك يجد طريقه بسهولة وبسرعة سواء في الليل أو في النهار بين الأشجار والنباتات المتشابكة التي لا تخلف أثراً. كان يتتبع الأيل الأحمر أينما ذهب، ولم يستطع أي دب أن ينجو من ملاحقته السريعة. إن لديه دهاء الثعلب وقوة احتمال الذئب وسرعة الديك الرومي البري حين يركض وقد شم رائحة الخطر. سهامه لم تخطئ هدفها يومًا، وحين ينوي الخروج في رحلة ما لا توقفه عاصفة أو ثلج. كان يفعل كل ما يعد بفعله، بل يفعله على أتم وجه. كل هذا دفع البعض إلى الاعتقاد بأن أوجيك كان مانيتو، وهو الاسم الهندي لمن لديه قوى سحرية. بدا هذا مؤكدًا؛ إذ يمكنه، متى ما شاء، أن يحول نفسه إلى الحيوان الصغير المعروف باسم الدلق؛ وربما لهذا السبب صار على علاقة ودية مع بعض الحيوانات المستعدة على الدوام لمساعدته كلما دعاهم، ومن بين هؤلاء ثعلب الماء[5]، والقندس[6] والوشق[7] والغرير[8] والشره[9].

وجاء وقت صار في حاجة ماسة لخدماتهم فلم يتأخروا في تقديم العون كما سنرى:.
كان لأوجيك زوجة يحبها كثيرًا وابن يبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا، يتوقع له أن يصبح صيادًا عظيمًا مثل والده. ولقد أظهر بالفعل مهارة فائقة في استخدام القوس والسهم؛ فإذا ما منع عارضٌ أوجيك من إمداد الأسرة بالطرائد التي يعيشون عليها، شعر ابنه بأنه يستطيع قنص أكبر عدد ممكن من السناجب والديوك الرومية للحؤول بينهم وبين الهلاك من الجوع. دأب أوجيك على حمل لحم الغزال ولحم الدب والديك الرومي البري إلى البيت، ولهذا كان لديهم الكثير ليأكلوه. ولولا البرد لكان الصبي في أتم سعادة، فقد كانوا يرتدون ملابس دافئة من الفراء وجلد الأيل، وكان أمامهم كل حطب الغابة لإبقاء نارهم مشتعلة. ومع ذلك كان البرد محنتهم العظيمة، فهم في شتاء دائم، ولم يذب الثلج السميك يومًا.

من مكان ما سمع بعض كبار السن من الحكماء أن السماء ليست سقف عالمنا فحسب، بل هي أيضًا أرضية لعالم جميل وراءها، عالم تغني فيها طيور زاهيات الريش بأعذب الألحان، في فصل دافئ جميل يسمى الصيف. إنها لقصة جميلة تمنى الناس تصديقها، وربما ذهبوا إلى أنها قد تكون حقيقية، يدعوهم إلى ذلك كون الشمس بعيدة جدًا عن الأرض وقريبة جدًا من السماء نفسها.

اعتاد الصبي أن يحلم بهذا الأمر وأن يتساءل عما يمكن عمله. إن والده يستطيع فعل أي شيء. لقد أكد البعض بأنه مانيتو. ربما يمكنه إذن أن يجد طريقة ما لجلب الصيف إلى الأرض. سيكون ذلك أعظم شيء على الإطلاق.

في بعض الأحيان كان الجو باردًا لدرجة أن أصابعه تتجمد وتتقرح من الصقيع عندما يدخل الغابة حتى لا يعود قادرا على تثبيت سهمه في وتر القوس ويضطر للعودة إلى البيت دون غنيمة. وفي يوم ما، وبينما هو يسير في أعماق الغابة عائدا إلى بيته خالي الوفاض، رأى سنجابًا أحمر يجلس على قائمتيه الخلفيتين فوق جذع شجرة مقطوعة ويقضم كوز صنوبر. ولم يحاول السنجاب الصغير الهرب عندما اقترب الصياد الشاب بل خاطبه قائلا:

- "اسمع يا حفيدي، ثمة شيء أود أن أخبرك به وسوف تسعد بسماعه. أبعد سهامك ولا تحاول التسديد علي، وسأعطيك بعض النصائح الجيدة".

تفاجأ الفتى، لكنه أرخى قوسه وأعاد السهم إلى جعبته فقال السنجاب:

- «والآن، أنصت جيدًا لما أقول: إن الأرض مغطاة بالثلج دائمًا والصقيع يجمد أصابعك ويجعلك تعيسًا. أنا أيضا مثلك لا أحب البرد. ليس هناك، في الحقيقة، ما يكفي من طعام في هذه الغابة، حيث الأرض متجمدة طوال الوقت. يمكنك أن ترى مقدار هزالي فليس في كوز الصنوبر الكثير مما يؤكل. ستحل علينا نعمة عظيمة إذا نجح شخص ما في إنزال الصيف من السماء».

- "أصحيح ما يقال من أن ثمة أرض دافئة لطيفة فوق السماء، حيث لا يمكث الشتاء إلا لبضعة أشهر فقط؟"

- "نعم هذا صحيح. نحن الحيوانات نعرف ذلك منذ زمن طويل. إن (كين-يو) النسر المقاتل الذي يحلق بالقرب من الشمس قد رأى ذات مرة صدعًا صغيرًا في السماء أحدثه البرق (وَي واسي مو) خلال عاصفة عظيمة غطت الأرض كلها بالمياه. لقد شعر النسر كين-يو بالهواء الدافئ المتسرب من خلاله، لكن الناس الذين يعيشون فوقه أصلحوا الصدع خلال لحظات، ولم ترشح السماء أبدًا مرة أخرى".

- "إذن كان شيوخنا الحكماء على حق. إن والدي أوجيك يستطيع أن يفعل كل أمر ينويه. هل تعتقد بأنه يستطيع عبور السماء وإحضار الصيف إلينا إذا بذل كل جهده؟"

- "بالطبع! (صاح السنجاب) هذا ما دعاني إلى التحدث اليك بهذا الصدد. إن والدك مانيتو، وسيحاول ذلك إذا توسلت إليه بقوة وأخبرته بمقدار تعاستك. عندما تعود إلى البيت أظهر له أصابعك المتجمدة المتقرحة. أخبره كيف تتجول طوال اليوم في الثلج ومدى صعوبة العودة إلى المنزل. أخبره بأنك قد تتجمد تماما في يوم ما ولا تعود أبدًا. عندها سيفعل ما تطلبه لأنه يحبك حبا جما".

شكر الصبي السنجاب ووعد باتباع هذه النصيحة. ومنذ ذلك اليوم لم يترك والده ينعم بساعة من سلام حتى رضخ أوجيك وقال له:

- «يا بني. إن ما تطلب مني فعله شيء خطير لا أعرف ما قد ينتج عنه. لكن قوتي بصفتي مانيتو لم توهب لي إلا لأستغلها في فعل الخير، ولا يمكنني أن أستخدمها بأفضل من محاولة إنزال الصيف من السماء وجعل العالم مكانًا أكثر متعة للعيش».

ثم أعد وليمة دعا إليها أصدقاءه ثعلب الماء والقندس والوشق والغرير والشره، وتشاوروا ليقرروا ما يفعلون.

كان الوشق أول من تكلم. لقد سافر كثيرا وجاب العالم على أطرافه الطوال وزار أماكن غريبة كثيرة. ثم أنك، إذا ما ملكت عيونا قوية ونظرا حادا وتطلعت إلى السماء في ليلة صافية غير مقمرة، فسوف يسهل عليك رؤية مجموعة صغيرة من النجوم التي يقول كبار السن الحكماء إنها تشبه الوشق تمامًا، وهذا ما منحه قدرا من الأهمية، لاسيما في أمور من هذا النوع. لذلك أصغى الآخرون اليه باحترام كبير عندما بدأ الحديث وقال:

- «ثمة جبل عالٍ لم يره أحد منكم من قبل ولم يسبق لأحد أن رأى قمته لأن الغيوم تغطيه على الدوام، لكن قيل لي إنه أعلى جبل في العالم تقريبًا وإنه يلامس السماء».

عندها ضحك ثعلب الماء. إنه الحيوان الوحيد القادر على الضحك، لكنه يضحك أحيانًا دون سبب واضح غير حبه للتباهي واعتقاده بأنه أكثر ذكاءً من الحيوانات الأخرى.

- «علامَ تضحك؟»

سأل الوشق، فأجاب ثعلب الماء:

- «أوه، لا شيء! كنت أضحك فقط».

- "يومًا ما سوف يوقعك ذلك في المشاكل. هل تظن أن مثل هذا الجبل ليس له وجود لمجرد أنك لم تسمع به من قبل؟"

- "هل تعرف كيف تصل إليه؟ (سأل أوجيك) ربما وجدنا طريقة لاختراق السماء إذا نجحنا في بلوغ القمة. تبدو هذه خطة جيدة"

- "هذا ما كنت أفكر فيه (قال الوشق) صحيح أنني لا أعرف أين هو بالضبط. لكن على مسافة شهر من هنا يعيش مانيتو على شكل عملاق. إنه يعرف، ويمكنه إخبارنا".

وهكذا ودّع أوجيك زوجته وابنه الصغير، وفي اليوم التالي بدأ الوشق الرحلة الطويلة، يتبعه أوجيك والآخرون. وصدق ما قاله الوشق؛ إذ وصلوا بعد مسيرة شهر كامل إلى نزل (كما يسمي الرجال البيض الخيمة الهندية) ورأوا هناك مانيتو واقفًا في المدخل. كان رجلاً غريب المظهر لم يروا مثيله من قبل، ذا رأس ضخم وثلاثة عيون، واحدة منها في جبهته فوق العينين الأخريين.

دعاهم المانيتو إلى الكوخ ووضع أمامهم بعض اللحم، لكن نظرته كانت غريبة وحركاته خرقاء جدًا لدرجة أن ثعلب الماء لم يستطع منع نفسه من الضحك. عندها احمرت العين الموجودة في جبين مانيتو مثل جمرة فحم وقفز على ثعلب الماء الذي تمكن بالكاد من الفرار عبر المدخل إلى البرد القارس وظلام الليل دون أن يتذوق لقمة من العشاء. وعندما ذهب الثعلب بدا مانيتو راضيًا وأخبرهم أنه يمكنهم قضاء الليل في نزله ففعلوا ذلك، ولاحظ أوجيك، الذي ظل مستيقظًا أثناء نوم أصدقائه، أن عينين فقط من عيون المانيتو كانتا مغلقتين بينما بقيت عينه التي في جبهته مفتوحة. عند الصباح طلب المانيتو من أوجيك أن يمضي من فوره نحو نجم الشمال وأخبره بأنهم سيصلون إلى الجبل في غضون عشرين شمسًا -الاسم الهندي لليوم- ثم أضاف:

- «بما أنك أنت نفسك مانيتو، فقد تكون قادرًا على بلوغ القمة وأخذ أصدقائك معك. لكن لا يمكنني أن أعدك بأنك ستستطيع النزول مرة أخرى».

- "كل ما أرجوه أن تكون القمة قريبة قربا مناسبا من السماء".

وانطلقوا من جديد فالتقوا في طريقهم بالثعلب الذي ضحك مرة أخرى حين رآهم، لكنه ضحك هذه المرة لسببين؛ العثور عليهم والحصول على بعض اللحم الذي اذخره أوجيك من عشاء مانيتو. وبعد عشرين يومًا وصلوا إلى سفح الجبل ثم تسلقوا وتسلقوا حتى اخترقوا الغيوم، الى أن توقفوا أخيرًا وقد تقطعت أنفاسهم، وجلسوا كي يستريحوا على أعلى قمة في العالم. وكان من دواعي سرورهم أن السماء بدت قريبة جدًا لدرجة أنهم تمكنوا من لمسها تقريبًا. ملأ أوجيك ورفاقه غلايينهم. لكن قبل أن يشرعوا في التدخين دعوا الروح العظيمة ملتمسين منها أن توفقهم في مسعاهم، وأشاروا بالطريقة الهندية إلى الأرض وإلى السماء من فوقهم وإلى الرياح الأربع. وعندما انتهى أوجيك من تدخين غليونه قال:

- «والآن. من منكم يستطيع القفز أعلى من غيره؟»

ضحك ثعلب الماء فأمره أوجيك:

- «اقفز إذن!»

قفز ثعلب الماء فارتطم رأسه بالسماء لكنها كانت أصلب من رأسه فسقط مرة أخرى، وعندما اصطدم بالأرض أخذ ينزلق على الجبل وسرعان ما غاب عن الأنظار ولم يروه بعد ذلك.

- «يا للقرف! (نخر الوشق) فليرنا كيف سيضحك الآن!»

وجاء دور القندس فضرب السماء هو الآخر، لكنه تكوم على الأرض. ولم يكن حظ الغرير والوشق بأفضل وظلت رؤوسهم تؤلمهم بعد ذلك لوقت طويل.

- «الأمر كله يتوقف الآن عليك (قال أوجيك للشره) أنت الأقوى من بينهم. هل أنت جاهز؟ الآن.. اقفز!»

قفز الشره ثم سقط أرضا، لكنه نزل على قدميه، سليمًا وصحيحاً.

- «هذا حسن! (صاح أوجيك) حاول مرة أخرى».

وفي هذه المرة أحدث الشره انبعاجا صغيرا في السماء.

- "إنها تتصدع! (صاح أوجيك) الآن.. مرة أخرى!"

وقفز الشره للمرة الثالثة فإذا به يخترق السماء ويغيب عن الأنظار، وسرعان ما تبعه أوجيك.

ونظرا من حولهما فرأيا أرضًا رائعة الجمال. وقف أوجيك الذي قضى حياته بين الثلوج كما لو كان في حلم، متسائلاً إن كان ما يراه صحيحًا. لقد خلّف وراءه عالماً باردا أجرد يلفه الشتاء بالبياض متجمد المياه على الدوامٍ، عالما لا أغنية فيه أو لون. وها قد جاء الآن إلى بلاد تمتد مثل سهل أخضر رائع، حيث الورود الزاهية بألوانها، وحيث تغني الطيور ذات الريش الجميل وسط الأغصان المورقة للأشجار المثقلة بالفاكهة الذهبية. كانت الجداول تجري عبر المروج وتصب في البحيرات الجميلة، والنسيم العليل يهب محملا بأريج ملايين الزهور. نعم، إنه الصيف! وعلى طول ضفاف البحيرة تناثرت الأكواخ التي يعيش فيها سكان السماء الذين أبصروهم من بعيد. ونظروا إلى الأكواخ فإذا هي فارغة، لكن أمامها أقفاص معلقة فيها الكثير من الطيور الجميلة. كان هواء الصيف الدافئ قد بدأ بالفعل في الاندفاع عبر الفتحة التي أحدثها الشره. وسارع أوجيك الآن لفتح الأقفاص حتى تتمكن الطيور من الفرار. وعندما رأى سكان السماء ما يحدث أطلقوا صرخة عظيمة. لكن الربيع والصيف والخريف كانوا قد هربوا بالفعل من خلال تلك الفتحة نحو العالم الذي تحتها، ومعهم الكثير من الطيور.

وتمكن الشره أيضًا من الوصول إلى الحفرة والنزول إلى الأرض قبل أن يمسكه سكان السماء. لكن أوجيك لم يكن محظوظًا تماماً. لقد تبقت بعض الطيور التي يعلم أن ابنه يرغب في رؤيتها، فواصل فتح الأقفاص، وفي هذا الوقت كان سكان السماء قد أغلقوا الحفرة وفات الأوان على أوجيك. وبينما هو يفر من مطاردة سكان السماء حوّل نفسه إلى دلق وأخذ يركض بأقصى سرعته

مخترقا السهل نحو الشمال. لقد عرف أنه يستطيع الركض بشكل أسرع إذا اتخذ هذا الشكل، وأن أية سهام ستعجز عن إيذائه ما لم تصبه في نقطة معينة بالقرب من طرف ذيله. لكن سكان السماء زادوا من سرعتهم ولحقوا به فتسلق شجرة عالية. كانوا رماة جيدين، وأطلقوا عددًا كبيرًا من السهام حتى أصاب أحدها أخيرًا تلك النقطة المميتة. أدرك الدلق أن منيته قد حانت، ونظر إلى أعدائه فرأى أن بعضهم علّموا أجسادهم بطواطم أو شارات عائلته وقبيلته فدعاهم قائلاً:

- «يا ابناء العم! أرجو منكم أن تبتعدوا وتتركوني هنا لوحدي.»

وافق سكان السماء على طلبه. وعندما غادروا نزل الدلق من الشجرة وتجول لفترة من الوقت، باحثًا عن فتحة في السهل قد يعود من خلالها إلى الأرض، لكنه لم يعثر على أية واحدة. ثم تسلل الضعف والوهن إلى جسده فتمدد على أرضية السماء التي يمكن من خلالها رؤية النجوم من العالم الأسفل وقال بحسرة خالطها الرضا والارتياح:

- «لقد وفيت بوعدي. الآن سيستمتع ابني وكل من على الأرص بالصيف. وسأكون إلى الأبد شارة في السماء، وسينطق اسمي مقرونا بالحمد والثناء. إنني راضٍ وسعيد».

وهكذا بقي الدلق في السماء، حيث يمكنك رؤيته بوضوح في الليالي الصافية والسهم يخترق ذيله، في كوكبة من النجوم يسميها الهنود كوكبة الدلق، بينما يسميها البيض بكوكبة المحراث.

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) اعتاد الهنود الحمر (الهنود الأمريكيون) أن يطلقوا على أطفالهم تسميات غريبة كثيرًا ما يستلهمونها من بيئتهم أو من أول شيء يصادفونه عند خروجهم من خيامهم بعد ولادة الطفل.

(2) أبو الحنّاء: طائر صغير صدره أحمر ضارب إلى الصفرة.

(3) أي الشهور.

(4) الدلق أو الخز (fisher): حيوان من فصيلة العرسيات أكبر من ابن عرس موطنه أوربا والأناضول والشام والعراق وهو أحمر اللون أبيض الحلق والزور.

(5) ثعلب الماء أو القُضَاعَة، أو كلب الماء (otter): ثدييات برمائية آكلة للأسماك والمحار وغيره من الطرائد المائية.

(6) القندس (beaver): جنس من الحيوانات من رتبة القوارض. وهو من القوارض المائيّة. يعيش عادة في الماء قائما بصورة دؤوبة على بناء السدود من أخشاب الأشجار التي يقطعها بأسنانه الحادة. ويعد هذا الحيوان أمهر مهندس في بناء السدود بين الحيوانات قاطبة.

(7) الوشَق (lynx) حيوان لاحم مفترس من فصيلة السنوريات غذاؤه الرئيس الفرائس الصغيرة كالأرانب والثعالب وغيرها من الحيوانات.

(8) الغُرَيْر :(badger)جنس من الحيوانات اللاحمة التي تنتمي إلى فصيلة ابن عرس. وللغُرير غُدَد شَرجية يطلق منها رائحة كريهة كلّما استشعر أذىً أو انزعاجًا.

(9) الشَّرِه أو الدب الظربان (wolverine): حيوان يعيش في المناطق شبه القطبية الشمالية، وهو حيوان قصير قوي ممتلئ الجسم من آكلات اللحوم ينتمي إلى فصيلة ابن عرس لكنه أكثر شبهًا بـالدب الصغير. يشتهر هذا الحيوان بالوحشية والقوة غير المتناسبة مع حجمه، ويتميز بقتله لفرائس يبلغ حجمها أضعاف حجمه.

لماذا تتدلى آذان الكلاب

إذا نظرت إلى الكلب الذي يرقد على مدخل بيت سيده ويتوسل للحصول على عظمة لغدائه أو ويزحف مبتعدًا عندما يهز سيده عصاه، فسترى أن أذنيه لا تنتصبان بشجاعة بل تتدليان وتتهدلان، وأن وذيله لا يقف منصبا بل يتدلى بين ساقيه. يتصرف هذا الكلب وكأنه يتذكر شيئًا يخجل منه، شيئاً فعله أحد أسلافه منذ زمن بعيد وتسبب في فقدان سلالة الكلاب التي يملكها الهنود كبرياءها.

قبل أن يترك الكلب ابن عمه البري الذئب ويخرج من الغابات والبراري ليعيش مع الإنسان، كان متوحشاً مثل الذئب. كانت أذناه المرهفتان تقفان منتصبتين ومستعدتين دائمًا لتحذيره من العدو لكي يتهيأ للقتال. وكان يرفع ذيله عالياً لأنه حيوان حر ومليء بالفخار ولا يخاف أحدًا.

ذات مرة، توالت عليه أيام عدة دون أن يجد طعامًا يسد رمقه، فاضطر إلى الاقتراب من معسكر قبيلة من الهنود ليرى إن كان يستطيع العثور على شيء يأكله هناك فأبصر شرائح من لحوم الغزلان والدببة كانوا يعلقونها على أعمدة ويقلبونها حتى تجف في الشمس. تقدم الكلب الجائع الى أحد الهنود وأخبره بأنه على استعداد للبقاء في المخيم والعيش مع الهنود وقتال جميع الحيوانات الأخرى التي تحوم حوله إذا تنازل له عن قطعة من اللحم.

وجدها الهندي فكرة جيدة ووافق على إطعامه فصار صديقًا للإنسان وقاتل الدببة والقطط البرية التي تدنو من المخيم وساعد الهنود على اصطياد الأرانب وصار ينبح في الليل إذا اقترب الأعداء. لكن الكلب لم يزل يرفع أذنيه باستقامة ويبقي ذيله مرفوعاً فوق مؤخرته لأنه لم يكن خائفاً من شيء.

وفي ذات ليلة جاء عدد من أبناء عمومته الذئاب إلى حيث يعيش الهنود. في البداية زمجر الكلب ولم يسمح لهم بالمرور لكن عندما أخبروه بأنهم يريدون فقط أن يروا محبة الكلب لأصدقائه الجدد، توقف عن الهرير وانشغل في الحديث مع بعضهم دون أن يلحظ الآخرين وهم يتسللون من خلف

ظهره ويسرقون قطع اللحم الموضوعة على العصي، وفي النهاية نهبوا كل اللحم ثم ضحكوا وهربوا بأسرع ما يمكن بينما أخذ الكلب ينبح وراءهم بغضب.

لكن الوقت قد فات على النباح. لقد ذهب اللحم! وعندما استيقظ الهنود وخرجوا من أكواخهم (التي يسمونها الوغوام) رأوا أن اللحم قد اختفى فبدأوا في ضرب الكلب المسكين والصراخ عليه فشعر بالخجل الشديد من خداع الذئاب له، وتهدلت أذناه وتدلى ذيله بين ساقيه وصار يئن ويزحف على بطنه في التراب. بدا الكلب المسكين حزيناً لدرجة أنهم تركوه أخيرًا وشأنه. لكنه فقد من يومها كبرياءه وصار يرتعد خوفًا عندما ينهره البشر وبقي على هذا الحال إلى اليوم.

(عن الانكليزية)

يوم تمزق قوس قزح

ثمة زهور تحتوي بتلاتها على بعض من ألوان قوس قزح. تلك هي أزهار الصبار التي تشق طريقها من أطراف نباتات الصبار الشائكة مثل لهب برتقالي أو أحمر أو أصفر. كانت كل تلك الزهور فيما مضى ذات لون واحد هو الأبيض كما هو حال بعضها الآن. لكن قوس قزح منح معظمها ألوانًا حافظت عليها حتى هذا الوقت.

كانت أزهار الصبار البيضاء ترفع رؤوسها لتنظر إلى القوس اللامع الذي ينحني عبر السماء كلما سطعت الشمس من خلال المطر أو الضباب. لطالما كان طرفا قوس قزح يلامسان الأرض في مكان ما، و كان كل شيء يلمسه على الأرض يبدو وكأنه يغتسل بألوانه.

غير أن قوس قزح لم يلمس نباتات الصبار قط. ربما كان خائفا من الأشواك الحادة التي نمت عليها. لطالما تاقت أزهار الصبار البيضاء إلى الاستحمام بألوانه، لكنه لم يدن منها يومًا.

مرة بعد هطول أمطار غزيرة كان قوس قزح يستعد لإرسال طرفيه إلى الأرض. لقد كان هو نفسه مثقلًا بقطرات المطر. وعندما هبطت نهايتاه نحو الأرض حرص على ألّا يسقط على أشواك نباتات الصبار. لكنه عندما أوشكت إحدى نهايتيه على الغوص في الأرض، رأى فجأة حوضًا من نباتات الصبار المختبئة بين الأعشاب العالي. حاول، حين أبصرها، أن يلملم طرفيه مرة أخرى، لكنه كان ثقيلًا جدًا بسبب قطرات المطر فاستمر في النزول حتى تناثر فوق نباتات الصبار ذات الأزهار البيضاء. وعندها أمسكت الأشواك بتلك الحزم من الألوان الضبابية وحاولت الاحتفاظ بها لزهورها فتفادتها الحزم البنفسجية والزرقاء والخضراء، لكن الحزم الصفراء والحمراء والبرتقالية علقت بين الأشواك. وما أن حدث ذلك حتى فتحت أزهار الصبار السعيدة بتلاتها على آخرها وأخذت تنهل من الضباب الملون العالق بها. وقبل أن ينجح قوس قزح في تحرير نفسه من الأشواك تشبعت الأزهار البيضاء بالألوان وأصبحت حمراء وبرتقالية وصفراء كما هي الآن.

(عن الانكليزية)

حكايات هندية

الأفيال والفئران

يحكى أن مجموعة من الفئران كانت تعيش بسلام تحت إحدى الأشجار. لكن حدث أن مر نطيع من الأفيال من ذلك الطريق فدمر منازلها وسحق العديد منها حتى الموت. عندها دنا ملك لجرذان من ملك الأفيال وطلب منه توجيه قطيعه في طريق آخر فوافق على ذلك واتخذ طريقًا ثانيًا لى الماء. وهكذا حفظت أرواح الفئران.

ذات يوم جاءت مجموعة من صيادي الأفيال وأوقعتها في شباك ضخمة، وعندها تذكر ملك لأفيال فجأة ملك الفئران فنادى أحد الأفيال ممن لم يقعوا في الشباك وطلب منه أن يذهب إلى ملك لفئران ويخبره بما جرى.

عندما استمع ملك الفئران لما جاء به الفيل جمع الفئران جميعها وتوجهوا نحو الشباك وقرضوها ,أطلقوا سراح الأفيال جميعًا.

القدر المكسور

في مكان ما عاش براهمي[1] يدعى سفابافاك ريبان، ومعنى اسمه "البخيل بالولادة". كان قد جمع كمية من الأرز بالتسول، وبعد أن تناول عشاءه منه ملأ قدرًا فخاريا بما تبقى، ثم علقه على وتد في الحائط يعلو سريره وظل يحدق فيه باهتمام طوال الليل، وقال لنفسه:

- «آه، هذا القدر مليء بالأرز. إذا ما حدثت مجاعة سأبيعه وأجني مئة روبية بالتأكيد. سأشتري بها زوجين من الماعز. ستلدان صغارا كل ستة أشهر، وسيكون لدي بذلك قطيع كامل من الماعز. ثم أبيع الماعز وأشتري أبقارًا. حالما تلد أبيع العجول. ثم أشتري بالعجول جواميس أبيعها بعد حين وأشتري أفراسًا. وعندما تلد الأفراس سيكون عندي الكثير من الخيول. وعندما أبيعها سأجني ذهبا وفيراً. بهذا الذهب سأحصل على منزل بأربعة أجنحة. وبعد ذلك سيأتي براهمي إلى بيتي ويزوجني ابنته الجميلة بمهر كبير[2]. ستلد ولدًا سأدعوه سوماسارمان. وعندما يبلغ من العمر ما يكفي ليرقص على ركبتي، سأجلس لأقرأ كتاب في مؤخرة الاسطبل، وأثناء قراءتي سيراني الصبي ويقفز من حجر أمه ويركض نحوي ليرقص على ركبتي. سيقترب كثيرًا من حافر الحصان، فأنادي زوجتي وأنا مليء بالغضب: خذي الطفل، خذيه! لكنها لا تسمعني لأنها منشغلة ببعض الأعمال المنزلية، فأقوم وأركلها بقدمي. وبينما يفكر بذلك ركل القدر بقدمه وكسره فسقط كل الأرز عليه فصار جسمه مغطى بالبياض». لذلك قيل في الأمثال: من يرسم خططًا حمقاء للمستقبل سيصبح أبيض من رأسه إلى قدمه، مثل والد سوماسارمان.

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) البراهمي: أحد أفراد طبقة البراهمة وهي أعلى الطبقات في المجتمع الهندي.

(2) اعتاد الهنود أن يعطي أهل الفتاة مهرًا للعريس.

اللصّ الذكي

في قرية صغيرة بالهند عاش رجل يُدعى هاري سارمان، كان أهل القرية جميعهم يعيشون في فقر مدقع وكان عليهم أن يكدحوا ويشقوا كي يحصلوا على خبز يومهم. سئم هاري من الحياة التي يعيشها. إن لديه عائلة كبيرة وزوجة اسمها فيديا، وهو يجد صعوبة كبيرة في الحصول على ما يكفيهم من طعام مهما شقي وكدح. غير أنه لم يكن، لسوء الحظ، يعرف معنى الاجتهاد، فهو أو زوجته لم يقوما بأية محاولة لتعليم أولادهم كيف يكسبون لقمة عيشهم؛ ولو لم يساعدهم فقراء القرية لماتوا جوعًا. اعتاد هاري سارمان إرسال أطفاله هنا وهناك للتسول أو السرقة، بينما يبقى هو وفيديا في المنزل ولا يفعلان شيئًا.

ذات يوم قال لزوجته:

- "دعينا نترك هذا المكان الغبي ونذهب إلى مدينة كبيرة حيث يمكننا أن نحصل على رزقنا بطريقة ما. سوف أتظاهر بأنني درويش حكيم قادر على اكتشاف الأسرار؛ أما أنت فيمكنك أن تدعي بأنك تعرفين كل شيء عن الأطفال، لا سيما أنكِ أنجبتِ العديد منهم".

وافقت فيديا بكل سرور، وانطلق الفريق بأكمله حاملين معهم بعض الممتلكات التي بحوزتهم. ثم وصلوا إلى مدينة كبيرة فاستجمع هاري سارمان شجاعته ودخل منزل كبيرها تاركًا زوجته وأطفاله في الخارج. طلب رؤية السيد فاقتيد إلى حضرته. كان هذا السيد تاجرًا ثريًا جدًا يملك عقارات كبيرة في البلاد؛ لكنه لم يكن ذكيًا جدًا، لأنه تأثر في الحال بالقصة التي رواها هاري سارمان وقال إنه سيجد عملاً له ولزوجته، وأنه يستطيع إرسال أطفاله إلى إحدى مزارعه في الريف، حيث يمكن أن يكونوا مفيدين للغاية.

غمرت هاري سارمان سعادة عظيمة بهذا الأمر وأسرع ليبشر زوجته. واستُقبل الاثنان على الفور في المسكن الكبير حيث أعطيت لهما غرفة صغيرة خاصة بهما بينما أُرسِل الأطفال بعيدًا إلى المزرعة، فشعروا بالبهجة الشديدة للخلاص من الحياة البائسة التي يعيشونها

بعد وقت قصير من وصول الزوج والزوجة إلى منزل التاجر وقع حدث مهم للغاية، ألا وهو زواج ابنته الكبرى. جرت استعدادات عظيمة، وأسهمت فيديا بنصيبها الكامل وساعدت في المطبخ لإعداد أنواع الأطباق اللذيذة وعاشت هي نفسها في رفاهية كبيرة. ولأن البيت الثري كان كريما للغاية فقد نال الجميع، حتى أكثر الخدم تواضعًا، قدراً جيداً من العناية. كانت فيديا أكثر سعادة من أي وقت مضى، بعد أن أصبح لديها الكثير لتفعله والكثير من الطعام الجيد. لقد أصبحت في الواقع مخلوقًا مختلفًا تمامًا، وبدأت تتمنى لو كانت أماً أفضل لأطفالها، وفكرت:

- "عندما ينتهي الزفاف سأذهب لأرى كيف تسير أمورهم".

لكنها، من ناحية أخرى، نسيت كل شيء عن زوجها الذي صارت نادرًا ما تراه.

كان الأمر مختلفًا تمامًا مع هاري سارمان نفسه. لم يكن لديه واجبات خاصة ليؤديها ويبدو أن لا أحد يريده. إذا دخل المطبخ أمره الخدم المشغولون بالابتعاد عن طريقهم؛ ولم يعد يلقى حفاوة من صاحب المنزل أو ضيوفه حتى أن التاجر نسيه تمامًا، فصار يشعر بالوحدة والبؤس الشديد. كان يفكر في أولا مقدار استمتاعه بأصناف الطعام اللذيذ الذي سيحصل عليه بعد الزفاف، لكنه بدأ الآن بالتذمر:

- "ها أنا أتضور جوعًا وسط هذه الوفرة. هذا هو حالي. علي أن أفعل شيئا لتغيير هذا الوضع البائس".

طوال فترة الاستعدادات لحفل الزفاف لم تقترب فيديا من زوجها أبدًا، فكان يستلقي مستيقظًا لساعات طوال وهو يفكر:

- "ما الذي يمكنني فعله لأجعل السيد يرسل في طلبي؟"

وفجأة خطرت له فكرة:

- "سأسرق شيئًا ذا قيمة وأخفيه في مكان بعيد. وعندما يستجوب الجميع عن سر اختفائه سيتذكر التاجر الرجل الذي يمكنه الكشف عن الأسرار. والآن ما الذي يمكنني سرقته وأنا متأكد من أنهم سيفتقدونه بشدة؟ عرفت، عرفت!"

ونهض من الفراش وارتدى ملابسه على عجل وتسلل إلى خارج المنزل.

هذا ما قرر هاري سارمان فعله: كان التاجر يمتلك عددًا كبيرًا من الخيول الرائعة الجمال التي تعيش في إسطبل فسيح تلقى فيه أكبر قدر من الرعاية. وكان من بينها فرس عربية صغيرة جميلة

هي الأثيرة لدى العروس التي كثيرا ما تذهب لتربت عليها وتطعمها السكر. قال الرجل الخبيث لنفسه:

- "سأسرق تلك الفرس وأخفيها بعيدًا في الغابة. وعندما يبحث الجميع عنها دون طائل سيتذكر السيد الرجل الذي يمكنه الكشف عن الأسرار ويرسل في طلبي. آه! آه! يا لي من ذكي! آه، أعلم أن العريسين والسائسين منهمكين في الوليمة، فقد رأيتهم بنفسي عندما حاولت أن أكلم زوجتي. يمكنني التسلق عبر النافذة التي تُترك مفتوحة على الدوام".

واتضح أنه كان على حق؛ لم يلتقِ بأحد في طريقه إلى الإسطبلات التي كانت مهجورة تمامًا. دخل بسهولة وفتح الباب من الداخل وأخرج الفرس الصغيرة التي لم تبد أدنى مقاومة ولم تشعر بأي خوف لطول اعتيادها على المعاملة اللطيفة. وساق المخلوقة الجميلة بعيدًا إلى أعماق الغابة وربطها هناك وعاد بأمان إلى غرفته دون أن يراه أحد.

في الصباح الباكر لليوم التالي ذهبت ابنة التاجر برفقة صويحباتها لرؤية فرسها الصغيرة حاملات كمية إضافية من السكر. ويا لشقائها حين وجدت مكانها فارغًا! خمنت على الفور أن لصًا قد دخل أثناء الليل، وسارعت إلى المنزل لتخبر والدها الذي اتقد غضبًا من السائسين الذين تركوا اماكنهم وأعلن أنه سيجلدهم جميعًا بسبب غلطتهم هذه. لكنه قال إن أول شيء يجب فعله هو استعادة الفرس. وأمر بإرسال الرسل في كل اتجاه، واعدًا بمكافأة كبيرة لمن يأتيه بأخبار الفرس.

سمعت فيديا بالطبع بكل ما ثار من لغط، واشتبهت في الحال بأن هاري سارمان يمكن أن تكون له علاقة بالموضوع فقالت لنفسها:

- «أظن أنه قد أخفى الفرس ويريد الحصول على مكافأة العثور عليها».

ثم طلبت رؤية رب البيت، وعندما أذن لها قالت له:

- "لماذا لا ترسل لزوجي، الرجل القادر على كشف الأسرار الذي يتمتع بموهبة عظيمة في رؤية ما يخفى عن الآخرين؟ لقد فاجأني مرارًا بقدراته".

طلب منها التاجر أن تحضر زوجها على الفور. لكن هاري سارمان رفض، لدهشتها، الذهاب معها وقال بغضب:

- «يمكنك أن تقولي للسيد ما يحلو لك. لقد نسيتموني تمامًا بالأمس؛ وتريدونني الآن أن أساعدكم بعد أن تذكرتم وجودي فجأة. لن أكون طوع بنانك أو رهن إشارتك أو إشارة أي شخص آخر».

ناشدته فيديا أن يستمع إلى صوت العقل، لكن دون جدوى، فاضطرت إلى إخبار التاجر برفض زوجها المجيء، لكن السيد، بدلاً من أن يغضب، فاجأها بقوله:

- «زوجك على حق. لقد عاملته معاملة سيئة. اذهبي وقولي له إنني أعتذر، وسأكافئه مكافأة حسنة إذا جاء وساعدني».

عادت فيديا لزوجها مرة أخرى وكانت هذه المرة أكثر نجاحًا. لكن هاري سارمان، على الرغم من موافقته على الذهاب معها، ظل عابسًا متجهمًا ولم يجب عن أي من أسئلتها. لم تستطع فهمه، وتمنت لو أنها لم تتركه وحيدًا كل هذه الفترة. ثم إنه تصرف بغرابة عندما سأله السيد الذي استقبله بلطف شديد إن كان بمقدوره أن يخبره بمكان الفرس وقال له:

- «أعرف أنك رجل حكيم وذكي».

فتذمر هاري سارمان وأجاب:

- «لم يكن الأمر هكذا بالأمس. ساعتها لم يلحظني أحد منكم، لكنك الآن تكتشف فجأة أنني حكيم وذكي لأنك تريد مني شيئًا. ألستُ الشخص نفسه الذي كنت عليه بالأمس؟»

فقال التاجر:

- «أعرف، أعرف، وأعتذر عن إهمالي؛ لكن عندما تتزوج ابنة رجل، فلا عجب أن يُهمل أحد ما».

أدرك هاري سارمان أن الوقت قد حان لاتخاذ نغمة مختلفة، لذا وضع يده في جيبه، وأخرج خريطة كان قد أعدها أثناء انتظار الإرسال في طلبه -لأنه كان على يقين من أن هذا سيحدث- ثم نشرها أمام التاجر وأشار إلى بقعة مظلمة وسط العديد من الخطوط التي تتقاطع بطريقة محيرة أوضح أنها مسارات عبر الغابة وقال:

- «تحت الشجرة، حيث توجد تلك البقعة السوداء، ستجد الفرس».

فرح التاجر بالبشارة وأرسل على الفور خادمًا مؤتمنًا لمعرفة الحقيقة؛ وعندما أعيدت الفرس انتقل الرجل الذي تسبب بإعادتها إلى حال لم يرَ أفضل منها في حياته، فعومل في احتفالات الزفاف كضيف شرف، ولم يعد بحاجة إلى الشكوى من قلة الطعام. اعتقدت زوجته بالطبع أنه سوف يغفر لها إهمالها له. لكن لم يحصل شيء من هذا، فقد ظل على تجهمه معها ولم يمكنها التأكد من حقيقة ما جرى مع الفرس.

وسارت أمور هاري سارما سيرا حسنا إلى أن حدث شيء أوقعه في مأزق كبير: لقد اختفت كمية من الذهب والعديد من المجوهرات الثمينة من قصر ملك البلاد. وعندما تعذر اكتشاف اللص، أخبر أحدهم الملك بقصة الفرس المسروقة وكيف وجدها رجل يُدعى هاري سارمان يعيش في منزل تاجر ثري في كبرى مدن البلاد بعد أن فشل الجميع في العثور عليها.

أمر الملك بإحضار الرجل على الفور، وسرعان ما مثل هاري سارمان أمامه فقال الملك:

- "سمعت أنك حكيم للغاية وقادر على كشف كل الأسرار. أخبرني الآن على الفور من سرق الذهب والمجوهرات وأين يمكن العثور عليها؟"

لم يعرف المسكين هاري سارمان ماذا يقول أو يفعل، فأجاب بصوت متردد:

- "أعطني مهلة حتى الغد. أريد القليل من الوقت للتفكير".

أجاب الملك:

- «لن أعطيك ساعة واحدة. (وأضاف وقد بدأ الشك يراوده بأن الرجل الذي أمامه مجرد شخص مخادع بسبب ما اعتراه من خوف شديد) إذا لم تخبرني على الفور بمكان الذهب والمجوهرات فسوف آمرُ بجلدك حتى تتكلم».

عند سماع ذلك رأى هاري سارمان، على الرغم من خوفه العارم، بأن فرصته الوحيدة لكسب الوقت هي تلفيق قصة ما لإقناع الملك فانتصب قائمًا وقال:

- «إن أكثر السحرة حكمة يحتاجون إلى استعمال بعض الوسائل لمعرفة الحقيقة. امنحني أربع وعشرين ساعة وسأسمي لك اللصوص».

فقال الملك:

- «لست ساحرًا في شيء إذا لم تتمكن من اكتشاف أمر بسيط كهذا الذي أطلبه منك».

ثم التفت إلى الحراس وأمرهم بإلقائه في السجن وحبسه دون طعام أو شراب حتى يستعيد رشده. جرجروا الرجل إلى الخارج، وسرعان ما وجد نفسه وحيدًا في غرفة مظلمة وقاتمة لم يرَ أملًا في الهروب منها.

سيطر عليه اليأس وأخذ يروح ويجيء في زنزانته وهو يحاول عبثًا التفكير في طريقة ما للهروب، ثم قال لنفسه:

- «سأموت هنا جوعا ما لم تجد زوجتي وسيلة لتحريري. تمنيت لو أنني عاملتها بشكل أفضل بدلاً من أن أعبس في وجهها».

اختبر قضبان النافذة، لكنها كانت قوية جدًا ولا أمل بتحريكها. ثم ضرب الباب، لكن أحدا لم يعره اهتماما.

وعندما حل الظلام بدأ يتحدث إلى نفسه بصوت عالٍ فقال:

- «يا إلهي. تمنيت لو أنني قضمت لساني قبل أن أقدم على تلك الكذبة عن الفرس. لساني الأحمق هو الذي أوصلني إلى هذه المشكلة. آه يا لسان، يا لسان! كل هذا بسببك».

حدث الآن شيء غريب جدا. كان الرجل الذي سرق المال والمجوهرات، قد فعل ذلك بمعونة خادمة شابة دلته على مكانها. كان اسمها جيهفا، وهي كلمة سنسكريتية تعني اللسان. اعترى تلك الفتاة خوف شديد عندما سمعت أن كاشف الأسرار قد مثل أمام الملك.

- «سيخبره بدوري في الأمر (فكرت مع نفسها) وسأقع في مشكلة».

وحدث أن الحارس الموكل بباب السجن كان مغرمًا بها، شأنه شأن اللص الذي سرق المال و الجواهر. لذلك تسللت جيهفا من القصر بعد أن لفه الهدوء، وخرجت لترى إن كان بوسعها أقناع الحارس بالسماح لها برؤية السجين. وفكرت:

- "إذا وعدته بأن أعطيه جزءًا من المال، فسوف يتعهد بألا يفضحني".

فرح الحارس كثيرا عندما جاءت جيهفا للتحدث معه، وسمح لها بالإنصات من خلال ثقب المفتاح لما كان يقوله هاري سارمان. وتخيل دهشتها عندما سمعته يردد اسمها مرارا وتكرارا. لقد كان يصرخ:

- "جيهفا! جيهفا! أنت سبب هذه المعاناة. لماذا تصرفت بهذه الطريقة الحمقاء من أجل متاع الحياة؟ أنت شرير، شرير!"

- "أوه أوه! (صاحت جيهفا وقد تملكها الفزع) إنه يعرف الحقيقة؛ إنه يعلم أنني ساعدت اللص".

وطلبت من الحارس السماح لها بالدخول إلى الزنزانة حتى تتوسل إلى هاري سارمان ألّا يخبر الملك بما فعلت. تردد الرجل في البداية، لكنها أقنعته في النهاية بالموافقة نظير وعده بمكافأة سخية.

عندما صرّ المفتاح في القفل توقف هاري سارمان عن الحديث بصوت عالٍ، متسائلاً عما إذا كان الحارس قد سمع ما قاله. وكان يأمل في أن تكون زوجته قد حصلت على إذن للمجيء لرؤيته. لذا صاح عندما فتح الباب ورأى امرأة تدخل على ضوء فانوس يحمله الحارس:

- «فيديا حبيبتي!»

لكنه سرعان ما أدرك أنها امرأة غريبة، وتفاجأ وغمره الارتياح عندما ألقت جيهفا بنفسها فجأة عند قدميه وأمسكت بركبتيه وشرعت تبكي وتتأوه:

- «أوه، أيها الرجل الأقدس (صرخت من خلال بكائها) يا من يعرف أسرار القلوب، لقد جئتك لأعترف بأنني، أنا خادمتك المتواضعة جيهفا، قد ساعدت اللص على سرقة الذهب والمجوهرات وإخفائها تحت شجرة الرمان الكبيرة خلف القصر».

- "انهضي (أجاب هاري سارمان وهو يشعر بسعادة غامرة لسماع ذلك) أنتِ لم تخبريني بشيء لم أكن أعرفه، إذ لا سر يخفى علي. ما المكافأة التي ستعطيني إياها إذا خلصتك من غضب الملك؟"

- "سأعطيك كل ما أملكه من مال، وهو ليس بالقليل".

- "وهذا أيضا كنت أعرفه، فأنتِ تحصلين على أجر جيد، كما تمدين يدك في كثير من الأحيان إلى أموالٍ ليست لك. اذهبي الآن واحضريها كلها، ولا تخشي من فضحي لك".

أسرعت جيهفا لإحضار المال دون أن تنتظر للحظة واحدة، لكن عندما عادت به لم يسمح لها الحارس الذي سمع كل ما دار بينها وبين هاري سارمان بدخول الزنزانة ثانية ما لم تعطه عشر قطع ذهبية. كانت جيهفا تخشى أن يغضب هاري أذا خسر شيئًا من المال، اعتقادًا منها بأنه يعرف مقدار المال الذي تملكه بالضبط، وسارعت مرة أخرى إلى كشف الحقيقة التي ربما لم يكن ليخمنها، فقالت له على الفور:

- «لقد أحضرت كل ما لدي، لكن الرجل الذي على الباب أخذ عشر قطع».

أثار هذا غضب هاري سارمان الشديد، فأخبرها أنه سيُعلم الملك بما فعلته، إلا إذا جلبت اللص الذي سرق المال والجواهر. فقالت جيهفا:

- «لا أستطيع أن أفعل ذلك، لأنه بعيد جدًا. يعيش مع شقيقه إندرا داتا في الغابة وراء النهر، أكثر من مسافة يوم واحد من هنا».

- "لقد أردت تجربتك فحسب (قال وقد بات يعرف من هو اللص) فأنا أستطيع رؤيته حيث هو في هذه اللحظة. اذهبي الآن إلى المنزل وانتظري هناك حتى أرسل في طلبك".

لكن جيهفا التي كانت تحب اللص ولا تريد له أن يعاقب، رفضت الذهاب إلى أن وعدها هاري سارمان بأنه لن يخبر الملك باسمه أو محل سكنه، فأكدت له:

- «أفضل أن أتحمل كل العقوبة بدلًا من أن يقاسي العذاب».

تأثر هاري سارمان بما قالت، وخوفًا من أن يعثر عليها رسل الملك إن هي أطالت البقاء، فقد وعدها بعدم إلحاق أي ضرر بها أو بالسارق، وسمح لها بالانصراف.

بعد قليل جاء الرسل وأخذوه ليمثل من جديد أمام الملك الذي استقبله ببرود شديد وبدأ على الفور في تهديده بعقوبة رهيبة إن لم يخبره باسم اللص ومكان الذهب والمجوهرات. تظاهر هاري سارمان بأنه غير راغب في الكلام. لكن عندما رأى أن الملك لن يتحمل المزيد من التأخير قال له:

- «سأقودك إلى المكان الذي دفن فيه الكنز، لكنني لن أفشي اسم اللص، مع علمي به».

لم يتأخر الملك للحظة واحدة، أذ لم يهتم كثيرًا بمن يكون ذلك اللص طالما استعاد ماله، بل أمر حاشيته بحمل مساحيهم والذهاب معه. وسرعان ما قادهم هاري سارمان إلى شجرة الرمان. حيث وجدوا كل المسروقات تحت الأرض.

لم يمر هاري سارمان يومًا بحال أفضل مما هو عليه الآن: فقد سر به الملك كثيرًا، وأغدق عليه الأموال والأوسمة. لكن بعض حكماء البلاط اشتبهوا بأنه مجرد مخادع، وشرعوا في محاولة اكتشاف كل ما في وسعهم بشأنه. فأرسلوا في طلب حارس السجن وأمطروه بالأسئلة، لكنه لم يجرؤ على قول الحقيقة لأنه يعلم بأنه سيعاقب بشدة لأنه سمح لجيهفا برؤية سجينه؛ بيد أنه تردد كثيرا لدرجة أن الحكماء أدركوا أنه لا يقول الحقيقة. توجه أحدهم، واسمه ديفا جنانين، إلى الملك الذي كان يحبه ويثق به كثيرًا وقال له:

- «لا أحب أن أرى هذا الرجل الذي لا نعرف عنه شيئًا يعامَل بهذه الطريقة. لقد اكتشف بسهولة مكان إخفاء الكنز دون أن يتمتع بأية قوة خاصة. اتمنى أن تختبره بطريقة أخرى في وجودي وحضور كبار مستشاريك؟»

وافق الملك على ذلك لأنه دائم الاستعداد للاستماع إلى صوت العقل. وبعد مشاورات طويلة مع ديفا جنانين قرر اختباره بلغز ذكي للغاية؛ فقد وُضِع ضفدع حي في جرة وأغلق غطاؤها بإحكام ثم أُحضر الرجل الذي يدعي معرفة كل شيء إلى صالة الاستقبال الكبيرة حيث اجتمع جميع حكماء البلاط حول العرش الذي جلس عليه العاهل في ثيابه الملكية. اختير ديفا جنانين من قبل سيده للتحدث نيابة عنه، فتقدم، وأشار إلى الجرة الصغيرة على الأرض وقال:

- «عظيم أنت مثل الأوسمة التي منحت لك، لكنك تستحق زيادتها إذا استطعت أن تخبرنا فورا بما موجود في هذا الجرة».

فكر هاري سارمان وهو ينظر إلى اليها:

- «وا أسفاه، لقد انتهى أمري! لا يمكنني أبدًا أن أعرف ما بداخلها. ليتني غادرت هذه المدينة بالمال الذي حصلت عليه من جيهفا قبل أن يتأخر الوقت!»

ثم بدأ يغمغم مع نفسه كما يفعل عندما يكون في ورطة. كان والده قد اعتاد أن يناديه وهو صغير بالضفدع، وها هي أفكاره تعود الآن إلى الوقت الذي كان فيه طفلًا بريئًا سعيدًا فقال بصوت عالٍ:

- «أه أيها الضفدع، ماذا دهاك؟ سيكون موتك في هذه الجرة!»

دُهش الجميع لسماع ذلك بما فيهم ديفا جنانين وكل الحكماء الآخرين. وسر الملك كثيرًا عندما وجد أنه لم يجانب الصواب. وانتاب الحماس من سُمح لهم بحضور الاختبار فصاح الملك فرحًا ودعا هاري سارمان ليتقدم بين يدي العرش، وأخبره أنه لن يشك به أبدًا مرة أخرى:

- «يجب أن تحظى بالمزيد من المال وبمنزل جميل في الريف إضافة الى الذي تملكه في المدينة، ويجب إحضار أطفالك من المزرعة ليعيشوا معك ومع والدتهم التي تستحق أن ترتدي أجمل الفساتين والحلي".

لم يفاجأ أحد أكثر من هاري سارمان نفسه، لكنه خمن أن هناك ضفدعًا في الجرة. وعندما أنهى الملك حديثه قال له:

- «شيء واحد أسأله إضافة إلى كل ما أعطي لي، دعني أحتفظ بالجرة من أجل ذكرى هذا اليوم الذي برهنت فيه مجددا على حقيقتي مرة أخرى دون مراء».

وقُبل طلبه بالطبع، فخرج والجرة تحت ذراعه وقد غمرته البهجة لنجاته بصعوبة. لكنه صار يخشى المستقبل. لقد كان يعلم جيدًا أنه كان محظوظًا لأنه استخدم كلمة جيهفا في محنته الأولى

وكلمة ضفدع في الثانية. لكن ليس من المحتمل أن ينجو في المرة الثالثة فقرر أن يتسلل هاربا في أقرب ليلة مظلمة، بكل ما يستطيع حمله من الأموال والجواهر، وأن لا يظهر مجددا في المكان الذي حدثت فيه مثل هذه المغامرات الغريبة.

لم يخبر أحدا، حتى زوجته، بما ينويه، لكنه تظاهر بأنه قد غفر لها تمامًا الطريقة التي أهملتها به حين كان فقيرًا، وبأن سيكون سعيدًا بإعادة أطفالهم إليهم. وقبل أن يأتوا من المزرعة كان والدهم قد اختفى، ولم يعرف أحد ماذا حل به؛ لكن الملك سمح لعائلته أن تحتفظ بما وهبه له، وظل حتى النهاية يعتقد أنه كان حقا كما أدعى. صحيح أن ديفا جنانين ظلت تساوره الشكوك، لكنه احتفظ بها لنفسه لأنه كان يقول:

- «الآن وقد ذهب الرجل إلى حال سبيله، لا يهم أبدا من كان أو ما كان»

(عن الانكليزية)

حين ذهبت الشمس والريح والقمر إلى وليمة

في غابر الزمان ذهبت الشمس بصحبة أخويها الريح والقمر لتناول العشاء عند عمهم وعمتهم: الرعد والبرق. أما أمهم (وهي واحدة من أبعد النجمات التي يمكنك رؤيتها في السماء) فقد مكثت في البيت بانتظار عودة أبنائها.

كانت الشمس والريح في غاية الانانية والطمع، فقد استمتعتا بالوليمة الفخمة ولم تفكرا قط بأن توفرا شيئًا من الطعام كي تأخذاه إلى الأم. لكن القمر الحنون لم ينسها، إذ أخذ قليلًا من كل طبق شهي يقدم لهم وخبأه تحت واحد من أظافره الجميلة الطوال كي يكون لأمهم النجمة نصيب من الوليمة.

عند عودتهم إلى البيت سألتهم الأم التي ظلت متيقظة طوال الليل بانتظار إيابهم:

- «حسنا يا أطفال، ماذا جلبتم لي؟»
- "لم أجلب شيئًا (قالت الشمس التي هي أكبر الأبناء) لقد خرجت لأرفه عن نفسي مع أصدقائي، لا كي أجلب عشاء لأمي".

وقالت الريح:

- «أنا أيضا لم أجلب لك شيئًا فأنت تعلمين بأنني ما خرجت إلا لمتعتي الشخصية».

لكن القمر قال:

- «هاتي صحنا يا أمي. أنظري ما جلبت لك!»

ثم نفض يديه فنزل منهما وابل من طعام لذيذ لم ير من قبل.

عندها التفتت النجمة للشمس وقالت:

- «ملعونة أنتِ لأنكِ خرجتِ كي تستمعي وتلهي وتقصفي مع أصحابك ولم تفكري للحظة بأمك التي تنتظر في البيت. من اليوم سيكون شعاعك حارًا لاهبًا إلى الأبد، وسيحرق كل ما يلامسه. وسوف يكرهك الناس ويغطون رؤوسهم عندما تظهرين».

وهذا هو سبب حرارة الشمس في زماننا.

ثم استدارت نحو الريح وقالت:

- «أنت الأخرى نسيتِ أمك في غمرة مسراتك الأنانية. استمعي لقدرك: سوف تهبين على الدوام في جو ساخن جاف، وسوف تسفعين وتُذبِلين كل كائن حي. وسوف يمقتك الناس ويتجنبونك منذ هذه اللحظة».

وهذا هو السبب في أن الريح التي تهب في الجو الحار لم تزل كريهة بغيضة.

لكنها قالت للقمر:

- «يا بني، لأنك تذكرت أمك واحتفظت لها بنصيب من مباهجك الخاصة فسوف تكون من اليوم هادئًا ومنيرًا ومعتدل البرودة. لن يصاحب وهج مؤذٍ نورك الصافي الجميل، وسيبقى الناس ينادونك بالمبارك والبهيج».

وهذا هو السبب في أن نور القمر ناعم ومعتدل البرودة حتى يومنا هذا.

(عن الانكليزية)

درسٌ للملوك

في سالف الزمان، عندما كان براهما-داتا حاكما لمملكة بنارس، عاد بوذا المستقبل إلى الحياة[1] متجسدا في ابنه ووريث عرشه. وعندما جاء أوان تسميته أطلقوا عليه اسم الأمير براهما داتا. نشأ الأمير نشأة تليق بأبناء الملوك في عصره، وعندما بلغ السادسة عشرة من عمره ارسلوه إلى تاكاسيلا حيث أكمل دراسته وأتقن آداب عصره. وحين مات أبوه اعتلى العرش وحكم مملكته بالعدل والإحسان. كان يصدر أحكامه دون حقد أو تمييز أو جهالة أو خوف. ولأنه حكم بهذه الطريقة العادلة صار وزراؤه هم أيضا ينفذون القانون بكل عدل وإنصاف. هذا التنفيذ العادل للقوانين حال دون إقدام أحد على تقديم شكاوى باطلة، وعندما توقفت تلك الشكاوى توقف كل شغب ولم تعد من قضايا ودعاوى تعرض على البلاط.

صار القضاة يجلسون في المحكمة دون عمل طوال النهار ثم يغادرونها دون أن يتقدم انسان طلبا لإحقاق حق مهدور. وهكذا تحتم إغلاق «بهو العدالة».

ثم فكر بوذا المستقبل:

- «لا أظن أن حكمي الصالح هو السبب في ذلك. لقد توقفت الفوضى وصار لزامًا إغلاق بهو العدالة، وعلي الآن أن أبحث عن أخطائي وعيوبي، فإذا اكتشفت خطأً بي نبذته حتى لا أمارس غير الفضيلة».

ثم بحث عمن يخبره بأخطائه لكنه لم يسمع غير الثناء فقال لنفسه:

- «الخوف مني هو ما يدفع هؤلاء الرجال إلى أن يتحدثوا عن حسناتي لا سيئاتي».

ثم بحث بين من يعيشون خارج القصر فلم يعثر على من يدله على أخطائه وعيوبه فأخذ يبحث خارج المدينة، في الضواحي وخارج البوابات الأربع لكنه لم يوفق أيضا. وحين لم يسمع

سوى الثناء قرر أن يبحث في الأرياف. وهكذا عهد بمملكته إلى وزرائه وركب عربته مصطحبا سائقه فقط وغادر المدينة متنكرا لكنه لم يجد هناك أيضا من يعرّفه بعيوبه وأخطائه فأقفل عائد من تخوم مملكته البعيدة وسلك الطريق العمومي نحو المدينة.

وحدث أن ملك كوسالا الذي يدعى ماليكا (وكان هو الآخر يحكم مملكته بالعدل والصلاح) قد بحث في قصره عمن يدله على أخطائه وعيوبه، فلما لم يسمع غير الثناء قرر أن يبحث في الريف. وشاءت المصادفة أن يأخذ الطريق نفسه من الاتجاه المعاكس وأن يتقابلا وجها لوجه في نقطة واحدة على الطريق الوعر الضيق ذي الجانبين المشرفين على هاويتين محفوفتين بالمخاطر حيث لا مجال إلا لعبور عربة واحدة!

صاح سائق عربة الملك ماليكا بسائق عربة ملك بنارس:

- «أبعد عربتك عن الطريق!»

فرد عليه الثاني:

- «أنت من عليه إبعاد عربته. أيها السائق، في هذه العربة يجلس سيد مملكة بنارس، الملك العظيم براهما داتا».

لكن الأول صاح به:

- «وفي هذه العربة يجلس عاهل مملكة كوسالا، الملك العظيم ماليكا. أبعد عربتك عن الطريق وأفسح المجال لعربة الملك!»

عندها فكر سائق عربة ملك بنارس:

- «يقول إنه ملك هو الآخر! ما العمل الآن؟»

ثم قال لنفسه بعد قليل من التفكير:

- «أعرف طريقة: سأسأله عن عمر ملكه ثم أطلب أن يبعد الملك الأصغر سنًا عربته عن الطريق ليفسح المجال للأكبر».

وعندما وصل إلى هذا القرار سأل السائق المقابل عن عمر الملك كوسالا، لكنه اكتشف بأنهما متساويان في السن. ثم سأل عن اتساع مملكته وعن عديد جيشه وعن ثروته وشهرته وبلده وطبقته وأسرته وعشيرته فاكتشف، ويا للعجب، بأن كلا الملكين يحكم ثلاثمئة فرسخ،

وانهما متعادلان تمامًا فيما يخص البلد الذي يعيشان فيه وعدد الجيش والثروة والشهرة والطبقة والأسرة والعشيرة!

ثم فكر مع نفسه:

- «فليُفتح الطريق للأكثر صلاحًا واستقامة».

وسأل نظيره:

- «أي نوع من الصلاح والاستقامة يتصف بهما مولاك؟»

عندها شرع غلام ملك كوسالا بإنشاد المقطع الأول، معددا مناقب سيده، محولا كل شروره إلى فضائل:

- «يهزم القوي بالقوة

والمعتدل بالاعتدال

يغلب الخيّر بالخير

والشرير بالشر

هذا طبع مليكي!

فتنحّ، تنحّ أيها السائق!"

لكن سائق عربة ملك بنارس سأله:

- «حسنا. هل انتهيت من تعداد فضائل ملكك؟»

- "نعم" (أجاب الثاني)

- "إن كانت هذه فضائله فأين مساوئه؟"

- "حاليا يمكنك أن تعدها أخطاء إن أردت! لكنني أتضرع اليك: ما نوع الفضائل التي يتصف بها مليكك؟"

فطلب منه سائق عربة ملك بنارس أن يصغي، وأنشد المقطع الثاني:

- «يغلب الغاضب بالهدوء

والشرير بالطيبة

والبخيل بالسخاء

والكاذب بالحقيقة

هذا طبع مليكي!

فابتعد عن طريقي أيها السائق!"

وعندما قال ذلك ترجل الملك ماليكا وسائقه عن العربة، وحلا وثاق الخيول وأبعدا عربتهما وأفسحا المجال للملك بنارس!

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) في المعتقدات الهندية يعيش بوذا المستقبل في السماء لكنه ينزل إلى الأرض ليعيد التبشير بالشريعة البوذية (الضارما) كلما أوشكت تعاليم بوذا على الزوال.

سيّد الموت

في قديم الزمان كان هناك طريق عجيب يموت كل من يسلكه. قال بعض الناس إنهم يقضون نحبهم على يد ثعبان، وقال آخرون بل يفتك بهم عقرب، لكن من المؤكد أنهم ماتوا جميعًا.

كان أحد الشيوخ يسير في هذا الطريق. فلما أنهكه التعب جلس على حجر ليستريح. وفجأة رأى بالقرب منه عقربًا كبيرا بحجم الديك. دهش العجوز عندما رأى العقرب يتحول أمام ناظريه إلى ثعبان رهيب. وعندما انطلق المخلوق مبتعدا قرر أن يتبعه عن كثب ليعرف حقيقة أمره.

واصل الثعبان السير الحثيث ليل نهار وخلفه الرجل العجوز الذي يتبعه كظلّه، فرآه ذات مرة يقتل عدة مسافرين حال دخوله الفندق الذي يقيمون فيه. وفي مناسبة أخرى اقتحم قصر الملك وقتله. ثم تسلل عبر مجاري المياه إلى قصر الملكة وقتل الابنة الصغرى للملك. وواصل طريقه وصوت البكاء والعويل يعلو أينما حلّ. لكن الرجل العجوز ظل يتبعه صامتًا كما الظل.

فجأة أصبح الطريق نهرًا واسعًا وعميقًا وسريعًا جلس على ضفافه بعض المسافرين الفقراء الذين يريدون العبور، لكن لم يكن لديهم المال لدفع أجرة العبارة. فإذا بالثعبان يتحول إلى جاموس جميل يزين عنقه عقد من نحاس وأجراس، ثم وقف على حافة النهر. فلما رأى المسافرون المساكين ذلك قالوا: هذا الحيوان سيسبح عائدا إلى منزله عبر النهر؛ دعونا نمتطي ظهره ونتشبث بذيله حتى نتجاوز نحن أيضًا التيار .

ثم صعدوا على ظهره وأمسكوا بذيله وأنطلق يخوض النهر في إقدام. لكن عندما وصل إلى منتصفه أخذ يركل وينفض جسمه حتى انقلبوا جميعا أو سقطوا وغرقوا.

حين وصل العجوز الذي عبر النهر في قارب إلى الجانب الآخر اختفى الجاموس وانتصب في مكانه ثور جميل. وعندما شاهده أحد الفلاحين لم يستطع كبح جماح طمعه فاستدرجه إلى منزله. كان لطيفًا جدًا ولم يمانع في تقييده مع الماشية الأخرى. لكنه تحول في جوف الليل إلى ثعبان لدغ

جميع البهائم والدواجن، ثم زحف إلى المنزل وقتل جميع النائمين وانسلّ خارجا. بيد أن العجوز ظل يتبعه كظله دون أن يتفوه بشيء.

ثم بلغا نهرا آخر فغير الثعبان نفسه إلى فتاة جميلة المحيا مثقلة بالمجوهرات النفيسة. وبعد قليل وصل إلى المكان جنديان شقيقان. وعندما اقتربا منها شرعت بالبكاء والعويل فسألها الأخوان:

- "ما الأمر؟ ولماذا تجلسين أيتها الصبية الجميلة على ضفاف هذا النهر وحدك؟"

فأجابت الفتاة/ الثعبان:

- "كان زوجي يعود بي إلى البيت؛ ونزل إلى النهر بحثًا عن عبّارة تقلنا فانزلق وسقط على وجهه وغرق! وها أنا الآن وحيدة دون زوج ولا أهل".

صاح أكبر الأخوين المفتونين بجمالها:

- "لا تخافي! تعالي معي وسوف أتزوجك".

أجابت الفتاة:

- "أنا موافقة لكن بشرط واحد هو ألّا تطلب مني أبدًا القيام بأي عمل منزلي؛ وأن تنفذ أي طلب أطلبه، مهما كان".

- "سأطيعك مثل العبد!"

- "إذن اذهب من فورك إلى البئر، وأحضر لي كوبًا من الماء. يمكن لأخيك أن يبقى معي".

ولكن عندما ذهب الأخ الأكبر، التفت الثعبان إلى الأصغر قائلا:

- "تعال لنهرب معا، فأنا أحبك أنت، وما وعدي لأخيك إلا خدعة لإبعاده!"

- "هذا محال! (أجاب الأخ الصغير) أنت زوجته الموعودة وأنا أنظر إليك كأختي".

غضبت الفتاة من هذا الرد وأخذت تذرف الدموع بغزارة، حتى إذا عاد الأخ الأكبر صرخت بلوعة:

- "آه يا زوجي، ما هذا الأخ الشرير! لقد طلب مني أن أفر معه وأتركك!"

اتقد الأخ الأكبر غضبا من تلك الخيانة المزعومة فاستل سيفه وتحدى الأصغر للقتال. وتقاتلا طوال النهار، حتى سقط كلاهما ميتاً بحلول المساء. ثم أخذت الفتاة شكل ثعبان مرة أخرى

والرجل العجوز يتبعها صامتا كما الظل. وأخيرًا تحول إلى ما يشبه رجلا عجوزا ذا لحية بيضاء. وحين رآه الرجل الذي تبعه كل هذا الوقت وهو يتحول إلى شخص يشبهه استجمع شجاعته وأمسك بذي اللحية البيضاء وسأله:

- "ما أنت ومن أنت؟"

فتبسم العجوز- الثعبان وأجاب:

- "البعض يدعونني سيّد الموت، لأنني أجول في الارض كي أنشر الموت في كل مكان".

- "أمِتني إذن (توسل اليه العجوز الثاني) فلقد تبعتك من وقت طويل، صامتا كالظل، وها أنا شيخ عجوز مرهق ينشد الموت".

لكن رب الموت هز رأسه وقال:

- "ليس الأمر كما تظن! أنا لا أهب الموت إلا لمن انتهت أعمارهم، أما أنت فلديك ستون عامًا أخرى لتعيشها!"

ثم اختفى ذو اللحية البيضاء. لكن ماذا كان بالفعل: أسيّد الموت أم شيطاناً؟ ما من أحد يستطيع إخبارنا؟

(عن الانكليزية)

حكايات كوريّة

أسطورة نشوء كوريا والأمير خشب الصندل

منذ زمن بعيد بعيد، قبل أن يوجد أي شعب مهذب في أرض الفجر ويوم لم يكن فيها سوى أناس غلاظ متوحشين، التقى دب ونمر. حدث هذا في الغابات التي على المنحدر الجنوبي لجبل "الرأس الأبيض القديم". لم يكن هذان الوحشان راضيين عن نوع البشر الموجودين على الأرض، وتاقا إلى استبدالهم بمن هم أفضل منهم. كانا يعتقدان بأنهما سيكونان قادرين على تحسين هذا الجنس إذا أصبحا، هما نفسيهما، بشرًا. لذلك اتفق الوحشان المحبان للوطن على الذهاب إلى كبير الآلهة "هانانيم" ليطلبا منه تغيير شكليهما وطبيعتهما؛ أو أخبارهما، في الأقل، بكيفية القيام بذلك

- "ولكن أين نجده؟"

كان هذا هو السؤال. لذا أحنيا رأسيهما تأدبا، وجثما على الأرض وانتظرا فترة طويلة على أمل الحصول على بصيص من الضوء. ثم سمعا صوتاً يقول:

- "تناولا حفنة من الثوم واحبسا نفسيكما في كهف لواحد وعشرين يومًا. إذا فعلتما هذا ستصبحان بشراً".

فزحفا إلى الكهف المظلم ومضغا حفنة من الثوم وخلدا إلى النوم.

كان الجو باردًا وكئيبًا في الكهف ولم يكن فيه ما يُصطاد أو يؤكل، لذلك سئم النمر وغدا يومًا بعد يوم أكثر كآبة وزمجرة وتذمرا ووقاحة مع رفيقه. لكن الدب تحمل إهانات النمر. وأخيرًا، وفي اليوم الحادي عشر، عندما لم ير النمر أية علامات على اختفاء خطوطه أو تساقط شعره أو مخالبه أو ذيله، وعندما فقد الأمل في نمو الأصابع في يديه أو قدميه، كف عن محاولة أن يصبح إنسانًا، فغادر الكهف وذهب من فوره للصيد في الغابة عائدا إلى حياته القديمة".

لكن الدب انتظر في أناة وهو يستعين على جوعه بامتصاص مخالبه، حتى انقضاء الواحد والعشرين يومًا. عندها تساقط جلده ومخالبه المشعرة كما يُنزع المعطف. وصغر أنفه وأذناه ووقف

منتصبا مثل امرأة مكتملة الخلقة. ثم غادرت هذه المخلوقة الجديدة كهفها وجلست على ضفاف أحد الجداول ورأت صورتها في المياه النقية وعرفت كم هي جميلة. وهناك انتظرت لترى ما سيحدث.

في غضون ذلك كانت السماء تشهد أحداثا مهمة؛ فقد طلب وانغ ابن عظيم السماء من والده أن يمنحه مملكة أرضية يحكمها. سر والده بهذا الطلب وقرر أن يقدم لابنه "أرض ظهر التنين" التي أطلق عليها الناس اسم كوريا. لقد نهضت هذه البلاد، أرض النهار العظيمة الأبدية، كما يعلم الجميع، في صباح اليوم الأول للخلق وشقّت البحر متخذة شكل تنين يشكل عموده الفقري وحقويه وذيله سلسلة عظيمة من الجبال والتلال التي صارت العمود الفقري لبلدنا الجميل، والتي ترتفع قمتها إلى عنان السماء في "الجبل الأبيض" الأبدي إلى الشمال. وعلى قمتها تلك، وسط الثلج والجليد، تقع البحيرة الزرقاء ذات المياه النقية التي تتدفق منها الأنهر التي تحد بلادنا والتي نسميها بحيرة التنين.

طوال ليلة كاملة من ذلك الزمن البعيد، تنفس التنين بقوة واستمرار حتى ملأت أنفاسه السماء بالغيوم. كانت هذه هي الطريقة التي مهد بها الرجل العظيم في السماء الطريق لنزول ابنه إلى الأرض.

ظن الناس أن زلزالا قد وقع، لكن عندما استيقظوا في الصباح ونظروا إلى الجبل الكبير الناصع البياض رأوا السحابة ترتفع في السماء. وحين أشرقت الشمس الساطعة عليها تحولت إلى ألوانها: الوردي والأحمر والأصفر، وبدت السماء الشرقية بأكملها ذات جمال خلاب لدرجة أن بلدنا حصل بعد ذلك على اسمه - أرض إشعاع الصباح.

من تلك السحابة المتعددة الألوان نزل الأمير السماوي وانغ محمولًا على أجنحة الريح فوق قمة الجبل أولاً، ثم على السهل الذي في الأسفل. وحين دخل الغابة العظيمة رأى امرأة جميلة تجلس عند جدول رقراق. إنها الدب الذي تحول إلى امرأة رائعة الجمال، وطبيعة بشرية آسرة. فرح الأمير السماوي كثيرا ونفخ عليها من أنفاسه، وبعد فترة وجيزة ولدت طفلا صغيرًا.

صنعت الأم لابنها مهدًا من الطحالب الناعمة وربت طفلها في الغابة.

في تلك الأيام كان الناس الذين يسكنون عند سفح الجبل أجلافا ساذجين. لم يعرفوا لبس القبعات ولا بيض الثياب. عاشوا في الأكواخ، ولم يعرفوا كيف يدفئون منازلهم بالمراجل التي تمتد أنابيبها تحت الأرضيات. ولم تكن لديهم أية كتب أو كتابات. كان موضعهم المقدس تحت شجرة

الصندل[1] على جبل صغير اسمه تاباك في مقاطعة بينغ تانغ. وفي أحد الأيام أبصروا سحابة زاهية الألوان تتصاعد من بحيرة التنين. ونظروا اليها فرأوا أنها تتحرك جنوبا مقتربة منهم حتى وقفت فوق شجرة الصندل المقدسة. عندها هبط منها كائن نوراني يرتدي حلة بيضاء وحط في الغابة عند تلك الشجرة.

آه، ما أجمل مظهر تلك الروح على خلفية من السماء الزرقاء! لكن الشجرة بعيدة والرحلة اليها طويلة. قال زعيم الشعب:

- «لنذهب جميعًا إلى الشجرة المقدسة!»

وهكذا حثوا الخطى بين التلال والوديان حتى وصلوا إلى الأرض المقدسة ورصوا صفوفهم في دوائر من حولها. واستقبلت أنظارهم مشهدا جميلا؛ فهناك تحت الشجرة جلس شاب ذو مظهر جليل، مرتديًا حلّة الأمراء. كان وجهه وقورا ومهيبًا، على الرغم من تورده وشبابه. لقد كان حكيما موقرا على الرغم من صغر سنه. وقال وهو ينظر إليهم بعطف كبير:

- «لقد أرسلت من قبل أجدادي الذين في السماء لأكون حاكما عليكم يا أولادي».

جثا الناس على ركبهم في الحال وانحنوا جميعًا بوقار وهم يهتفون:

- «أنت ملكنا، نحن نسلّم بهذا، وسوف نطيعك بإخلاص».

وبعد أن رأى أنهم ينتظرون ما سيقوله لهم، بدأ بإرشادهم، حتى قبل أن يرسم لهم القواعد والقوانين ويعلمهم كيف يطورون منازلهم. وقص لهم القصص، فشرح في القصة الأولى السبب في صلاح الدب وخبث النمر.

تعجب الناس من حكمته، وصاروا من يومها يكرهون النمر ويزدادون حبًا في الدب.

- «ما الاسم الذي يجب أن نطلقه على ملكنا، حتى نخاطبه بالشكل اللائق؟»

سأل الناس شيوخهم. فأجابوا:

- «الأصوب أن نطلق عليه اسم المكان الذي رأيناه فيه، تحت شجرتنا المقدسة. فليكن لقبه «الموقر» و «خشب الصندل الجليل»».

وهكذا حيوه بهذا اللقب وقبل هو التكريم. وإذ رأى الناس خشنين غير مهذبين، علمهم كيفية ربط شعرهم وتصفيفه. وأمر أن يجمع الرجال ضفائرهم الطويلة على شكل عقدة. وأن يضفر

الأولاد شعرهم ويتركونه يتدلى على ظهورهم. وألّا يُطلق على الصبي اسم الرجل حتى يتزوج. ثم يمكنه بعدها أن يجمع شعره في عقدة وأن يضع قبعة وغطاء رأس ويرتدي معطفاً أبيض طويلاً مثل الكبار.

أما النساء، فيجب أن يضفرن خصلات شعرهن ويظهرنها بوضوح عند الأعناق إلا عند الزواج، أو في مناسبات الاحتفالات الكبرى. عندها يمكن أن يشبكن شعرهن ويرفعنه إلى الأعلى مثل الباغودات(2) ويستخدمن دبابيس الشعر الطوال والمجوهرات والحرير والزهور.

وهكذا بدأ تحضّر الكوريين، وصار قانون القبعة والشعر يميزهم عن سائر الأمم حتى يومنا هذا.

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) شجر الصندل نبات طفيلي ينتشر في الصين والهند والفلبين وإندونيسيا. يتراوح ارتفاعه بين 8 - 10م، يتطفل على الأشجار القريبة فيتعلق عليها، يستعمل جوفها لصناعة زيت الصندل الذي يشيع استعماله في الطب التقليدي وصناعة العطور ومستحضرات التجميل والصابون وتنكيه الأطعمة والمشروبات.

(2) المعابد الشرق آسيوية المتعددة الطوابق.

المرأة القط

كان كيم سو ايك الحاكم السابق لكويل بارت[1] يعيش في حي الباب الجنوبي في سيئول. عندما كان شابا اعتاد أن ينكب على دراسة اللغة الصينية حتى ساعة متأخرة من الليل. وفي ذات ليلة شعر بالجوع فطلب من زوجته أن تحضر له شيئًا يأكله فأجابته:

- «ليس في المنزل سوى سبع أو ثمان من حبات من الكستناء، هل أشويها وآتيك بها؟»

أجاب كيم:

- «هذا جيد. احضريها».

كان الخدم نائمين، وليس هناك من يرد على النداء، فذهبت الزوجة إلى المطبخ وأشعلت النار وشوت حبات الكستناء بينما انتظر كيم مجيئها. بعد قليل وضعتها في طبق وأحضرتها، محمصة وساخنة، فأكلها كيم واستمتع بها كثيرا فيما جلست زوجته أمام مكتبه منتظرة. وفجأة انفتح الباب ودخلت امرأة أخرى. رفع كيم عينيه لينظر اليها، فإذا بها نسخة طبق الأصل من زوجته، وطبق الكستناء المحمص في يدها.

عندما نظر إلى كل منهما تحت الضوء، رأى أن المرأتين صورتان طبق الأصل لبعضهما. نظرت الاثنتان أيضًا إلى الأمام والخلف بقلق وقالتا في الوقت نفسه:

- «ما الذي يجري؟ من أنتِ؟»

تناول كيم الكستناءات المحمصة مرة أخرى، ووضعها على المنضدة، ثم أمسك بالامرأتين كليهما، الأولى بيده اليمنى والثانية بيده اليسرى، وظل ممسكًا بهما بقوة حتى نهاية اليوم.

أخيرًا، بدأت الديكة بالصياح، وأشرقت الشمس فقالت التي يمسكها باليد اليمنى:

- «لماذا تمسكني هكذا؟ هذا مؤلم؛ دعني أذهب».

وجرت نفسها وحاولت أن تتخلص من قبضته، لكن كيم تمسك بها بكل قوة. وبعد جهد جهيد حررت يدها فهوت على الأرض وتحولت فجأة إلى قطة برية. تجمد كيم من هول المفاجأة وانتابه فزع شديد فتركها تهرب من الباب المفتوح، آسفا لأنه لم يجعل الوحش يموت من الجوع! [3]

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) كويل بارت: الاسم الذي أطلقه الأوربيون على جزيرة جيجو الواقعة في مضيق كوريا جنوب شبه الجزيرة الكورية.

(2) كيم سو-إيلك شخصية حقيقية ولد في سيئول وأكمل دراسته عام 1630. وفي عام 1636، عندما فرّ الملك إلى (نام هان) هربا من جيش مانشو الصيني الغازي، رافقه كيم سو إيلك، لكنه عارض أي استسلام للصينيين أو عقد معاهدة معهم، وعندما لم يؤخذ برأيه انسحب من الحياة العامة.

(3) ثمة قصة مشابهة بطلها تونغ تشونغ سو الذي كان صينيًا ذائع الصيت، قرر ذات يوم أن يتفرغ للدراسة تمامًا ولم يخرج من غرفته لثلاث سنوات. في يوم ما عرّج عليه رجل شاب، وبينما هو ينتظر لقاءه حدّث نفسه بصوت عالٍ قائلا:

- "اليوم ستمطر السماء".

فقال له تونغ:

- «أما أن تكون ثعلبًا أو قطًا بريًا.. دع هذه الألاعيب!»

فهرب الشاب في الحال. لقد عرف تونغ ذلك من القول السائر: الطيور التي تعيش في الأشجار تعرف متى تهب الرياح؛ والوحوش التي تعيش في الأرض تعرف متى تمطر الدنيا. وهكذا كشف القط البري عن نفسه دون أن ينتبه!

ضياء الشرق وجسر الأسماك

منذ زمن بعيد، في المنطقة الواقعة وراء الجبال البيضاء الأبدية شمال كوريا، كان هناك ملك تقوم على خدمته فتاة جميلة. اعتادت الفتاة على امتاع عينيها كل يوم بالنظر إلى الجنوب، حيث ترفع قمة الجبل الشاهقة التي تحتضن بركة التنين رأسها الأبيض نحو السماء. وعندما تسأم من الكد اليومي تفكر في النهر الذي يتدفق من بركة التنين نازلا من الجبل وتحلم أن يكون لها في وقت ما ابن يحكم البلاد التي يسقيها النهر بكل تلك الغزارة.

ذات يوم، وبينما هي تراقب قمة الجبل، رأت بخارًا ساطعًا قادمًا من الشرق. كان يطفو مثل سحابة بيضاء في السماء الزرقاء، ولم يكن أكبر من بيضة. ثم اقترب أكثر فأكثر حتى دخل في حضن فستانها. وسرعان ما أصبحت أما لصبي. لقد كان بالفعل أجمل طفل في العالم. لكن الملك الغيور استشاط غضبا. لم يكن يحب الغريب الصغير، فأخذ الطفل ورماه في الحظيرة بين الخنازير، معتقدًا أن هذا سيكون اليوم الأخير من عمره. لكن لا! لقد تنفست الخنازير في أنف الطفل وحافظت أنفاسها الدافئة على حياته. عندما سمع خدم الملك صراخ الصغير خرجوا ليروا سبب الضجيج، وهناك رأوا طفلًا سعيدًا لا يبدو أنه يهتم بمهده الغريب على الإطلاق. أرادوا أن يقدموا له الطعام في الحال ولكن الملك الغاضب أمر مرة أخرى برمي الطفل بعيدًا، وهذه المرة في الإسطبل، فحمل الخدم الصبي من رجليه ووضعوه بين الخيول، متوقعين أن تدوسه الحيوانات وتبعده عن طريقه.

لكن لا. لقد حدبت الأفراس عليه، وبأنفاسها الدافئة لم تمنع الولد الصغير من البرد فحسب، بل غذته بحليبها حتى أصبح سمينًا وقويا. عندما سمع الملك عن هذا السلوك الرائع للخنازير والخيول، رفع رأسه نحو السماء وأدرك أن إرادة العظيم في السماء تريد أن يعيش الطفل ويكبر ليصبح رجلاً. فاستمع إلى توسلات والدته وسمح لها بإدخال طفلها إلى القصر. وهناك نشأ وتدرب مثل أحد أبناء الملك. وعندما صار شابًا قويًا أخذ يمارس الرماية بالقوس والسهام وأصبح ماهرًا في ركوب الخيل، ودائم اللطف مع الحيوانات. كان قانون المملكة ينص على أن أي انسان يقسو على حصان يعاقب بشدة. وكل من ضرب فرسًا حتى الموت قُتل في الحال.

أما رامي السهام والفارس الشاب هذا فكان رحيمًا بحيواناته على الدوام، لذلك أطلق الملك عليه اسم ضياء الشرق أو إشعاع الصباح وجعله سيدًا على الاسطبلات الملكية. أصبح ضياء الشرق مشهورًا جدًا. فلقبه الناس بابن الشمس وحفيد النهر الأصفر. وفي أحد الأيام بينما يرتاد الملك الجبال ويصطاد الغزلان والدببة والنمور، دعا الشاب لإظهار براعته في رمي السهام فشدّ الأخير قوسه وأخذ يرسل سهما صافرا بعد سهم ليصيب اهدافه ويجندل كل ما صادفه من طيور وغزلان مظهرا براعة لا تجارى فصفق له الجميع وامتدحوا مهارته. لكن الملك شعر بالغيرة منه، وخشي من أن يطمح يومًا في ارتقاء العرش. فلم يعد الفتى ينال رضا سيده الملك مهما فعل، وخاف من أن يفقد حياته إذا بقي بالقرب منه ففر مع ثلاثة من أتباعه المؤتمنين نحو الجنوب حتى وصل إلى نهر كبير عميق واسع لا يمكن اجتيازه. احتار في طريقة لعبوره، فما من قارب في متناول اليد، والوقت لا يسمح بتجميع طوف يعبرون عليه، لأن الأعداء من خلفه يلاحقونه بسرعة. فصرخ في كرب عظيم:

- «يا للأسف، هل يمكنني، أنا ابن الشمس وحفيد النهر الأصفر، أن أقف هنا عاجزاً أمام هذا التيار؟»

وكما لو أن والده الشمس، قد همس له بما يفعل، سحب قوسه وأطلق الكثير من السهام هنا وهناك في الماء حتى أوشك أن يفرغ كنانته. لم يحدث شيء للوهلة الأولى، وبدا الأمر لرفاقه مضيعة لأسلحة جيدة، فكيف لزعيمهم أن يقاتل ملاحقيه عندما يظهرون إذا كانت جعبته فارغة؟

لكن المياه سرعان ما اضطربت بشكل غريب وأخذت ترغي وتزبد. ومن أعلى النهر وأسفله، أخذت الأسماك تسبح أمامهم باتجاه ضياء الشرق وتخرج أخطامها من الماء كما لو أنها تقول:

- «اصعد على ظهورنا وسننقذك».

لقد احتشدت معًا في كتلة كثيفة حتى تشكل جسر من أعمدتهم الفقرية. جسر يمكن للرجال أن يسيروا عليه.

- «أسرعوا. فلنهرب! (صاح ضياء الشرق برفاقه) دعونا نجري. ها هم فرسان الملك ينزلون من التل».

وهكذا فر الشباب الأربعة عابرين النهر فوق جسر من ظهور الأسماك، متقشر ومليء بالزعانف الشوكية! ثم تلاشى جسر الأسماك بمجرد وصولهم إلى الضفة الأخرى. ولم يكادوا ينفذون

بجلودهم حتى وصل ملاحقوهم من جند الملك إلى حافة النهر من الجهة المقابلة وأطلقوا عبثا سهامهم الحربية لقتل ضياء الشرق ورفاقه الثلاثة، فقد قصرت السهام وكان النهر عميقًا وعريضا لا يسمح للخيول أن تسبح فيه، فوصل الشبان الأربعة إلى بر الأمان.

بعد مسيرة استغرقت بضعة أميال التقى ضياء الشرق ورفاقه بثلاثة رجال غريبين بدا أنهم ينتظرون مجيئه. رحبوا به بحرارة ودعوه ليكون ملكهم ويحكم مدينتهم. كان الأول يرتدي ثيابًا من الأعشاب البحرية، والثاني يرتدي ثيابًا من القنب، أما الثالث فقد كان يرفل في حلّة مطرزة نفيسة. أولئك الرجال الثلاثة يمثلون الطبقات الثلاث للمجتمع. الأول يمثل الصيادين والسمّاكين، والثاني المزارعين والحرفيين والأخير رؤساء القبائل.

في هذه الأرض الغنية بالغلال الخمس: القمح والأرز والدخن والفول وقصب السكر، في هذه الأرض المسماة "فوجي" استقبل الملك رعاياه الجدد بفرح وسعادة. كان رجالها طوال شجعانا ومهذبين، ناهيك عن أنهم رماة بارعين. كانوا يمتطون الخيول بمهارة ويأكلون من الأطباق بعيدان رفيعة ويستخدمون في ولائمهم أطباقا مستديرة ويتزينون بحلي من لآلئ كبيرة ومجوهرات من أحجار اليشم الأحمر الكريمة المشذبة المصقولة.

قدم شعب فوجو أجمل عذراء في مملكتهم عروسا لملكهم ضياء الشرق وأصبحت ملكة كريمة ومحبوبة جدا من رعاياها ورزقا بالعديد من الأطفال. حكم ضياء الشرق لسنوات طويلة في سعادة وهناء، وأصبح شعب فوجو في عهده شعبًا متحضرًا ومزدهرًا للغاية، بعد أن علمهم العلاقات الصحيحة بين الحاكم والمحكوم وقوانين الزواج وأفضل طرق الطبخ وبناء المنزل. كما أوضح لهم كيفية تصفيف شعورهم وأدخل عليهم طريقة ربطها في عقدة علوية. وظلت العقدة العلوية لآلاف السنين الموضة الشائعة في فوجو وفي كوريا بأسرها. وبعد مئات السنين من وفاة ضياء الشرق أرادت جميع القبائل والدول في شبه الجزيرة الواقعة جنوب الجبال البيضاء الأبدية أن تصبح أمة واحدة ومملكة واحدة؛ وسموا بلادهم باسم ضياء الشرق، أو باسمها الأكثر شاعرية "جو زن" التي تعني نور الصباح أو أرض هدأة الصباح.

(عن الانكليزية)

حكايات كُردية

حكاية الملك ذي الأولاد السبعة

1

منذ زمن بعيد عاش ملك له سبعة أبناء، وحدث أنه نوى القيام برحلة طويلة، ولأن زوجته كانت حبلى فقد استدعى ابنه الأكبر وخليفته قبل مغادرته وقال له:

- "اسمع يا بني، إذا ولدت أمك صبيا أقم المآدب والأفراح، لكن إذا كان المولود بنتا فاخرج بها الى البرية واقتلها في الخفاء دون أن تخبر أحدا"

ثم ودع أهله ومضى. بعد تسعة أشهر وتسعة أيام من حملها أنجبت زوجة الملك بنتًا، ولم يكن أمام الابن الأكبر إلا أن ينفذ وصية أبيه فلف الصغيرة في قماط وانطلق الى البريّة. ولم يلبث أن رأى على مرمى البصر طاحونة يملكها رجل وزوجته صادف أن مات طفلهما الوحيد فتوسلا اليه أن يأخذاها ويربياها، فوافق ابن الملك وتركها عندهما وعاد الى القصر، وعندما رجع والده من سفره أخبره بأنه نفذ ما أوصاه به.

مرت الأعوام وكبرت الفتاة وصارت صبية مليحة في سن الزواج. وفي أحد الأيام خرج الملك للصيد في البرية القريبة فحدث أن مر بجانب الطاحونة ووقعت عيناه عليها فلاقت هوى في نفسه وطلب يدها من الطحان. حاول الوزراء ورجال الحاشية ثنيه عن ذلك، لكن دون فائدة، وكذلك فعل ابن الملك الذي عرف من تكون:

- "أبي، أنت ملك وابن ملك. ماذا يرغمك على الزواج من ابنة طحان؟ هل ترى ذلك لائقا بجلالتك؟"

لكن الملك لم يتراجع عن رأيه:

- «كما إن الله واحد لا ثاني له، كذلك كلمتي!»

لم يبق للابن خيار غير إخبار أبيه بالسر الذي أخفاه كل هذه الأعوام، فجنّ جنون الملك وهم بقتلها لكنه رأف لحالها فاكتفى بأن أمر بنفي ابنه وابنته.

ركب الأخ وأخته حصانا وحملا بعضا مما يحتاجان إليه، وتركا موطنهما آسفين.

أين ذهبا؟ كم ابتعدا؟ لا أحد يعرف. لكنهما وصلا أخيرا الى مدينة كبيرة عظيمة فرأوا أهلها صامتين صمت القبور كما لو كانوا في حداد. طرقا باب أحد المنازل طالبين المأوى فرحب بهما صاحبه. وبعد أن استراحا قليلاً، سأله الشاب:

- «ما بكم يا عمّ؟ علام هذا الحزن والصمت اللذان يلفان مدينتكم؟»

- "آهٍ أيها الشاب الغريب. منذ شهور ونحن نعاني من مصيبة كبيرة، من بلاء لا فكاك منه: لقد قطع تنين غاشم جبار الماء عن المدينة، وصار يطلب منا كل يوم أن نقدم له إحدى بناتنا ليأكلها مقابل السماح لنا بالحصول على الماء. لقد خربت بيوتنا ولم يعد لنا من يمد لنا يد العون"

- "ولمن الدور غدا؟"

- "لقد وقعت القرعة على ابنة الملك الوحيدة، أميرتنا الجميلة المحبوبة! لهذا ترى المدينة في حداد وصمت ووجوم"

في صباح اليوم التالي اجتمع أهل المدينة رجالا ونساء للذهاب إلى النبع. ورآهم الشاب وهم يزينون الأميرة استعدادا لتقديمها الى التنين، فشقّ الأمر عليه وهو ينظر الى تلك الأميرة الجميلة الشابة التي كتب لها أن يلتهمها التنين البشع، فوضع لثامه على وجهه وتقدم ووقف بين يديها وقال:

- «ابقي حيث أنتِ يا أميرتي ودعيني أوقف ذلك التنين عند حدّه»

بكت النساء إشفاقاً وتوسل إليه الناس:

- "ما زلت شابا يا هذا فلا تود بنفسك! لا فائدة! سيلتهمك التنين في غمضة عين. هذه مشكلتنا فاتركنا نحلها بأنفسنا!"

- "وما هذا الحل البائس؟ هل تظلون خانعين حتى يلتهم كل بناتكم؟!"

- ثم حمل سيفًا في كل من يديه ووقف أمام التنين وصاح كي يستفزه:

- "أيها الوغد اللعين. الى أين تهرب مني؟ أنت طاغية شرير وها أنا أتحداك!"

حدق التنين بغضب وهجم على الشاب وابتلعه في لقمة واحدة، وكان هذا ما أراده الشاب، فما أن نزل بجوف التنين حتى أعمل السيف بأحشائه يمينا ويسار حتى هلك وسقط أرضا فشقَّ بطنه وخرج سليما معافى.

ابتهج الشعب وعمّ السرور وهنأوا الشاب وابنة الملك التي كانت على وشك الاغماء من فرط السعادة. لكنها لم تنسَ أن تغمس يدها في دم التنين وتطبعها على ظهر الشاب حتى تتعرف عليه فيما بعد. وكان ذلك يوم فرح لم تشهده المدينة من قبل. وكان أكثرهم سرورا الملك الذي أمر باستدعاء البطل الذي انقذ ابنته الوحيدة وكل بنات مملكته. قدم الكثير من الناس أنفسهم زاعمين أنهم البطل المقصود، لكن الأميرة اكتشفت كذبهم واحدا بعد الآخر بمجرد أن نظرت الى ظهورهم، وأخيراً لم يتبق أحد سوى شاب غريب قدم الى المدينة مؤخرا واستأجر منزلًا مع أخته في ضواحيها فأمر الملك باستدعائه، فلما رأت الأميرة بصماتها على ظهره عرفته على الفور وقالت:

- "أبي، هذا هو البطل الذي أنقذنا أنا وكل فتيات المدينة"

سرَّ به الملك وأكرمه وشكره كثيرا قائلا:

- "يا بني سوف أجازيك بكل مكافأة دنيوية مهما كبرت، وسوف أظل مع هذا مديناً لك".

فأجابه الشاب:

- "أطال الله عمر الملك. أجّل مكافأتي الى وقت لاحق. لا أريد الآن سوى العودة الى عملي وبيتي الصغير"

- "وما مهنتك يا فتى؟"

- "أنا صياد يا جلالة الملك"

- "حسنا أيها الصياد الشهم، لك ما تريد"

2

في أحد الأيام، خرج الشاب كعادته الى الصيد، ومضت أخته لتجلب الماء من بئر وسط الغابة. وهناك رأت في قعر البئر عفريتا ناداها قائلاً:

- "أرجوكِ ساعديني كي أخرج من هنا"

دلّت الفتاة حبلًا وأخرجته، ثم أحضرت له ثياباً وطعاماً فشكرها العفريت كثيرا وهمّ بمغادرة المكان لكنها أمسكت بتلابيبه وقالت:

- "لا، لن أدعك تذهب. عليك أن تنام معي وإلا أخبرت أخي فيقطعك إربا إربا"
- "ومن أخوك هذا؟"
- "إنه البطل الذي قتل تنين النهر"

ارتعد العفريت خوفا ولم يجد بدا من الاستجابة لرغبتها. ثم استمرت لقاءاتها حتى حملت الفتاة منه وتغير حالها وشحب لونها. وكانت، في كل مرة يسألها فيها شقيقها عما أصابها تكتفي بالرد:

- "ماذا بيدي يا عزيزي؟ أنا مريضة وهذه إرادة الله"

وحدث أن الملك بعث الشاب في مهمة طالت شهورا، وفي هذه الأثناء، وبعد تسعة أشهر وتسعة أيام من حملها، وضعت مولودا ذكرا، فقالت لعشيقها:

- "ما الحل يا عفريت؟ إذا اكتشف أخي الأمر، سوف يقطع كل منا إلى نصفين"
- "والله لا أعرف. عليكِ أنت أن تجدي حلا لهذه الورطة"
- "أبق الطفل معك وعندما يعود أخي ضعه في طريقه كي يعثر عليه. إنه طيب القلب ورحيم، وسوف يلتقطه ويحضره معه بالتأكيد"

فعل العفريت ما أشارت عليه، وفي تلك الليلة، عاد الشاب الى البيت وهو يحمل الرضيع المقمط وقال:

- "أختاه! لدي أخبار سارة. لقد وجدت رفيقا لك"

تظاهرت الفتاة بأنها متفاجئة وقالت:

- "آه ما أجمله! لكن من أين آتيه بالحليب؟ مع ذلك، لقد أحسنت صنعا إذ أنقذت هذا

المسكين من الموت. دعنا إذن نصلي ونوجه وجوهنا إلى القبلة ونسأل الله أن يملأ ثديي بالحليب كي أستطيع إرضاعه"

- "حسنًا" قال الأخ ببراءة"

وبينما هما يصليان ويدعوان هتفت الفتاة:

- "أخي، لقد قبل الله صلاتنا. ثدياي امتلآ بالحليب"

جاءت سنوات وذهبت سنوات. وكبر الطفل حتى صار صبيا. وكان الأخ يخرج كل يوم ليصطاد بينما الأخت تستمتع مع عشيقها العفريت، لكنها كانت تشعر على الرغم من ذلك بأنها ليست حرة، وظلت خائفة من أن يكشف شقيقها سرها فيقتلها، لذلك قالت لزوجها:

- "يجب عليك أن تجد حلا لوجع الرأس هذا! افعل شيئًا للتخلص من أخي، وإلا فلن نشعر بالراحة أبدا"

- "حسنا" قال العفريت "فكري في طريقة للتخلص منه"

- "استمع إذن إلى ما أقول: أخي يعود من الصيد كل مساء، ويتوقف دائمًا عند النبع ليروي عطشه. اذهب وتحول إلى سم زعاف وادخل في الماء واقتله"

كان الفتى يستمع إلى ما يقولان، فقام من فوره وحمل جرة من الماء، وعندما دنا خاله من النبع وقف في طريقه وأصر ألا يشرب إلا من الجرة فانقذه من موت محقق. وعندما سألته الخال عن السبب وراء ما فعله لزم الصبي الصمت مع إلحاحه الشديد.

في اليوم التالي قالت المرأة لزوجها العفريت:

- "تحول اليوم إلى عقرب واجثم خلف الباب، وحين يدخل أخي الدغه لدغة فيها أجله!"

ومرة أخرى كان الصبي يستمع إلى ما يخططان له وعندما عاد خاله إلى المنزل سبقه الى الدخول وداس على العقرب بحذائه وأنقذ خاله ثانية.

في اليوم الثالث قالت المرأة لعشيقها:

- "حسنًا، حوّل نفسك إلى ثعبان، واختبئ داخل حذائه، وعندما يضع قدمه فيه الدغه واقتله!"

ومرة أخرى عرف الصبي خطتها، وعندما همّ الخال بوضع قدمه في حذائه قفز وأمسك بالحذاء وهزه بقوة فسقط منه الثعبان. وهكذا باءت كل خطط الأخت وعشيقها بالفشل الذريع.

في ذات يوم عاد الأخ من الصيد قبل موعده المعتاد فوجد أخته راقدة مع العفريت. وقد تركا الصبي الصغير ليلعب في الخارج وانغمسا في ملذاتهما فما كان منه إلا أن يستل خنجره ويقتلهما في الحال. وعندما دخل الصبي ورأى ما حدث انتابه الخوف

وقال لخاله:

- "أيها الخال، هل ستقتلني أنا أيضًا؟"

- "كلا يا ابن أختي، أنت ولد صغير وبريء، لماذا أقتلك؟"

- "أيها الخال. انا، على كل حال، ابن هذا العفريت وتلك المرأة، لكنني لم أكن مثلهما يوما. لقد حاولا التخلص منك عدة مرات، غير أنني أفسدت خططهما".

ثم روى له قصة تسميم ماء النبع، والعقرب، والثعبان.

3

حزم ابن الملك أغراضه وانطلق مع الصبي الصغير عائدا الى مملكة أبيه. كم سارا؟ كم ابتعدا؟ لا يعلم إلا الله، لكنهما على حال وصلا الى مكان منعزل فقرر الخال أن ينزلا أحمالهما ويقضيا فيه ليلتهما. أحس الولد بالقلق وقال لخاله:

- «خالي، لا أريد أن نبقى هنا، لا أظنه مكانا آمنا للمبيت»

غير أن الخال لم يكترث لما قاله وغط في النوم. لم يكن أمام ابن أخته سوى أن يبقى مستيقظًا طوال الليل ليحرس خاله. وفي منتصف الليل شاهد عفريتا مخيفًا يندفع نحوهما مثل عاصفة هوجاء ثم يدمدم غاضبا:

- «أشم رائحة غرباء. من قتل أخي؟ لسوف أسحقه وأنثر غباره في السماء!»

نهض الولد الصغير، الذي كان هو الآخر عفريتا من جهة أبيه، واستل خنجره وانقض على العفريت وقتله، ثم قطع أنفه وأذنيه ووضعهما في كيس واستلقى لينام قرب خاله. وعندما حل الصباح أخبره بكل ما جرى فشكره الخال كثيرا وأشاد بذكائه وشجاعته.

ثم مضيا في رحلتهما من جديد. إلى أي مدى ذهبا؟ لا يعرف أحد، لكنهما وصلا إلى مكان وجدا فيه عفريته شمطاء اقتعدت الأرض وقد القت ثديها الأيسر على كتفها بينما وضعت ثديها الأيمن في فمها. زأرت العفريتة وصاحت:

- «ما من أحد يقع بين براثني ثم يفلت مني. لسوف أقطعه إربا إربا.. هُمم هُممم!»

همس الولد الصغير في أذن خاله:

- «أيها الخال، أرجوك افعل ما أطلبه منك. تسلل خلفها ثم اقترب منها دون أن تشعر بك ثم باغتها وضع ثديها الأيمن في فمك وارضع منه. عندها لن تؤذيك لأنها ستعدّك ابنها وتكشف لك سرها»

فعل الأمير كما قال ابن أخته، فتلقف ثدي العفريتة ووضعه في فمه. أجفلت الأخيرة ثم ارتجفت من الغضب وقالت:

- "أيها البشري، من أطلعك على هذا السر؟ أقسم بالله لو لم تفعل ذلك لكنت سحقتك وأرسلتك إلى السماء. ليس في يدي حيلة؟ الآن صرت أمك. أخبرني عمَّ تبحث"

- "أنا ذاهب إلى منزل والدي"

- "اسمع يا بني. الطريق إلى بيت والدك صعب للغاية ومليء بالأخطار. في مكان ما سيتعين عليك أن تصارع الحيرة والارتباك، وفي مكان آخر ستواجه العقبات والصعاب"

وهكذا أخبرته بكل آلام الطريق وما يجب وما لا يجب عليه فعله. ثم انطلق الأمير وابن أخته وسافرا لأيام وأيام حتى اقتربا من مدينة غريبة ونصبا خيمتهما على أطرافها ثم دخلا المدينة لشراء ما يحتاجانه. وهناك وجدا الناس صامتين وحزينين كأنهم في حداد فسألا أحدهم عن السبب، فأجابهم:

- "لقد أوقف تنين عظيم كل امدادات الماء عن المدينة، وطلب منا أن نختار إحدى عذارانا نقدمها له ليأكلها وإلا لن يسمح لقطرة ماء أن تصل إلينا حتى نموت من العطش. غدا دور ابنة الملك. لهذا السبب ترى كل الناس على هذه الحالة"

عاد الصبي وخاله الى الخيمة وهما مثقلان بالهموم والأحزان. وفي منتصف الليل تسلل الولد خارجا وذهب إلى النبع ونادى على التنين قائلا:

- "أيها الوغد، أرني نفسك!"

وبما أن الصبي ينتمي هو نفسه الى جنس العفاريت، فقد كان يتمتع بقوة لا تصدق. فما أن برز له التنين حتى استل سيفه وجعله أشلاء ثم غرس السيف في الأرض وقرأ عليه تعويذة سحرية كي لا يقدر أحد على إخراجه، ثم عاد إلى خاله ونام.

في صباح اليوم التالي، ذهب جميع سكان المدينة إلى النبع ليودعوا الأميرة، لكنهم عندما وصلوا إلى هناك وجدوا التنين قتيلا مقطع الأوصال. عمت البهجة والسرور بيوت المدينة وازقتها وشوارعها وصاح المنادي في جميع أنحاء المدينة معلنا أن كل من أقدم على هذا العمل الشجاع يجب أن يأتي الى قصر الملك كي ينال مكافأته. وكان على كل من أدعى أنه من فعل ذلك أن يكون قادرًا على سحب السيف من الأرض، لكن أحدا لم يستطع فعل ذلك. وأخيرا بلغ الملك أن شخصين لا يُعرف إن كانا أبًا وابنًا أم أخوين ينزلان في خيمة بضواحي المدينة هما الوحيدان اللذان لم يجربا حظهما فأرسل اليهما يأمر بقدومهما على الفور. وفي الطريق قال الصبي لخاله:

- "إذا سألوك فقل لهم أنك فعلت ذلك"

ثم أخبره بالتعويذة السحرية لسحب السيف. وهكذا، أخبر الأمير الملك بأنه هو من قتل التنين، ثم ذهب الجميع الى مكان السيف فقرأ التعويذة السحرية فإذا به يستل السيف من الأرض كما تُستل الشعرة من العجين.

أمطر الملك الخال بالهدايا والعطايا وقال له:

- "خذ كل ما تريد من المال أو الأملاك أو الذهب أو المجوهرات"

لكن الولد همس في أذنه قائلا:

- "قل له: لا رغبة لي بشيء مما عرضته، ولا أريد غير وردة من حديقتك"

فهم الملك مقصده على الفور وزوجه بابنته. ثم زودهم بكل ما يحتاجون اليه وانطلقوا نحو مملكة الأب.

4

سافروا أياما وشهورا حتى وصلوا إلى إحدى المدن فرأوا أهلها وقد تجمعوا لاختيار ملك جديد مكان ملكهم الراحل. وكانوا قد اعتادوا في هذه الحالات على إطلاق أحد الصقور ليدور فوق رؤوس الناس ثم يحط على رأس سعيد الحظ الذي سيتوجونه ملكا عليهم. وقف المسافرون مع الناس كي يتفرجوا على ما يجري، وما أن أطلقوا الصقر حتى حوم قليلا ثم نزل على رأس الشاب. لكنهم غضبوا وتململوا لأنه غريب عن مدينتهم وقالوا:

- "لقد أخطأ الصقر بالتأكيد. فلندعه كي يطير مرة أخرى"

وكرروا المحاولة ثلاث مرات، لكن الصقر نزل في كل مرة على رأس الأمير. فما كان منهم إلا أن يضعوا التاج على رأسه ويجلسوه على العرش فحكم الناس بالعدل وجعل من ابن أخته وزيره ومستشاره. وبعد أن استتب له الأمر كتب رسالة الى أبيه الذي كان قد فقد نظره من كثرة البكاء على ولده. وما أن وصلت اليه رسالة ابنه حتى اشرقت عيناه من الفرح والسرور. ثم أسرع للقاء ولده وضم مملكته الى ملكه وعاش الجميع في سعادة وسلام.

(عن الكردية)

حكاية شاقولي، الأخرق عاثر الحظ

يحكى أن رجلاً يدعى شاقولي عاش في إحدى القرى. كان فقيراً معدماً لا زوجة له ولا أطفال ولهذا تراه يدور على القرى ويمكث ضيفاً على إحداها بضعة أيام ثم يغادرها إلى غيرها حتى غدا معروفاً بين أهل المنطقة.

في مغرب يوم ما حل شاقولي ضيفاً على واحدة من تلك القرى وقصد بيت صديق له. رحبت به سيدة البيت وقالت له:

- «يا شاقولي. لقد وضعتُ قدراً من «كبة الحامض» على النار وسأذهب إلى العين كي أحضر جرة من الماء. انتبه إلى القدر وأبعد عنه الدجاج ريثما أعود. صديقك لن يتأخر في الرجوع من الحقل»

خرجت المرأة فيما جلس شاقولي بعيداً يراقب القدر الذي سرعان ما تجمع الدجاج من حوله. صاح عليها مراراً لإبعادها «كش، كش، أقول لكنّ كش!» لكن دون جدوى، فما كان منه إلا أن التقط حجراً من الأرض ورماه نحوها. لكن الحجر سقط على جرة الدبس فأحدث فيها ثقباً راح الدبس يسيل منه. ركض شاقولي إلى الجرة ووضع اصبعه في الثقب ثم نظر من حوله فابصر خرقة قماش في متناول يده الثانية فسحبها ليسد بها الثقب دون أن يعلم أن تلك الخرقة كانت تسد فم زير الدخن فإذا بالدخن ينساب منه إلى الأرض ويختلط بالدبس. ارتبك شاقولي وتخبط فاصطدمت رجله بقدر الكبة وانقلبت هي الأخرى واختلطت بالدبس والدخن فجلس المسكين حائراً لا يعرف ما يفعل.

في تلك الأثناء عادت المرأة ورأت شاقولي على تلك الحال فقالت:

- «ماذا جرى؟ فأجابها: ماذا أقول؟ الحال كما ترين»

لكنها هدأت من روعه وقالت:

- «لا عليك، كلها فداء لك»

وقامت بتنظيف المكان وترتيبه، ولم يلبث الزوج أن عاد من الحقل فقال لها:

- «يبدو أن لدينا ضيفاً»

- "نعم والله إنه شاقولي"

فرح الزوج بضيفه ورحب به وأعدت الزوجة ما قُسم لهم من عشاء. وفي ساعة متأخرة من الليل قال له صاحب البيت:

- «اعذرني يا صديقي. ثورنا مريض وقد حل وقت مناوبتي في السهر عليه»

- "أنت متعب يا صديقي. اذهب للنوم وسأقوم أنا بنوبتك"

شكره الرجل وذهب إلى فراشه وبقي شاقولي صاحياً وهو يلهو بشحذ خنجره ويدخل بين الفينة والأخرى إلى الزريبة ويلقي نظرة على الثور ليطمئن عليه لكنه وقبيل الفجر دفع باب الزريبة فأبى أن يفتح فقال في نفسه.

- «لقد سقط الثور وراء الباب ولا بد أنه يحتضر. فلأسرع بذبحه قبل أن ينفق»

واستل خنجره ومد يديه من فسحة الباب حتى استطاع أن يصل إلى رقبته وذبحه ثم غسل يديه وذهب إلى فراشه.

عندما حل الصباح ناداه صاحب الدار:

- «انهض يا صديقي. ماذا حصل للثور؟»

- "لقد سقط الليلة الماضية وراء باب الزريبة وكاد أن ينفق لولا أنني نجحت بذبحه وإحلال لحمه في اللحظة الأخيرة".

ولكن الدهشة عقدت لسانيهما عندما دخلا إلى الزريبة وشاهدا الحمار مذبوحاً والثور نافقاً. أما شاقولي فقد ود لو أن الأرض انشقت وابتلعته. غير أن صديقه طيب خاطره وقال له:

- «لا عليك يا أخي. يبدو أن الله لم يكتب لنا نصيباً فيهما».

ثم تناولا فطوراً بسيطا وقام صاحب الدار وشد البردعة إلى ظهر بغلته وحمل المنجل والفؤوس فسأله شاقولي عما ينوي فعله فأجاب بأنه يريد الذهاب إلى الجبل لجمع الحطب فقال شاقولي:

- «لا والله لا تذهب. أنا سأقوم بهذا العمل عنك».

وامتطى البغلة وتوجه نحو الجبل وهناك ربط البغلة في الوادي وتسلق المنحدر وشرع بقطع الأغصان حتى جمع كومة من الحطب فربطها ووضعها على الأرض ونزل إلى الوادي ليأتي بالبغلة فإذا به يفاجأ بأن الذئاب قد افترستها فصار يضرب بجمع كفه على رأسه ويقول:

- «يا ويلتي. ماذا فعلتُ بهذا الرجل الطيب؟! خير لي أن أذهب وأرمي البردعة والمنجل والفؤوس في باحة بيته وأهرب من هذه القرية ولا أريهم وجهي ثانية».

وحمل البردعة والمنجل والفؤوس وعاد إلى بيت صاحبه وقد قرر أن يصعد إلى السطح ويرميها من هناك إلى الباحة دون أن يروه. وهكذا ارتقى السطح وألقى البردعة لكن حبلها التف برقبته فتعثر وهوى إلى الباحة ليسقط تماماً على رأس المرأة المسكينة التي أسلمت الروح في الحال!

ركض الرجل إلى الباحة فرأى زوجته ميتة دون حراك وصاح يا ويلتاه ماذا حدث؟ فقص له شاقولي الحكاية. أخذ الرجل يبكي ويندب خسرانه كل شيء ثم التفت إلى شاقولي وقال له:

- «ها قد جعلتني مثلك، لا مال ولا عيال. ارحل من هنا لا أراني الله وجهك!»

(عن الكردية)

الضيافة العجيبة

يحكى أن رجلًا عاش في إحدى القرى واشتهر فيها بالكرم وفعل الخير حتى عم إحسانه على الجميع. ذاع صيت الرجل في الجوار بسبب حسن ضيافته وإكرامه للضيف. غير أنه عرف بخصلة سيئة وحيدة إذ كلما حل به زائر بالغ في ضيافته واحترامه وسارع إلى تقديم أفضل ما في بيته من عشاء ثم قدم له فطورا دسما في الصباح ولم يكن يكتفي بهذا بل يضع في حقيبة الضيف وجبة غداء كاملة ثم يرافقه حتى أطراف القرية حيث ينهال عليه بهراوته قبيل مفارقته!

ويقال إن أخبار هذا السلوك العجيب من كرم وحسن ضيافة ينتهيان بالضرب قد انتشرت في المنطقة بأسرها فقرر رجل من إحدى القرى المجاورة أن يعرف حقيقة الأمر والسر الذي يكمن وراء هذا التصرف الغريب، فلبس ثياب السفر ووضع خنجره في حزامه وامتطى دابته وقال مع نفسه:

- «لسوف أقتله بهذا الخنجر إن ضربني أو رفع هراوته بوجهي!»

مضى القروي حتى وصل إلى منزل ذلك الرجل قبل حلول المساء فاستقبله الأخير بكل تقدير وترحاب وقدم له عشاءً فاخرا وهيأ له فراشا وثيرا وفطورا صباحيا شهيا ثم أصر على أن يضع له وجبة غدائه في حقيبة السفر، ثم حمل هراوته وسار معه ماشيا حتى أطراف القرية. كل هذا والضيف ممسك بقبضة خنجره متهيئا لطعنه إذا ما حاول ضربه بالهراوة.

وعندما بلغا حدود القرية امتطى الضيف دابته وودع مضيفه وابتعد قليلا دون أن يلاحظ عليه أي مسعى لضربه كما سمع من الآخرين فتوقف وعاد اليه وقال له:

- «مهلا أيها الرجل. لقد سمعت بأنك إنسان خيّر كريم تحسن استقبال ضيوفك وهذا ما تأكدت منه ورأيته بعيني، لكنني سمعت أيضا بأنك تنهال على ضيوفك بهراوتك في ساعة التوديع فلماذا لم تحاول فعل ذلك معي؟ هل خفت من الخنجر الذي في يدي والذي أقسمت بأن أقتلك به إذا ما أقدمت على ضربي؟»

ضحك الرجل وأجاب:

- «كلا. أنا لم أفكر أصلا بضربك»

- "فلماذا كنت تفعل هذا مع الآخرين؟"

- "لأنك لم تفعل مثلما كانوا يفعلون. لقد كانوا يبالغون في تملقي ومدحي وإطرائي على شيء أراه واجبًا عليّ. وكانوا بذلك يضيعون عليّ أجر ما فعلت ولهذا كنت أعاقبهم واسترد أجري بضربهم!"

(عن الكردية)

حكايات فلبينية

الجاموس والقوقعة

في يوم صيفي شديد الحرارة، ذهب جاموس إلى النهر للاستحمام، فالتقى بحلزونة وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث. قال الجاموس للحلزونة:

- «إنك لبطيئة جدا»

فأجابته الحلزونة:

- «أنت مخطئ تماما فأنا قادرة على هزيمتك في السباق»

قال الجاموس:

- «دعينا إذن نجرب ونرى»

ثم خرجا إلى الضفة وشرعا في الجري.

وبعد أن قطع الجاموس مسافة طويلة توقف ونادى:

- «أين أنتِ أيتها الحلزونة؟»

فأجابته حلزونة أخرى ملقاة على ضفة النهر:

- «ها أنا ذا!»

ركض الجاموس بأسرع من قبل، معتقدًا بأنها الحلزونة نفسها التي يتسابق معها.

ثم توقف من جديد ونادى:

- «أيتها الحلزونة»

فانبرت قوقعة أخرى قائلة:

- «أنا ها هنا أيها الجاموس!»

فوجئ الجاموس بقدرة القوقعة على مواكبته فأخذ يركض ويركض ويتوقف كل مرة ليناديي القوقعة فترد عليه قوقعة أخرى فقرر ألّا يسمح لها بأن تسبقه بأي ثمن.

وهكذا أخذ يجري ويجري ويجرى حتى تقطعت أنفاسه وخرّ صريعا!

(عن الانكليزية)

السلحفاة والسحلية

ذات مرة دخلت سلحفاة وسحلية كبيرة إلى حقل «جوتجوتابا» كي يسرقا الزنجبيل. عندما وصلا إلى المكان قالت السلحفاة للسحلية:

- «علينا أن نصمت ونتصرف بهدوء وإلا سمعنا الرجل وخرج إلينا»

لكن السحلية شعرت بسعادة بالغة بمجرد أن تذوقت الزنجبيل فصاحت:

- «زنجبيل جوتجوتابا ممتاز!"

قالت لها السلحفاة:

- «اهدئي واصمتي»

لكن السحلية لم تعر اهتمامًا للتحذير ونادت بصوت أعلى من سابقه:

- «زنجبيل جوتجوتابا ممتاز!"

صاحت مرارًا وتكرارًا حتى سمعها الرجل أخيرًا وخرج من المنزل للقبض على اللصوص.

لم تستطع السلحفاة الركض بسرعة، وبقيت ساكنة في مكانها فلم يرها الرجل. لكن السحلية ركضت فشرع الرجل بمطاردتها حتى اختفيا عن الأنظار، وعندها سارعت السلحفاة بدخول المنزل واختبأت تحت قشرة جوز الهند التي كان الرجل يجلس عليها.

ركض الرجل وراء السحلية لمسافة طويلة، لكنه لم يستطع الإمساك بها. وبعد برهة عاد إلى المنزل وجلس على القشرة.

بعد قليل صاحت السلحفاة:

- «كوك!»

فقفز الرجل ونظر في كل مكان، لكنه لم يستطع أن يعرف مصدر الصوت فجلس مرة أخرى.

صاحت السلحفاة من جديد، ففتش الرجل كل أرجاء المنزل عدا تحت القوقعة، لكنه لم يستطع أن يعثر على السلحفاة. ظلت السلحفاة تصيح مرة بعد حتى غلبه اليأس فانتابه الحزن والغم حتى مات!

عندها خرجت السلحفاة من المنزل. ولم تكد تبتعد قليلا حتى التقت بالسحلية من جديد. ثم سارا معًا حتى صادفا شجرة فيها خلية تقطر بالعسل فقالت السلحفاة:

- "سأصعد أولاً وأجني بعض العسل"

لكن السحلية لم تنتظر، بل سارعت بالصعود. وما أن أخرجت بعض العسل حتى هاج النحل وأخذ يهاجمها ففرت لاجئة إلى السلحفاة.

وبعد قليل وصلا إلى فخ معد لاصطياد الطيور فأشارت السلحفاة إلى الخيط الذي يمسك بالفخ وقالت:

- "أنظري. هذا هو السلك الفضي الذي كان جدي يضعه حول رقبته"

فما كان من السحلية إلا أن ركضت بسرعة كي تفوز به قبل السلحفاة، لكنها وقعت في الفخ وحُبست فيه حتى جاء رجل وقتلها.

ثم واصلت السلحفاة الحكيمة طريقها بمفردها!

(عن الانكليزية)

فواكه التمساح

ذهبت امرأتان لجمع بعض الفاكهة البرية من بستان يعود للتمساح.

قالت الأولى للثانية وهما جالستان تأكلان الفاكهة:

- «عليك أن تحرصي على ألّا ترمي القشور التي عليها علامات أسنانك في مكان يمكن للتمساح أن يراها فيه»

لكن المرأة الثانية لم تنتبه وألقت القشرة التي تظهر عليها علامات أسنانها في النهر فرآها التمساح. وعرف من أخذ ثماره فغضب جدا وتوجه من فوره إلى بيت المرأة ونادى من فيه:

- «أخرجوا لي المرأة كي آكلها عقابا لها على أكلها ثماري!»

فأجابه الناس:

- «حسنا. لكن اجلس وانتظر قليلاً»

ثم وضعوا الأداة الحديدية التي يقلبون بها التربة في نار حامية، وعندما أحمرت من السخونة أخذوها إلى الباب وقالوا للتمساح:

- "تفضل. كل هذا أولاً"

فتح التمساح فمه فدفعوا الحديدة الساخنة الحمراء في حلقه ومات على الفور!

(عن الانكليزية)

حكايات صينية

الرجل الغابر

كان هناك رجل عجوز يدعى هوانغ آن. كان يبدو كأنه شاب على الرغم من تجاوزه الثمانين من عمره. اعتاد هذا الرجل على العيش على الزنجفر[1] ولم يكن يرتدي أية ثياب ويتنقل على ظهر سلحفاة طولها ثلاثة أقدام، عاريا حتى في برد الشتاء القارس. سألوه ذات مرة عن عمر هذه السلحفاة فأجاب:

- «عندما اخترع «فو هاي» مرة شباك السمك ومصائد ثعابين الماء اصطاد هذه السلحفاة وأعطاها لي. ومنذ ذلك الحين ظللت ممتطيا ظهرها حتى أبليت ترسها حتى غداً مسطحا تماماً. أن هذا المخلوق يخشى وهج الشمس ونور القمر، لذلك لا يخرج رأسه من قوقعته غير مرة واحدة كل ألفي عام. ولقد أخرج رأسه خمس مرات منذ أن امتلكته»

مع هذه الكلمات ركب على ظهر سلحفاته ومضى، وولدت الأسطورة التي تقول إن هذا الرجل يبلغ من العمر عشرة آلاف سنة[2]

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) الزنجفر أحد خامات الزئبق الشديدة السمّية. استخدم لاستخراج لأصباغ التلوين المائلة للحمرة ولتحضير إكسير الحياة المزعوم.

(2) من المعروف أن السلاحف تعمّر طويلاً.

السمكة الناطقة

في زمن بعيد بعيد، قبل أن يأتي جدك إلى الدنيا، عاش رجلان يدعيان «لي» و «سينغ». في قرية السعادة الأبدية. كانا صديقين حميمين، يعيشان معًا في المنزل نفسه. لقد عملا، طوال عشرين عاماً، مسؤولين حكوميين كبيرين قبل أن يستقرا في قرية السعادة الأبدية. اعتاد الرجلان على معاملة الناس بمنتهى القسوة والفظاظة حتى كرههما الجميع، كبارًا وصغارًا. لكنهما استطاعا أن يجمعا ثروة طائلة عن طريق سرقة التجار الأثرياء وخداع الفقراء، ثم انصرفا إلى انفاق مكاسبهما غير المشروعة في ملاءٍ فارغة بقرية السعادة الأبدية.

- "هنا يمكننا بالتأكيد أن نجد السعادة التي حُرمنا منها في كل مكان آخر. هنا لن يحتقرنا الرجال وتشتمنا النساء بعد الآن"

وهكذا اشتريا أفخم منزل في القرية وأثثاه بأرقى طراز، وزخرفا الجدران بلفائف مليئة بالأقوال الحكيمة ولوحات لفنانين مشهورين. أما خارج المنزل فقد امتدت حدائق غنّاء مليئة بالزهور والطيور والكثير من الأشجار ذات الأغصان الملتوية التي تنمو على شكل نمور وحيوانات برية أخرى.

كلما شعرا بالوحدة دعا لي وسينغ أثرياء الجوار ليأتوا ويتناولوا الطعام معهم، ليخرجوا بعد فراغهم من الطعام للتنزه في أطراف البحيرة الصغيرة في وسط ممتلكاتها، أو ويجدفوا في قارب أخرق مسطح القاع صنعه لهما نجار القرية.

في أحد الأيام، وفي مناسبة كهذه، حين كانت الشمس تنزل بوهج شديد على الرؤوس الحليقة لجميع أولئك الموجودين على ظهر المركب الصغير (لقد كان هذا، كما تعلم، قبل وقت طويل من تعود الناس على وضع القبعات - في قرية السعادة الأبدية في الأقل) أصيب السيد لي بدوار سرعان ما ازداد سوءاً حتى تحول إلى حمى حارقة.

قال الطبيب الحكيم الذي استُدعي لمعالجته وهو يحدق فيه بعناية من خلال نظارته الضخمة:

- «دم الأفعى الممزوج بقرن الغزلان المسحوق هو العلاج المناسب لحالته (وتابع مخاطبًا مرافق لي الشخصي وهو يقضم أظافره الطويلة بعصبية) تأكد قبل كل شيء ألا تتركه بمفرده، لأنه معرض لخطر الجنون في أية لحظة، ولا أستطيع أن أقول ما قد يفعله إذا لم يتم تعتنوا به كل الاعتناء. الرجل في حالته لا يزيد ادراكه عن الطفل الصغير»

أثارت كلمات الطبيب هذه غضب السيد لي، إلا أنه عجز عن الرد عليه من شدة المرض. كان رأسه يزداد سخونة، حتى غلبه النوم المحموم أخيرًا. وما ان أغمض عينيه حتى اندفع خادمه الأمين الذي كان يتضور جوعا من الغرفة لينضم إلى زملائه لتناول الغداء.

هب لي من نومه مجفلا بعد أن نام عشر دقائق فقط، وشرع بالأنين:

- «ماء، ماء، اغسلوا رأسي بالماء البارد. أكاد أموت من الألم!»

لكنه لم يتلقَ ردا لأن الخادم كان يأكل بسعادة مع زملائه.

- «هواء، هواء! (تأوه من جديد وهو يشد ياقة قميصه الحريري) أنني أموت من العطش. أنني أتضور جوعًا. هذه الحرارة الحارقة ستقتلني. إنها أكثر سخونة مما حلم بصنعه إله النار نفسه. وانغ ، وانغ! (أخذ يصفق بيديه في وهن وهو ينادي خادمه) هواء وماء، هواء وماء!»

ولم يظهر وانغ.

أخيرًا، نهض السيد لي من أريكته مستعينا بالقوة التي قيل إنها تأتي من اليأس، وترنّح نحو المدخل. خرج إلى الفناء المرصوف، وبعد لحظة من التردد شق طريقه إلى ممر ضيق يؤدي إلى حديقة البحيرة.

- "ماذا يهمهم الانسان المريض؟(أخذ يتمتم) لا شك أن صديقي العزيز سينج يستمتع الآن بقيلولة بعد الظهر وفوق رأسه خادم يهويه بالمروحة وكتلة من الجليد قرب رأسه لتبريد الهواء. ماذا يهمه إن مت من الحمى المستعرة؟ لا شك أنه يتوقع أن يرث كل أموالي. وخدمي! لقد عاش هذا الوغد وانغ معي طوال سنوات عشر، وهو ويعيش على خبزي ويزداد كسلًا فصلا بعد آخر! ماذا يهمه إن متّ؟ لا شك في أنه متأكد من أن خدم سينج سيفكرون في شيء ما لمساعدته، وسيكون لديه عمل أقل مما لديه الآن. ماء، ماء! سأموت إذا لم أجد مكانًا أنقع فيه نفسي بأسرع وقت!"

بينما هو يردد هذه الكلمات وصل إلى ضفة ساقية صغيرة تتدفق عبر بوابة مائية في أحد جوانب الحديقة وتصب في بركة السمك الكبيرة فارتمى على الأرض وغسل يديه ومعصميه في الماء البارد. آه، كم سيكون جميلا لو كان الجدول عميقًا بما يكفي لتغطية جسده بالكامل! كم سيسعده أن يلقي نفسه ويستمتع بنعيم احضانه المنعشة!

ظل مستلقيًا على الأرض وقتا طويلا، فرحا بهروبه من براثن الطبيب. وعندما بدأت الحمى في الارتفاع مرة أخرى اطلق صرخة حازمة:

- «ماذا أنتظر؟ سأفعلها. لا يوجد من يمنعني، لسوف أحظى بعالم من النعيم. سألقي بنفسي في بركة السمك. إنها ليست عميقة بما يكفي بالقرب من الشاطئ لتغرقني إذا تبين أنني أضعف من أن أسبح. أنا واثق بأن هذا سيعيد لي القوة والعافية»

وحث الخطى على طول الجدول الصغير حتى كاد أن يركض في شوقه للوصول إلى مياه البركة العميقة. كان مثل تلميذ صغير هارب من عين معلمه اليقظة ليلعب في مكان محظور.

- «ما هذا الصوت؟ هل كان ذلك خادمًا ينادي؟ هل اكتشف وانغ غياب مولاه؟ هل سيطلق جرس الإنذار؟ وهل سيمتلئ المكان كله بالرجال الباحثين عن المريض المحموم؟»

وتنهد أخيرا بارتياح، ثم ألقى بنفسه بكل ما عليه من ثياب في المياه الهادئة لبركة الأسماك. لقد نشأ لي في مقاطعة فوكين على شاطئ البحر، وكان سباحًا ماهرًا. فغطس ونثر الماء حتى اراح قلبه، ثم طاف على السطح وهتف قائلاً:

- «إن هذا ليعيدني إلى صباي، آه، لماذا لم تعد السباحة تقليعة محببة؟ أحب أن أعيش في الماء طوال الوقت. ومع ذلك فإن بعض أبناء وطني يخافون من تبلل أقدامهم أكثر مما تخاف القطة. أما أنا فسوف أعطي أي شيء مقابل أن أبقى هنا إلى الأبد»

- "حقا؟"

سمع ضحكة وصوتا أجش قادمين من تحته مباشرة، ثم صوتا يشبه الصفير تبعته ضحكة مجلجلة. قفز السيد لي كما لو أن سهمًا قد أصابه، لكن خوفه تحول إلى غضب عندما لاحظ الوحش السمين القبيح في الأسفل.

- «انظر يا هذا. ماذا تريد بإجفال شخص بهذه الطريقة؟ ألا تعرف ماذا يقول القدماء عن مثل هذه الوقاحة؟»

ضحكت السمكة العملاقة بصوت أعلى:

- «ولماذا تفترض أن لدي وقت لحفظ أقوال القدماء؟ أنت تجعلني أضحك حتى تسيل دموعي!»

- "لكن يجب عليك أن تجيب عن سؤالي"

صرخ السيد لي بإصرار أشد، ناسيا للحظة أنه لم يكن يحاكم مجرمًا فقيرًا على جنحة صغيرة.

- «لماذا تضحك؟ تكلم مرة واحدة يا هذا!»

- "حسنًا. بما أنك بهذه الوقاحة، سأخبرك: كان ذلك لأنكم أيتها المخلوقات الخرقاء التي تطلق على نفسها اسم الانسان وتدعي أنها أكثر الكائنات تحضرًا في العالم، تعتقدون أنكم تفهمون الشيء تمامًا بمجرد أن تعرفوا كيفية القيام به"

- "لا بد أنك تتحدث عن أقزام الجزيرة اليابانيين (قاطعه السيد لي) فنحن الصينيين نادرًا ما نقدم على فعل شيء جديد"

- "اسمعوا هذا الرجل! (ضحكت السمكة) فكر الآن في رغبتك بالبقاء في الماء إلى الأبد! ماذا تعرف عن الماء؟ إن جسمك غير مزود بأبسط المعدات الضرورية للسباحة. ماذا ستفعل إذا عشت هنا على الدوام كما تتمنى؟"

- "وماذا أفعل الآن؟" غمغم السيد لي وهو غاضب إلى درجة أنه ابتلع ملء فم من الماء دون أن يشعر.

- "أنت تتخبط!" رد الثاني.

- "ألا تراني أسبح؟ هل عيونك الكبيرة هذه مصنوعة من الزجاج؟"

- "نعم، أراك جيدا (قهقهة السمكة) هذه هي المسألة: إنني اراك جيدا وأنت تتخبط في خراقة مثل جاموس الماء الذي يغرق في بركة من الطين!"

عندها أصبح السيد لي عاجزًا عن الكلام من شدة الغضب إذ طالما عدّ نفسه خبيرًا في الرياضات المائية، فلم يزد على الخوض والدوران في الماء بضربات ضعيفة تكفي بالكاد لمنعه من الغرق.

- "كما إنك (تابعت السمكة بهدوء متزايد في الوقت الذي فقد الآخر أعصابه تماما) تمتلك ترتيبات تنفس في منتهى السوء، ولهذا -إن لم أكن مخطئاً- ستجد نفسك في قاع هذه البركة

في وضع أسوأ بكثير مما سأكون عليه فوق قمة نخلة! ماذا ستفعل لتتقي غائلة الجوع؟ هل تعتقد أنه سيكون من الملائم أن تضطر للتخبط على الأرض في كل مرة تريد فيها تناول شيء من الطعام؟ ومع ذلك، ولكونك إنسانًا فإنني أشك بجدية بأنك ستكتفي بتناول طعام الأسماك. لا يكاد تكون لديك ميزة واحدة تجعلك تشعر بالرضا إذا انضممت إلى قطيع تحت الماء. ثم انظر إلى ملابسك، إنها ثقيلة ومنقوعة بالماء. هل تظنها قادرة على حمايتك من البرد والمرض؟ لقد نسيت الطبيعة أن تمنحك أية حراشف. سأقول لك نكتة، أنا على يقين من أنها مضحكة: إن الأسماك مثل محلات البقالة- يتم الحكم عليها دائمًا من خلال موازينها[1]. كيف سيحكم عليك الناس وأنت لا تملك علامة على وجود حراشف؟ فكّر بهذه النقطة، إيه؟ أعطتك الطبيعة بشرة، لكنها نسيت الغطاء الخارجي، باستثناء أطراف أصابعك وأصابع قدميك، ربما. هل ترى الآن لماذا أجد أن فكرتك سخيفة؟»

على الرغم من نوبة الحمى الشديدة التي انتابته مؤخرًا، فقد برد السيد لي تمامًا. لم يكن قد عرف من قبل ما هي العيوب الكبيرة المرتبطة بكونه انسانًا. لماذا لا تستفيد من فرصة التعارف هذه وتكتشف منه كيفية التخلص من تلك الملكية البائسة التي أطلق عليها اسم انسانيته، واكتساب المتعة التي لا يمكن أن تمتلكها إلا الأسماك؟

- «إذن، هل أنت راضٍ حقًا عن قسمتك ونصيبك؟ أليست هناك لحظات تفضل فيها أن تكون إنسانا؟»

- "أنا؟ إنسان!؟ (أرعد وضرب ذيله بالماء) كيف تجرؤ على اقتراح مثل هذا التغيير المخزي! أيمكن لأنك لا تعرف رتبتي؟ حسنا يا صاح، إنك تتحدث مع ابن الأخ المفضل للملك نفسه!"

عندها قال السيد لي بنعومة:

- «أرجو سموّك إذن. سأكون ممتنًا للطفك وكرمك لو تحدثت عني بكلمة طيبة إلى سيدك. هل تعتقد أنه من الممكن أن يحولني بطريقة ما إلى سمكة ويقبلني كواحد من رعاياه؟

- "بالطبع! كل شيء ممكن للملك. ربما لا تعرف أن مولاي هو سليل نقي لتنين الماء العظيم، وأنه، وعلى هذا النحو، لا يمكن أن يموت، بل يعيش إلى أبد الأبدين، مثل البيت الحاكم في اليابان؟"

- "أوه، أوه! (لهث السيد لي) حتى ابن السماء، أكثر أباطرتنا قداسة، لا يمكنه التباهي بهذه السنوات الطوال. نعم، سأهب ثروتي كلها نظير أن أكون واحدًا من أتباع سيدك الإمبراطور"

- "اتبعني إذن!"

ضحك الآخر وانطلق بسرعة جعلت الماء يثور ويغلي لمسافة عشرة أقدام من حوله.

عبثا كافح السيد لي لمواكبته. لقد رأى الآن خطأه حين ظن أنه سباح ماهر، وتشظى كل جزء مما تبقى له من الكبرياء، فنادى بأدب:

- «أرجوك انتظر لحظة، أرجو منك أن تتذكر أنني مجرد أنسان!»

- "عفواً، كان من الغباء أن أنسى، لاسيما أنني كنت أتحدث عن ذلك للتو"

سرعان ما وصلوا إلى مدخل محمي في الجانب الآخر من البركة. وهناك رأى السيد لي سمكة شبوط عملاقة تطفو في تراخ داخل المياه الضحلة، ثم تدير ذيلها الضخم بتكاسل وترفرف زعانفها بفخر من جانب إلى آخر. اندفع رجال البلاط الحاضرين هنا وهناك، وهم على استعداد لتنفيذ أصغر أمر للسيد. ثم أحنى أحدهم رأسه، وكان يرتدي زيًا فخما باللون القرمزي الملكي، ليعلن عن اقتراب ابن شقيق الملك الذي كان يقود السيد لي إلى المثول في حضرة جلالته.

- «ماذا لديك هنا يا ولدي؟»

سأل الملك. كان ابن أخيه مترددًا في ما يقول لتفسير طلبه الغريب، فحرك زعانفه للخلف في توتر بينما واصل الملك:

- «إنها لرفقة غريبة كما يبدو لي»

- "رجل مسكين فقط، يا سيدي الملك، يتوسل صاحب الجلالة أن يمنحه نعمة كريمة"

- "عندما يطلب الإنسان فضلا من سمكة، من الصعب فهم رغبته.

لكنه يبحث في الغالب عن طبق ملكي يقدم على مائدته»

قال الملك مبتسما ثم أضاف:

- «ومع ذلك، يا ابن أخي، هل تعتقد أن هذا الشخص يميل حقًا إلى السلام ولا يريد أن يدخل بيننا كجاسوس؟»

وقبل أن يتمكن صديقه من الإجابة، ألقى السيد لي نفسه على ركبتيه في المياه الضحلة أمام الشبوط النبيل وانحنى ثلاث مرات حتى تلطخ وجهه بطين القاع ثم قال:

- «في الواقع يا جلالة الملك، أنا مجرد بشري مسكين يتوسل عطفك وإحسانك بالموافقة على استقبالي في سرب رعاياك. سأكون إلى الأبد معجبك المتحمس وعبدك المتواضع»

- "أرى رفيقك يتحدث كما لو كان جادًا. (خاطب الملك ابن أخيه ثم أضاف بعد لحظات من التفكير) هذا أغرب طلب سمعته في حياتي. أنني لا أرى حقًا أي سبب يمنعني من إعطائه أذنا سمكية. لكن تكرم علينا أولاً بالتوقف عن الانحناء. إنك تثير ما يكفي من الطين لتعكير القصر الملكي لسمكة القرش نفسها!"

احمر لي المسكين خجلا من توبيخ الملك ثم لبث منتظرًا جوابه في صبر.

- «حسنًا، فليكن (هتف الملك) أمنيتك تحققت. يا سيد تروت (خاطب أحد أفراد حاشيته) أحضر لنا جلد سمكة تناسب هذا الصديق الطموح»

ولم يكد يصدر أمره حتى انزلق جلد السمكة فوق رأس السيد لي، وسرعان ما كان جسده كله مدسوسًا بشكل مريح في معطفه القشري بينما بقيت ذراعاه فقط مكشوفتين. وفي غمضة عين شعر لي بآلام حادة تتخلل كل جزء من جسده، وبدأت ذراعاه بالضمور وتغيرت يداه شيئًا فشيئًا حتى استحالتا إلى زوج رائع من الزعانف تشبهان زعانف الملك نفسه. أما ساقاه وقدماه فقد أخذت فجأة في الالتصاق ببعضهما حتى لم يعد قادرا على فصلهما.

- «آها! (قال في حبور وهو يدير ذيله) ها قد ولت أيام الركل. لقد تحولت أصابع قدمي الآن إلى ذيل من الدرجة الأولى»

ضحك الملك إذ رأى لي وهو يشرع، بعد إبداء شكره الجزيل للملك المبجل، في تجربة زعانفه الجديدة.

- «ليس بهذه السرعة يا صديقي. قبل أن تغادر، ربما من الأفضل أن أقدم لك بعض النصائح الودية، وإلا فمن المحتمل أن تقودك قوتك الجديدة إلى شص بعض الصيادين المحظوظين، وستجد نفسك في صحن على المائدة كهدية من البُركة»

- "سأستمع بكل سرور إلى مشورتك الملكية لأن كلمات صاحب الجلالة لعبده المتواضع مثل اللآلىء أمام رخويات البحر. ومع ذلك، ونظرًا إلى أنني كنت انسانًا ذات مرة، أعتقد أنني أفهم الحيل البسيطة التي يستخدمونها لصيد الأسماك، ولذلك فأنا في وضع يسمح لي بتجنب المتاعب"

- "لا تكن متأكدًا من ذلك. "فكثيرًا ما يقع الشبوط الجائع في الأخطار" كما قال أحد حكمائنا. هناك نوعان من التحذيرات أود أن أوجهها اليك. أولا: أبدا، أبدا، لا تأكل دودة متدلية بغض النظر عن مدى إغرائها، فمن المؤكد أن في داخلها شصوصًا مروعة. ثانيًا: إذا رأيت شبكة فاسبح في سرعة البرق، لكن في الاتجاه المعاكس. والآن سأقدم لك وجبتك الأولى من المطبخ الملكي، لكن يجب بعد ذلك أن تصطاد نفسك، مثل أي مواطن يحترم نفسه في العالم المائي"

بعد أن أطعموا لي بالكثير من اليرقانات التي تلتها دودة مثيرة ليحلي بها، وبعد أن شكر الملك وابن شقيق الملك مرة أخرى على لطفهما، بدأ باختبار ذيله وزعانفه. لم يكن من السهل، في البداية، تحريكها بشكل صحيح. إن ضربة واحدة من الذيل، حتى لو كانت أضعف من تلك التي اعتاد أن يضربها بساقيه ستجعله يدور ويدور حول نفسه في الماء، وعندما يلوي زعانفه بشكل طفيف للغاية كما يعتقد يجد نفسه مقلوبا على ظهره بطريقة أسخف ما تكون بالنسبة لعضو محترم من فصيلة الأسماك. استغرق الأمر عدة ساعات من التدريب المستمر لإتقان الحركة المناسبة، ثم وجد أنه يستطيع التحرك دون أن يبذل جهدا. كان هذا أسهل ما فعله في حياته؛ واو! كان الماء رائعًا جدًا وممتعًا!

- «أتمنى أن أستمتع بتلك الحياة اللانهائية التي يكتب عنها الشعراء!»

تمتم بسعادة.

مرت عدة ساعات حتى اضطر لي أخيرًا إلى الاعتراف بأنه، على الرغم من عدم شعوره بالتعب، جائع بالتأكيد. كيف يحصل على شيء من الطعام؟ آه، لماذا لم يسأل ابن الأخ الصديق بعض الأسئلة البسيطة؟ كم كان من السهل على سموه أن يخبره عن طريقة الحصول على فطور جيد! لكن للأسف! من دون هذه النصيحة ستكون عليه مشقة تدبير نفسه. سبح هنا وهناك، في المياه الراكدة العميقة، وعلى طول الشاطئ الموحل. نزولاً إلى حصى القاع، باحثا عن دودة شهية. غطس في الأعشاب واندفع، وغرز أنفه بين زهور الزنبق الطافية، ولكن دون طائل! فما من ذبابة أو دودة

تسعد عينيه! ثم مرت ساعة بطيئة أخرى وجوعه يزداد أكثر فأكثر. ألن يرزقه إله السمك، التنين العظيم، ولو لقمة واحدة صغيرة لإسكات معدته المتألمة، لاسيما أنه الآن، بعد أن أصبح سمكة، لا يملك طريقة لشد حزامه كما يفعل الجنود الجائعون عندما يكونون في مسيرة إجبارية؟

في ذات اللحظة التي بدأ فيها لي بالاعتقاد بأنه لن يستطيع مواصلة تحريك ذيله، وأنه سيشعر بنفسه عما قريب وهو ينزلق، ينزلق، ينزلق إلى قاع البركة ليموت - في تلك اللحظة بالذات ، تصادف أنه نظر إلى الأعلى، فرأى، ويا للسرور! دودة حمراء لذيذة تتدلى بضع بوصات فوق أنفه. أعطى المشهد قوة جديدة لذيله وزعانفه المرهقات. كان على وشك أن يبتلع اللقمة الرقيقة عندما تذكر، بكل أسف، النصيحة التي قدمها له الملك العظيم شبوط في اليوم السابق.

- "بغض النظر عن مدى إغرائها، فمن المؤكد أن هناك شصوصًا مروعة في الداخل"

تردد لي لوهلة. كانت الدودة تطفو بالقرب من فمه نصف المفتوح. كم هي مغرية! وماذا يهم الشص بالنسبة لسمكة تحتضر؟ لماذا تكون جبانا؟ ربما كانت هذه الدودة استثناء للقاعدة، أو ربما أي شيء آخر- في الحقيقة لم يكن من المتوقع أن يتبع السيد لي أية نصيحة في مثل هذه المحنة- حتى نصيحة ملك حقيقي.

هووب! أدخلها في فمه. يا لها من لقمة ناعمة تليق بالملوك! الآن يمكنه أن يضحك على كلمات الحكمة ويأكل ما تراه عينه. لكن آخ! ما هذا الشعور الغريب - آه! إنه الشص القاتل!

برعشة محمومة، ومئات من التقلبات والانثناءات، حاول المسكين لي أن يتحرر من الشوكة القاسية التي علقت بسرعة في سقف فمه. لقد فات الأوان كي يتمنى لو أنه ابتعد عن الإغراء. من الأفضل أن تتضور جوعاً في قاع البركة الباردة بدلاً من أن يلقيك صياد بائس إلى ضوء الشمس في العالم المزدحم. واقترب شيئا فشيئا من السطح. وصارت الشوكة القاسية تزداد حدة كلما كافح للتخلص منها. ثم خبطة أخيرة، وجد نفسه بعدها متدليًا في الهواء، يتأرجح بلا حول ولا قوة في نهاية قصبة صيد طويلة، ثم يسقط قطعة واحدة في قارب مسطح القاع فوق العديد من الأسماك الصغيرة.

- "آه، سمكة شبوط!"

صاح صوت مبتهج خيل له أنه يعرفه.

- «أكبر سمكة اصطدتها خلال هذه الشهور الثلاثة. يا له من حظ سعيد!»

إنه صوت العجوز تشانغ الصياد الذي دأب على تجهيز مائدة السيد لي منذ وصوله إلى قرية السعادة الأبدية. كلمة تفسير واحدة فقط وسيعود لي حراً ليسبح حيثما شاء. ثم لا مزيد من الشصوص. إن السمكة الهاربة لن تدنو ثانية من الشص!

- «اسمع يا تشانغ (قال وهو يلهث) عليك أن تعيدني إلى الماء في الحال. ألا ترى؟ أنا السيد لي، مولاك القديم. هيا أسرِع. سأسامحك هذه المرة على خطئك لأنك طبعا لم تعرف ذلك على الفور!»

لكن تشانغ سحب الشص من فم لي بجرة وحشية، ونظر في استرخاء إلى كومة الأسماك المتلألئة فرحا بصيده، وتساءل عن مقدار المال الذي يمكن أن يطلبه ثمنا لها. لم يسمع تشانغ شيئًا من صيحات السيد لي لأنه كان أصمَّ منذ الطفولة.

- "أسرِع، أسرِع أنا أختنق!"

أنّ لي المسكين ثم أخذ يتأوه عندما تذكر صمم الصياد.

بحلول هذا الوقت كانا قد وصلا إلى الشاطئ، ووجد لي نفسه فجأة مُلقى في سلة من الخيزران بصحبة زملائه الضحايا. آه من أهوال تلك الرحلة على الأرض! بقي القليل من الماء في السلة المحبوكة النسج. وكان هذا كل ما لديه ليتنفس.

يا للفرح العظيم! عند باب منزله رأى صديقه الحميم سينج وقد خرج للتو، فصاح بأعلى صوته:

- «أنجدني يا سنغ! ابن السلحفاة هذا يريد قتلي. لقد وضعني هنا مع هذه الأسماك، يبدو أنه لا يعرف بأنني سيده لي. مُرهُ أن يأخذني إلى البحيرة ويلقيني فيها، أنها مكان رائع وأنا أحب الحياة المائية أكثر بكثير من العيش على الأرض»

توقف لي منتظرا رد سنغ، لكنه لم يتلق كلمة واحدة.

- "أرجو من معاليك أن تلقي نظرة على ما اصطدته (قال العجوز تشانغ للسيد سنغ) هنا أفضل الأسماك في هذا الموسم. لقد أحضرته إلى هنا حتى تحصل أنت وسيدي المحترم، السيد لي، على وجبة هنيئة. أعرف أن الشبوط هو طعامه المفضل"

- "هذا لطف كبير منك، يا تشانغ الطيب، أنا متأكد من كلامك، لكنني أخشى أن السيد المسكين لن يأكل السمك لبعض الوقت. إنه يعاني من نوبة حمى شديدة"

- "في هذا أنت مخطئ! (صرخ لي من سلته وهو يتخبط بكل قوته كي يجذب الانتباه) سأموت من البرد. ألا يمكنك التعرف على صديقك القديم؟ ساعدني على الخروج من هذه المشكلة وخذ كل أموالي!"

- "مهلا ما هذا! (تساءل سنغ وقد جذبته كعادته كلمة المال) بحق كونفوشيوس! يبدو كما لو أن هذا الشبوط كان يتحدث"

ضحك تشانغ:

- «ماذا، سمكة متكلمة؟ أي سيدي، لقد عشت ما يقارب الستين عامًا ولم أر مثل هذه السمكة أبدًا. هناك طبعا طيور ناطقة ووحوش ناطقة، لكن سمكة ناطقة! من سمع بأعجوبة كهذه؟ لا يا سيدي، أعتقد أن أذنك قد خدعتك بالتأكيد، لكن هذا الشبوط سيثير الكثير من الأحاديث عندما أدخله إلى المطبخ. أنا متأكد من أن الطاهي لم ير مثله من قبل. أوه يا سيدي. أتمنى أن تكون جائعًا عندما تجلس إلى هذه السمكة. يا للأسف، لن يستطيع السيد لي مساعدتك على التهامها!»

- "يساعدني على التهام نفسي، إيه! (دمدم لي المسكين وهو يوشك على الموت من حاجته إلى الماء) لا بد أنك تحسبني من آكلي لحوم البشر، أو نوعا آخر من الهمج"

كان تشانغ قد استدار من حول المنزل ليصل إلى أماكن الخدم، وبعد استدعاء الطباخ رفع لي المسكين من ذيله ليفحصه.

بنفضة عظيمة قفز لي وسقط عند قدمي طباخه المخلص:

- انقذني، انقذني! (صرخ في يأس) هذا التشانغ البائس أصم ولا يعرف أنني السيد لي، سيده. صوتي السمكي ليس قوياً بما يكفي لسماعه. فقط أعدني إلى البركة وأطلق سراحي. سيكون لديك معاش مدى الحياة، وملابس فاخرة وطعام جيد لكل ما تبقى من أيامك. فقط اسمعني وأطع! اسمع، عزيزي الطاهي، اسمع!"

تمتم الطاهي:

- «يبدو أن هذا الشيء يتحدث، لكن مثل هذه العجائب لا يمكن أن تحدث. فقط النساء العجائز الجاهلات والأجانب يمكن أن يصدقوا بأن سمكة يمكنها أن تتكلم!»

وأمسك سيده السابق من ذيله وأعاده إلى الطاولة والتقط سكينًا وبدأ في شحذها على حجر.

أوه ، أوه! (صرخ لي) هل ستدخل سكينًا في جوفي؟ ستزيل قشوري الجميلة اللامعة! ستقطع زعانفي الجديدة الرائعة! ستقتل سيدك القديم!

- «حسنًا لن تتكلم بعد الآن (دمدم الطاهي) سأريك خدعة أو اثنتين بالنصل»

قال ذلك وغرس سكينه بكل قوة في عمق جسد الضحية المرتجفة.

وأستيقظ السيد لي بصرخة شديدة ملؤها الرعب واليأس، من نومه العميق. لقد ذهبت الحمى، لكنه وجد نفسه يرتجف من الخوف عند التفكير في الميتة الرهيبة التي لقيها في أرض الأحلام.

- "شكرا لبوذا. أنا لست سمكة! (صاح جذلا) والآن سأكون بصحة جيدة بما يكفي للاستمتاع بالوليمة التي دعا اليها السيد سينغ يوم غد. ولكن للأسف، الآن وقد صار بإمكاني أن أتناول شبوط الصياد العجوز، فقد عدت مرة أخرى إلى نفسي"

« لو تحقق خير أحلامنا،

فلن أمانع أن أحلم

طوال اليوم !»

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) تقوم النكتة على استغلال كلمة **scale** التي تعني الميزان والحرشفة معا.

الطائر ذو الرؤوس التسعة

منذ زمن بعيد عاش ملك وملكة لديهما ابنة وحيدة. ذات يوم خرجت الشابة للتنزه في الحديقة فهبّت فجأة عاصفة هوجاء حملتها معها بعيدًا. كان الطائر ذو الرؤوس التسعة هو من تسبب في تلك العاصفة التي سرق من خلالها الأميرة وحملها إلى كهفه. لم يعرف الملك أين اختفت ابنته، لذلك أعلن في كل البلاد بأن من يعيد الأميرة ستكون عروسا له.

وحدث أن شابًا رأى الطائر وهو يحمل الأميرة إلى كهفه. غير أن هذا الكهف كان في منتصف جدار صخري شاهق لا سبيل إلى الصعود اليه من الأسفل، ولا النزول اليه من الأعلى. وبينما كان الشاب يدور حول الصخرة، جاء شاب آخر وسأله عما يفعله هناك. فأخبره أن الطائر ذا الرؤوس التسعة قد خطف بنت الملك وحملها إلى كهفه.

عرف الآخر ما كان عليه فعله فدعا أصدقاءه، وأنزلوا الفتى إلى الكهف في سلة، ولما دخل الكهف رأى ابنة الملك جالسة هناك تغسل جرح الطائر ذي الرؤوس التسعة لأن كلب السماء قد قضم رأسه العاشر وما زال جرحه ينزف. أشارت الأميرة إلى الشاب كي يختبئ، ففعل ذلك. وعندما انتهت ابنة الملك من غسل جرحه وتضميده، شعر الطائر ذو الرؤوس التسعة براحة كبيرة، لدرجة أن رؤوسه التسعة غفت واحدة تلو الأخرى. ثم نزل الشاب من مخبئه وقطع رؤوسه التسعة بالسيف ثم دعاها إلى الجلوس في السلة لكن ابنة الملك قالت:

- «من الأفضل أن تصعد أنت أولاً، ثم أتبعك أنا»

قال الشاب:

- «لا. سأنتظر بالأسفل هنا، حتى تكوني في أمان»

رفضت ابنة الملك في البداية. لكنها اقتنعت أخيرا وصعدت إلى السلة. لكنها، قبل أن تفعل ذلك، أخذت دبوسًا طويلًا من شعرها، وكسرته إلى نصفين، أعطته واحدًا واحتفظت بالآخر. ثم تقاسمت نصفي منديلها الحريري معه، وطلبت منه أن يعتني بالهديتين. ولكن الشاب الذي في

الأسفل ما أن سحب ابنة الملك حتى أستأثر بها وأخذها وترك الفتى في الكهف على الرغم من كل نداءاته وتوسلاته.

أخذ الفتى الذي أنقذها يتجول في أرجاء الكهف. فرأى عددًا من أجساد العذارى اللاتي كان الطائر ذو الرؤوس قد حملهن معه وهلكن من الجوع. وعلى الحائط علقت سمكة مسمّرة بأربعة مسامير ما أن لمسها حتى تحولت إلى شاب وسيم شكره بحرارة على إنقاذه ثم تعاهدا على أن يصبحا أخوين. بعد قليل شعر الفتى بجوع شديد فخرج إلى مدخل الكهف بحثًا عن الطعام لكنه لم يجد غير حجارة ملقاة هنا وهناك. وفجأة رأى تنينًا عظيمًا يلعق حجرًا. فقلده الشاب، وسكن جوعه على الفور. ثم سأل التنين عن طريقة تمكنه من الابتعاد عن الكهف فأومأ التنين برأسه في اتجاه ذيله وهو يشير اليه كي يجلس عليه. ففعل ذلك وإذا به ينزل إلى الأرض في طرفة عين. ثم يختفي.

سار الفتى وسار حتى وجد صدفة سلحفاة مليئة باللآلئ الجميلة. لكنها كانت لآلئ سحرية، لأنك إذا ألقيتها في النار، توقفت عن التأجج، وإذا رميتها في الماء انشق وصرت تستطيع المشي في وسطه.

أخرج الفتى اللآلئ من صدفة السلحفاة ووضعها في جيبه، ولم يمض وقت طويل على وصوله إلى شاطئ البحر حتى رمى فيه لؤلؤة فانشقت المياه على الفور ورأى أمامه تنين البحر. صرخ تنين البحر به:

- «من ذا الذي يزعجني هنا في مملكتي؟»

فأجاب الشاب:

- لقد وجدت لآلئ في صدفة سلحفاة وألقيت إحداها في البحر فانشطرت المياه أمامي»
- "إذا كان الامر كذلك فهلمّ معي إلى البحر كي نعيش فيه معًا"

عندها تعرف عليه الفتى: كان نفس التنين الذي رآه في الكهف ومعه الشاب الذي أقام معه رابطة أخوة: لقد كان ابن التنين.

قال التنين العجوز:

- «بما أنك أنقذت ابني وأصبحت أخاه، فسوف أكون بمثابة والدك.

ثم قدم له الطعام والشراب وأبدى له ضروب الكرم والحفاوة.

مضت أيام كثيرة على هذا الحال، وفي أحد الأيام قال له صديقه:

- «إن أبي يريد أن يكافئك. لكن لا تقبل منه أية نقود أو مجوهرات. بل أطلب منه فقط قارورة القرع الصغيرة التي هناك. معها يمكنك استحضار ما تشاء»

وهذا ما حصل. فحين سأله التنين العجوز عما يريده على سبيل المكافأة أجابه:

- «لا أريد مالًا يا مولاي، ولا أية مجوهرات. كل ما أريده هو قارورة القرع الصغيرة الموجودة هناك»

في البداية لم يرغب التنين في التخلي عنها، لكنه سمح له أخيرًا بالحصول عليها فشكره الفتى وغادر قصر التنين.

عندما وضع قدمه على اليابسة من جديد شعر بجوع شديد. فانتصبت أمامه على الفور طاولة تحفل بكل ما لذ وطاب من الطعام والشراب. وبعد مدة شعر بالتعب. فإذا بحمار ينتظره فركب عليه. وبعد أن واصل الركوب لبعض الوقت أحس بأن مشية الحمار مضطربة فإذا به يرى عربة فخمة، فصعد إليها. لكن العربة هزته أيضًا ففكر:

- «لو كانت لدي محفة لكنت اكثر ارتياحا»

ولم يكد يفكر بذلك حتى جاءت المحفة فجلس فيها وأوصله الحمالون إلى المدينة التي يقيم فيها الملك والملكة وابنتهما.

كان الشاب الآخر قد ادعى بأنه هو من أنقذ ابنة الملك فسرّ به الأخير وتقرر عقد الزفاف. غير أن الفتاة رفضت ذلك وقالت:

- «ليس هذا هو الرجل الصحيح. سيأتي منقذي ويحضر معه نصف دبوس شعري الطويل ونصف منديلي الحريري كعلامة»

ولكن عندما طال الوقت ولم يظهر الفتى، وتكرر ضغط الشاب الآخر على الملك، نفد صبره وقال:

- «قضي الأمر، غدا يقام الزفاف!»

أخذت ابنة الملك تسير في شوارع المدينة مهمومة حزينة، وبحثت وفتشت هنا وهناك لعلها تعثر على منقذها. وكان هذا في اليوم نفسه الذي وصلت فيه المحفة. رأت ابنة الملك نصف منديلها

لحريري في يد الشاب فغمرها السرور، ثم قادته إلى والدها، وهناك أظهر نصف الدبوس الطويل لذي يناسب النصف الآخر تمامًا فاقتنع الملك بأنه كان المنقذ الحقيقي. وعوقب العريس المزيف عقابا شديدًا، واحتفل الجميع بالزفاف، وعاشوا في سلام وسعادة حتى آخر أيامهم.

(عن الانكليزية)

الكرة الذهبية

في قديم الزمان عاش في الصين صديقان يدعى أحدهما كي وو والثاني باو شو. أحب هذان الشابان بعضهما حتى صارًا مثالا للمحبة الأخوية.

كانا لا يفترقان قط، ولم يختلفا يوما، ولم يعكر صفو صداقتهما شيء.

هناك الكثير من القصص والحكايات الشيقة عن إيثارهما وإخلاصهما لبعضهما البعض وكيف منحتهم الجنيات الطيبات المكافأة الحقيقية على فضيلتهما، لكن قصة واحدة تكفي لإظهار مدى قوة عاطفتهما وصلاحهما.

كان يومًا جميلًا مشرقًا في أوائل الربيع عندما انطلق "كي وو" و "باو شو" كي يتنزها معا بعد أن سئما المدينة وضجيجها.

قال كي-وو في مرح:

- «فلنذهب إلى قلب غابة الصنوبر. هناك يمكننا أن ننسى الهموم التي تثقل كاهلنا. هناك يمكننا أن نشم عبير الزهور ونستلقي على الأرض المغطاة بالطحالب»
- "حسنا! (قال باو شو) أنا أيضًا متعب. والغابة هي المكان المناسب للراحة"

مشيا على طول الطريق المتعرج، وكانا سعيدين مثل عاشقين في إجازة، وتطلعت عيونهما في شوق إلى قمم الأشجار البعيدة وقلباهما يخفقان في حبور الشباب كلما ازدادا اقترابًا منها.

- «لقد انكببت على كتبي لثلاثين يومًا. (تنهد كي وو) ولم أسترح طيلة هذه الأيام. امتلأ رأسي بأقوال الحكماء حتى بت أخشى أن ينفجر. أوه، ما أحلى استنشاق الهواء النقي الذي يهب عبر الغابة الخضراء»

فأجابه باو شو في أسى:

- «أما أنا فقد عملت وراء منضدتي مثل العبد وكان الأمر مملًا تمامًا مثلما وجدتَ كتبك. أن رئيسي يعاملني معاملة سيئة. سيكون من الرائع أن أبتعد قليلًا عن متناوَل يديه»

وصلا الآن إلى حدود الغابة فعبرا جدولًا صغيرًا، وارتميا بين الأشجار والآجام، تجولا لساعات طوال وهما يتبادلان الأحاديث ويضحكان في مرح. وعندما مرا حول غيضة من الشجيرات الموردة تفاجأ الشابان برؤية كرة من الذهب تتلألأ في طريقهما.

- «انظر!» قال كلاهما معا وهما يشيران إلى الكنز.

وانحنى كي وو ليلتقط الكرة الصلبة الجميلة التي تقارب حجم الليمونة ثم قال:

- «إنها لك يا صديقي العزيز (وسلمها إلى باو شو) لك أنت لأنك رأيتها أولاً»

- "لا، لا (أجاب باو شو) أنت مخطئ يا أخي لأنك أول من تكلم. حسنا، الآن لا يمكنك أبدًا أن تقول إن الجنيات الطيبات لم يكافئنك على كل ساعات دراستك المجدّة"

- "يكافئنني على دراستي؟ كلا، هذا مستحيل. ألم يقل الحكماء دائمًا أن الدراسة مكافأتها منها وبها؟ لا، الذهب لك: أنا أصر على هذا. فكر في أسابيع عملك الشاق، بالسادة الذين امتصوك حتى النخاع! لديك الآن شيئا أفضل بكثير. خذها (وأضاف ضاحكا) عسى أن تكون بيضة العش التي تفقس ثروة كبيرة"

وهكذا ظلا يمزحان لبضع دقائق وكل منهما يرفض أن يستأثر بالكنز، وكل منهما يصر على أنه ملك للآخر. وأخيرًا ألقيا كرة الذهب في نفس المكان الذي وجداه فيه ومضيا مبتعدين وكلاهما سعيد لأنه أحب صديقه أكثر من أي شيء آخر في العالم. وهكذا حالا دون أية فرصة للخصام.

قال كي وو في مودة:

- «لم يكن الذهب هو ما غادرنا المدينة من أجله»

فأجاب صديقه:

- «كلا بالطبع. إن يومًا واحدا في هذه الغابة يساوي ألف كرة مثل هذه»

واقترح كي وو:

- «فلنذهب إلى النبع ونجلس على الصخور. إنها أروع بقعة في الغابة كلها»

لكن عندما وصلا إلى النبع أسِفا لأنهما وجدا المكان مشغولاً. كان أحد الريفيين ممدا بطوله على الأرض.

- "استيقظ يا صديقي! (صاح باو شو) ثمة ثروة تنتظرك في الجوار. هناك في أعلى الطريق تفاحة ذهبية في انتظار أحد يلتقطها"

ثم وصفا للغريب المتطفل مكان الكنز، وكانا سعداء لرؤيته ينطلق مسرعا للبحث.عنه.

واستمتعا لساعة كاملة بتلك الصحبة الهنيئة، وتحدثا عن آمال وطموحات المستقبل، واستمعا إلى موسيقى الطيور التي كانت تتقافز من فوقهما.على الأغصان لكنهما اجفلا إذ صوت الرجل الذي مضى وراء الكرة الصلبة وهو يصيح غاضباً:

- «ما هذه الحيلة التي لعبتماها معي أيها السيدان؟ لماذا تجعلان رجلاً فقيرًا مثلي يركض في مثل هذا اليوم الحار من أجل لا شيء؟»

- "ماذا تقصد يا صديقي؟ (سأل كي وو مندهشا) ألم تجد الفاكهة التي حدثناك عنها؟"

فأجاب الرجل وهو يصارع غضبه الشديد:

- «كلا، بل وجدت مكانها ثعبانا هائلا قطعته بسيفي إلى قسمين. الآن سوف تستنزل الآلهة علي حظًا سيئًا لقتل نفسٍ في الغابة. إن كنتما تعتقدان بأنكما تستطيعان زحزحتي بهذه الحيلة عن هذا المكان فسوف تكتشفان خطأكما سريعا، لأنني كنت هنا قبلكما وليس لديكما الحق في إعطائي الأوامر»

- "توقف عن الثرثرة يا صاح وخذ هذه القطعة النحاسية تعويضًا عن تعبك. كنا نظن أننا نقدم لك خدمة. لكن إذا كنت أعمى فلا تلم أحدا سواك. تعال يا باو شو. دعنا نعد ونلقي نظرة على الثعبان الرائع الذي كان مختبئًا في قطعة من الذهب"

ثم غادر الرفيقان المواطن ضاحكين مرحين واستدارا عائدين ليبحثا عن الكرة الذهبية.

- «إن لم أكن مخطئًا، فإن الذهب يكمن وراء تلك الشجرة الساقطة» قال الطالب.

- "صحيح تماما. سنرى الأفعى الميتة عما قريب"

وسرعان ما اجتازا الجزء المتبقي من الطريق، وأعينهما مركزة على الأرض. وعندما وصلا إلى المكان الذي تركا فيه الكنز البراق كانت دهشتهما عظيمة عندما لم يجدا قطعة الذهب، ولا الأفعى

الميتة التي وصفها الرجل، بل وجدا كرتين ذهبيتين جميلتين، كل واحدة منهما أكبر من تلك التي عثرا عليها في البداية.

التقط كل صديق واحدة من تلك الكرات وسلمها لرفيقه في سرور.

- «أخيرًا كافأتك الجنيات على إيثارك!» قال كي وو فأجابه باو شو:

- "حقا، حين منحتني الفرصة لإعطائك ما تستحق!"

(عن الانكليزية)

ليلة في ساحة معركة

كان هناك تاجر يسافر إلى شانتونغ مع بضاعته قادمًا من الجنوب. فجأة، وفي الهزيع الثاني من الليل، هبت عاصفة شمالية هوجاء كادت أن تودي به من البرد. أخذ التاجر يبحث ذات اليمين والشمال عن ملجأ يحتمي به. فإذا به يرى نزلًا ينبعث منه الضوء على جانب الطريق. فقرر أن يأوي اليه لينال شيئًا من الطعام والشراب ويبيت ليلته فيه. اعترض الموجودون في النزل على وجوده معهم، لكن شيخًا من بينهم أشفق عليه ورق لحالته المزرية وقال له:

- «يمكنك المبيت هذه الليلة لكن ليس لدينا ما نقدمه لك من طعام وشراب فلقد اعددنا كل ما لدينا من أجل المحاربين الذين قطعوا طريقًا طويلًا»

ثم قاده إلى غرفة جانبية صغيرة لينام فيها.

لكن التاجر لم يستطع النوم بسبب جوعه وعطشه. بعد قليل تناهى له من الخارج ضجيج رجال وخيول. بدا له الأمر غريبا فقام عن سريره ونظر من خلال شق في الباب فرأى أن الفندق مليء عن آخره بالجنود الجالسين على الأرض وهم يأكلون ويشربون ويتحدثون عن معارك لم يسمع بها من قبل.

بعد قليل أخذوا يتنادون صائحين:

- «الجنرال قادم. الجنرال قادم!»

ثم سمعت من بعيد صيحات حارسه الشخصي فهرع جميع الجنود لاستقباله. ورأى التاجر موكبًا يحمل أفراده العديد من الفوانيس الورقية يتوسطه رجل ذو لحية طويلة ومظهر عسكري. ترجل الجنرال ودخل النزل وأخذ مكانه على رأس المائدة بينما بقي الجنود عند الباب كي يحرسوا المكان في انتظار أوامره، وقدم حارس النزل طعامًا وشرابًا يليقان بالجنرال. وعندما فرغ منهما، استدعى ضباطه وقال لهم:

- «لقد سرتم لساعات طوال. عودوا الآن إلى رجالكم. أما أنا فسأرتاح قليلا. لدينا الوقت الكافي قبل قرع طبول المعركة وإصدار الأمر بالتقدم»

تلقى الضباط الأوامر وخرجوا. ثم نادى الجنرال:

- أرسلوا لي «آس تي»

ودخل ضابط شاب من الجانب الأيسر للمنزل. أغلق أهل الفندق بواباته وانسحبوا إلى مضاجعهم، فيما قاد آس تي الجنرال ذا الشعر الطويل إلى باب على اليسار كان الضوء يتسلل منه عبر شرخ صغير.

غلب التاجر الفضول فانسلّ من غرفته لينظر من خلال شق الباب. فرأى سريرًا من الخيزران دون أغطية أو وسائد وثمة مصباح على الأرض. أمسك الجنرال ذو اللحية الطويلة برأسه وفصله عن جسده ووضعه على السرير. ثم أمسك آس تي بذراعيه اللذين انفصلا بسهولة ووضعهما بعناية بجانب الرأس. ثم ألقى الجنرال العجوز بنفسه على السرير بالعرض، وأمسك آستي بجسده الذي انقسم من تحت الفخذين وسقطت رجلاه على الأرض. ثم انطفأ المصباح.

سيطر الرعب على التاجر فأسرع بالعودة إلى غرفته واستلقى على سريره، مغطيا عينيه بأكمام ردائه وظل سهراناً مرتجفا طوال الليل. وأخيرًا سمع صياح الديك من بعيد فكشف عن وجهه ورأى أن أول خيوط الفجر قد لاحت في السماء. ثم نظر حوله فإذا به يجد نفسه وسط كتلة كثيفة من الأحراش يحيطها بر شاسع لا تجد فيه منزلًا ولا حتى قبرًا على مرمى البصر.

أخذ التاجر يركض مبتعدًا على الرغم من البرد القارس، ركض حوالي ثلاثة أميال حتى وصل إلى أقرب نزل. فتح حارس الفندق الباب وسأله بدهشة من أين أتى في تلك الساعة الباكرة من الصباح. فأخبره بكل ما جرى له سائلًا عن طبيعة المكان الذي قضى فيه ليلته. هز الحارس رأسه وقال:

«هذه المنطقة بأكملها مغطاة بساحات معارك قديمة. (ثم أضاف) هنا تحدث كل أنواع الأمور الخارقة للطبيعة بعد حلول الظلام»

(عن الانكليزية)

حكايات سلافية

الإخوة الثلاثة

صربيا

«من يسأل القليل ينل الكثير»

يحكى أن ثلاثة أخوة كانوا يعيشون معا، ولا يملكون في هذا العالم الفسيح غير شجرة كمثرى يتناوبون على حراستها، فيبقى أحدهم في البيت فيما يذهب الآخران إلى عملهما اليومي.

ذات يوم صدر الأمر إلى ملاك من السماء بالنزول لرؤية الإخوة وكيف يعيشون، ويزودهم بوسائل عيش أفضل إذا احتاجوا إليها. وبمجرد أن نزل الملاك إلى الأرض اتخذ شكل متسول وجاء إلى الأخ الذي كان يحرس الشجرة وتوسل إليه كي يعطيه حبة كمثرى، فقطف الرجل إحدى الكمثرات التي تخصه وأعطاها للملاك وقال:

- "هاك واحدة من كمثراتي. لكنني لا أستطيع أن أعطيك شيئًا مما يعود لأخويّ"

فشكره الملاك ومضى. في اليوم التالي بقي الأخ الثاني في المنزل ليحرس الشجرة. فجاء اليه الملاك وطلب حبة كمثرى. فقطف له هو الأخر إحدى الكمثرات التي تخصه، وأعطاها للملاك، وقال:

- "هاك واحدة من كمثراتي. لكنني لا أستطيع أن أعطيك شيئًا مما يعود لأخويّ"

فشكره الملاك وغادر. وعندما وصل دور الأخ الثالث ليحرس الشجرة، جاء إليه الملاك أيضًا وطلب حبة كمثرى، ففعل مثلما فعل أخواه واقتطف له إحدى كمثراته وأعطاها له وقال:

- "هاك واحدة من كمثراتي. لكنني لا أستطيع أن أعطيك شيئًا مما يعود لأخويّ"

في اليوم الرابع اتخذ الملاك هيئة راهب وجاء في الصباح الباكر فوجد الإخوة في المنزل وقال لهم:

- "تعالوا معي وسأقدم لكم عملا أفضل لتقوموا به"

تبع الإخوة الملاك دون أي تردد. وعندما وصلوا إلى جدول سريع عريض، قرروا أن يستريحوا هناك، وقال الملاك للأخ الأكبر:

- «ما الذي تريد الحصول عليه؟»

- "أحب أن يتحول هذا الماء إلى نبيذ وأن يكون ملكًا لي وحدي"

رسم الملاك علامة الصليب بعصاه، وإذا بالنبيذ يجري في الجدول بدلاً من الماء، وإذا برجال يصنعون البراميل الخشبية ويعبئونها بالنبيذ، وإذا بناس يعملون، ونشأت قرية في المكان.

ترك الملاك الأخ الأكبر هناك وقال له:

- «لديك الآن ما تتمناه، ابق هنا وعش حياتك»

ثم أخذ الملاك الأخوين الأصغر وذهب بهما إلى مسافة أبعد. وسرعان ما وصلوا إلى حقل كان يتغذى فيه عدد هائل من الحمام. وهنا سأل الملاك الأخ الثاني:

- «ما الذي تريد الحصول عليه؟»

فأجاب:

- «أود أن تتحول كل هذه الحمامات إلى خراف وأن تكون ملكًا خالصا لي»

رسم الملاك علامة الصليب بعصاه فوق الحقل، وفي لحظة واحدة تحول كل الحمام إلى خراف. وانتصب مصنع للألبان، حيث يحلب بعضهن النعاج، وبعضهن الآخر يعبئن اللبن ويجمعن القشدة ويصنعن الجبن ويذبن الدهون. وكان هناك أيضا مسلخ يزِنون فيه اللحوم ويجهزونها وتتدفق فيه النقود. كان الناس مشغولين في كل مكان، ونشأت قرية على الفور. عندها قال الملاك للأخ الثاني

- «ها قد نلت ما تمنيت»

ثم مضى الملاك مع الأخ الأصغر، وبينما هما يسيران في أحدى الحقول سأله الملاك عما يريد الحصول عليه فأجاب:

- «ليت السماء تعطيني زوجة تقية مطيعة بكل معنى الكلمة. أنا لا أطلب أي شيء آخر»

قال الملاك:

- «آه، من الصعب جدًا العثور على امرأة كهذه. ليس في العالم كله سوى ثلاث نساء بهذه الصفات، اثنتان منهن متزوجتان بالفعل والثالثة لا تزال عذراء؛ لكن هناك بالفعل اثنان من الخاطبين لها»

ثم انطلقا من جديد، ووصلا بعد مسيرة طويلة إلى مدينة يحكمها ملك لديه ابنة مطيعة بارّة حقًا. ثم توجها على الفور إلى الملك ليطلبا يد ابنته. وهناك وجدا أن ملكين قد وصلا قبلهما وطلبا يد الأميرة ووضعا تفاحهما على المائدة. فوضعا هما أيضًا تفاحهما على المائدة بجانب التفاحات الأخرى، فلما رآهم الملك قال للحاضرين:

- «ماذا عسانا نفعل؟ أول الخاطبين ملكان، أما هذان فمجرد متسولين بالمقارنة بهم»

فقال له الملاك:

- «سأقول لك ماذا تفعل. دع الأميرة تأخذ ثلاثة فروع من الكرم وتزرعها في الحديقة وتسمي كل واحد على اسم خطيب من خاطبيها وتنظر اليها في الصباح، ومن وجدت عنبا على غصنه عليها أن تقبله زوجا لها»

وافقوا جميعا على هذا الاقتراح وزرعت الأميرة ثلاثة أغصان من الكرم في الحديقة، وسمت كل منها باسم خاطب من خاطبيها. وفي الصباح رأوا عنبا على كرمة الشاب الفقير، فلم يجد الملك بدا من إعطاء ابنته للأخ الأصغر، واقتادهما على الفور إلى الكنيسة وزوجهما. وبعد المراسيم المعتادة اقتاد الملاك العريسين إلى الغابة وتركهما هناك، وعاشا في تلك الغابة لعام كامل.

عندما انتهى العام، أُمِر الملاك بالنزول مرة أخرى كي يرى كيف يعيش الإخوة ويساعدهم إذا احتاجوا عونا. اتخذ الملاك حال نزوله إلى الأرض شكل المتسول من جديد وذهب إلى الأخ الأكبر حيث النبيذ الذي يتدفق في الجدول وسأله كأسًا منه؛ لكن الرجل نهره ودفعه بعيدًا قائلًا:

- «إذا أعطيت كأس نبيذ لكل من طلبه فلن يتبقى لي شيء»

فلما سمع الملاك هذا رسم علامة الصليب بعصاه فتحول النبيذ ماء كما في السابق، ثم قال للأخ الأكبر:

- «إن الثروة لا تلائمك. عد إلى المنزل واحرس شجرة الكمثرى مرة أخرى»

ثم ذهب الملاك إلى الأخ الثاني الذي غطت أغنامه الحقل وطلب منه قطعة جبن، فدفعه بعيدًا قائلاً:

- «إذا أعطيت قطعة من الجبن لكل من يطلبها فلن يتبقى لي شيء»

وعندما سمع الملاك هذا رسم علامة الصليب بعصاه فتحولت الخراف حماما مرة أخرى؛ وقال له:

- «إن الثروة لا تلائمك. عد إلى المنزل واحرس شجرة الكمثرى من جديد»

أخيرًا ذهب الملاك إلى الأخ الأصغر ليرى كيف تسير أموره فوجده يعيش مع زوجته في كوخ فقير بالغابة. سألهما الملاك أن يسمحا له بالمبيت عندهما لليلة واحدة فوافقا على الفور ورحبا به من أعماق قلبيهما وتوسلا إليه كي يعذرهما لأنهما لا يستطيعان ضيافته كما يتمنيان بسبب فقرهما المدقع، فقال لهما الملاك:

- «لا تحملا همّا. سأكتفي بالموجود»

ماذا يفعلان؟ لم يكن لديهما دقيقا ليصنعا منه الخبز، غير أنهما اعتادا على طحن لحاء الأشجار وصنع الخبز منه. عجنت المرأة للضيف شيئا من ذلك الخبز ووضعته تحت غطاء خزفي كي ينضج.

وبينما كان الخبز ينضج أخذا يسليان الزائر بالحديث. وعندما قاما ليريا ما إذا كان الخبز قد استوى وجدا تحت الغطاء خبزًا ناعما مخبوزًا بشكل ممتاز -لا يمكن للمرء أن يرغب في أفضل منه- حتى إنه انتفخ تحت الغطاء؛ فلما رآه الرجل وزوجته رفعا أيديهما إلى السماء وقالا:

- "تقبل شكرنا يا رب! الآن يمكننا ترفيه زائرنا"

ثم وضعا الخبز امام الملاك ومعه وعاء مصنوع من يقطينة مجوفة سكبا فيه بعض الماء. لكن الماء تحول إلى نبيذ حالما بدأوا بشربه، وعندها رسم الملاك بعصاه علامة الصليب على الكوخ، فإذا بقصر أميري فخم ينتصب مكانه. ثم بارك الملاك الرجل وامرأته وغادرهما، وعاشا سعيدين هانئين إلى آخر العمر.

(عن الانكليزية)

الضفدعة المغنية الصغيرة

سلوفاكيا

في قديم الزمان عاش عامل فقير وزوجته. لم يرزق الزوجان بأطفال، ولهذا كانت المرأة تتنهد كل يوم وتقول:

- "آه لو كان لدينا طفل واحد فقط!"

ثم يتنهد الرجل أيضًا ويقول:

- «سيكون من الرائع إنجاب ابنة صغيرة، أليس كذلك؟»

وأخيراً ذهبا في رحلة حج إلى ضريح مقدس وهناك دعيا الله أن يرزقهما طفلاً.

- «أي طفل كان! (صلت المرأة) سأكون شاكرة إذا رزقت بطفل حتى لو كان ضفدعا!"

سمع الله صلاتهما وأرسل لهما ابنة صغيرة -ليست فتاة حقيقية، بل ضفدعة صغيرة. غير أنهما أحباها كثيرًا وصارا يلعبان معها ويضحكان ويصفقان بأيديهما وهما يشاهدانها تقفز في أرجاء المنزل. لكن عندما زارهما الجيران أخذوا يتهامسون:

- «ما هذا؟ ابنتهم هذه ليست سوى ضفدعة!»

شعر الوالدان بالخجل وقررا أن يخفيا طفلتهما في الخزانة عند وجود غريب. وهكذا نشأت الفتاة الضفدعة دون رفاق بعمرها، ولم تر سوى والدها وأمها.

اعتادت الفتاة أن تلعب حول والدها أثناء عمله. لقد كان مزارعًا للكروم في مزرعة عنب كبيرة، وكان الأمر بالطبع ممتعًا جدًا للفتاة الصغيرة الضفدعة وهي تقفز بين الكروم.

في ظهيرة كل يوم كانت المرأة تأتي إلى الكرم حاملة غداء زوجها في سلة. مرت السنوات وكبرت ووهنت قواها وغدت الرحلة اليومية إلى الكرم تتعبها وبدا لها أن السلة تصبح أثقل وأثقل. قالت لها الابنة الضفدعة:

- «دعيني أساعدك يا أمي. دعيني أحمل غداء أبي إليه وتجلسين أنت في المنزل كي تستريحي»

منذ ذلك اليوم صارت الفتاة الضفدعة تحمل سلة الغداء إلى الكرم بدلاً من المرأة العجوز. وبينما يتناول الرجل العجوز طعامه، كانت هي تقفز إلى أغصان شجرة وتشرع بالغناء. كان غناؤها عذبا للغاية ولذلك كان والدها العجوز، عندما يريد مداعبتها، يناديها بالضفدعة المغنية الصغيرة.

وفي ذات يوم وبينما هي تغني، مر الابن الأصغر للقيصر راكبا جواده وسمعها فأوقف الجواد ونظر هنا وهناك، غير أنه لم يستطع أبدًا رؤية الشخص الذي يغني بكل هذه العذوبة، فسأل الرجل العجوز:

- «من الذي يغني؟»

لكن الرجل العجوز، الذي يخجل من ابنته الضفدعة ولا يظهرها أمام الغرباء كما قلنا من قبل، تظاهر في البداية بأنه لا يسمع، لكن بعد ذلك، عندما كرر الأمير الشاب سؤاله، أجاب بقسوة:

- "ما من أحد يغني!"

لكن في اليوم التالي وفي الساعة نفسها، عندما مر الأمير مرة أخرى، سمع نفس الصوت الجميل وتوقف ليستمع اليه ثم قال:

- «هناك بالتأكيد من يغني أيها الرجل العجوز! إنها فتاة جميلة، وأنا أعلم أنها كذلك! قسما. إذا تمكنت من العثور عليها فسأكون على استعداد للزواج منها في الحال وأخذها إلى قصر والدي القيصر!»

قال العجوز:

- «لا تتسرع أيها الشاب»
- "أنا أعني ما أقول! سوف أتزوجها في دقائق!"
- "هل أنت متأكد من أنك ستفعل؟"
- "نعم أنا متأكد"
- "حسنًا إذن، سنرى"

نظر الرجل العجوز إلى الشجرة وقال:

- «تعالي، أيتها الضفدعة المغنية الصغيرة! ثمة أمير يريد الزواج منك! ”

فقفزت الفتاة الضفدعة الصغيرة من بين الأغصان ووقفت أمام الأمير فقال العامل العجوز:

- «إنها ابنتي، حتى لو بدت مثل الضفدع»

قال الأمير:

- «لا يهمني شكلها. أنا أحب غناءها وأحبها. وأعني ما أقول: سأتزوجها إذا قبلت أن تتزوجني. لقد طلب والدي القيصر مني ومن أخويّ أن نقدم له عرائسنا يوم غد. وقد أمر بأن تحضر اليه كل واحدة منهن زهرة، وقال إنه سيورث المملكة للأمير الذي تجلب عروسه أجمل زهرة. أيتها الضفدعة المغنية الصغير، هل تقبلين بأن تكوني عروسي وتأتين إلى البلاط غدًا وتحضرين معك زهرة؟»

أجابت الفتاة الضفدعة:

- «نعم أيها الأمير، سأفعل. لكن يجب ألا أخجلك وآتي إلى البلاط قافزة في الغبار. يجب أن أركب شيئا. لذا، هل سترسل لي ديكًا ناصع البياض من فناء والدك؟»

وعد الأمير بأن يفعل ذلك. وقبل حلول الليل وصل الديك الأبيض إلى كوخ العامل. وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي صلت الفتاة الضفدعة للشمس وقالت:

- «أيتها الشمس الذهبية، أنا بحاجة إلى مساعدتك! امنحيني بعض الملابس الجميلة المنسوجة من أشعتك الذهبية كي لا أخجل الأمير عندما أذهب إلى البلاط»

سمعت الشمس صلاتها وأعطتها عباءة من قماش ذهبي. ثم قطفت الفتاة الضفدعة سنبلة قمح بدلا من الزهرة، وعندما حان الوقت ركبت الديك الأبيض ومضت إلى القصر.

رفض حراس بوابة القصر دخولها في البداية وصاحوا بها:

- «لا مكان للضفادع هنا! اذهبي وابحثي عن بركة ما!»

لكن عندما أخبرتهم أنها عروس الأمير الأصغر خافوا من طردها وسمحوا لها بعبور البوابة.

- ”غريب! (تمتم بعضهم لبعض) عروس الأمير الأصغر!؟ إنها تبدو مثل ضفدعة وذاك الذي تركبه هو ديك بالتأكيد. أليس كذلك“

ورافقوها إلى الداخل كي يراقبوها. ثم رأوا مشهدًا رائعًا. كانت الفتاة الضفدعة التي لم تزل جالسة على ظهر الديك الأبيض تنفض ثنايا العباءة الذهبية. ثم تنشرها فوق رأسها فإذا بهم لا يبصرون ضفدعًا ولا ديكا أبيض بل عذراء جميلة على ظهر حصان أبيض!

حسنًا، دخلت الفتاة الضفدعة القصر مع فتاتين أخريين كانتا العروسين الموعودتين للأميرين الأكبر سنًا. كانا مجرد فتاتين اعتياديتين لم تكن لتوليهما اهتماما خاصا عند مشاهدتهما، لكن وقوفهما بجانب العروس الجميلة للأمير الأصغر جعلهما تبدوان عاديتين أكثر من قبل.

كانت الفتاة الأولى تحمل وردة في يدها. نظر إليها القيصر، وقرّبها من أنفه لوهلة ثم أشاح بوجهه. وكانت الفتاة الثانية تحمل زهرة قرنفل، فنظر إليها القيصر للحظة وتمتم:

- "لا يا عزيزي. هذا لن ينجح أبدًا"

ثم نظر إلى عروس الأمير الأصغر فبرقت عيناه وقال:

- "آه! هذا شيء يستحق الاعجاب!"

وتقدمت الفتاة وقدمت له سنبلة الحنطة فأخذها ورفعها عاليا. ثم مد إليها يده الأخرى وجعلها تقف بجانبه وقال لأبنائه ولجميع الحاشية:

- «هذه عروس الأمير الأصغر. هي من اخترتها! انظروا كم هي جميلة! وفوق هذا فإنها تعرف المفيد والجميل معا لأنها جلبت لي سنبلة قمح! سيكون الأمير الأصغر هو القيصر من بعدي وستكون هي زوجة القيصر!»

وهكذا تزوجت الفتاة الضفدعة الصغيرة التي كان والداها يخجلان منها من الأمير الأصغر وعندما حان الوقت كانت ترتدي تاج القيصرة!

(عن الانكليزية)

قوة التنين

قصة الأمير الأصغر الذي قتل العصفور

سلوفينيا

قديمًا عاش ملك له ثلاثة أبناء. في أحد الأيام ذهب الابن الأكبر للصيد وعندما حل الليل عاد الصيادون إلى القصر من دونه.

- «أين الأمير؟» سأل الملك.

- "أليس هنا؟" قال الصيادون "لقد افترق عنا بعد الظهر ليطارد أرنبًا بالقرب من الطاحونة القديمة في أعلى النهر ولم نره منذ ذلك الحين فافترضنا أنه عاد إلى المنزل بمفرده"

عندما لم يعد في اليوم التالي خرج شقيقه الأمير الأوسط للبحث عنه. وقال للملك:

- «سأذهب إلى الطاحونة القديمة وأرى ما حل به»

ثم امتطى حصانه وتوجه نحو أعلى النهر. وعندما اقترب من الطاحونة القديمة، عبر أرنب من أمامه. وكان الأمير الثاني صيادًا مثل أخيه فشرع بمطاردته في الحال. انتظر مرافقه عودته لوقت طويل، لكن عبثا، لقد حلّ الليل وما من أثر للأمير الثاني.

عاد المرافق إلى القصر وأخبر الملك بما حدث. فوجئ الملك لكن لم يبد عليه الجزع. وفي اليوم التالي عندما طلب الأمير الأصغر الذهاب للصيد بمفرده اقترح الملك أن يذهب في اتجاه الطاحونة القديمة كي يعرف ماذا حل بأخوته.

استمع الأمير الأصغر باهتمام إلى ما أفاد به مرافقو إخوته وقرر أن يتصرف بحذر. لذلك عندما عبر أرنب من امامه وهو يقترب من الطاحونة القديمة، مضى في اتجاه آخر بدلا من مطاردته وكأنه يسعى وراء طريدة أخرى، ثم عاد خلسة إلى الطاحونة القديمة من اتجاه آخر. وجد امرأة عجوز جالسة أمامه.

- "مساء الخير يا جدتي (قال بنبرة ودية وهو ينزل من حصانه كي يتبادل معها الحديث) هل تسكنين هنا؟ هل تعلمين؟ كنت اعتقد أن الطاحونة القديمة مهجورة تمامًا"

نظرت إليه العجوز وهزت رأسها بحزن:

- «نعم إنها لمهجورة حقا! اسمع يا بني، خذ نصيحة امرأة عجوز واترك الطاحونة القديمة وشأنها! إنها مكان موبوء بالشرور!»

- "لماذا يا جدتي؟ ما خطبها؟"

نظرت العجوز إلى ما حولها بحذر، وعندما رأت أنهما لوحدهما طلبت من الأمير أن يدنو منها، ثم همست:

- "ثمة تنين يعيش هنا! وحش رهيب! يأخذ شكل أرنب ويجذب الناس إلى الطاحونة. ثم يقبض عليهم ويقتل بعضهم ويأكلهم ويسجن البعض الآخر في زنزانة تحت الأرض. أنا واحدة من سجنائه لكنه حافظ على حياتي كي أقوم على خدمته"

- "جدتي، هل تريدين أن أنقذك؟"

- "لا يمكنك فعل ذلك يا ولدي! ليست لديك فكرة عن قوة هذا الوحش الشرير"

- "أعتقد أنني قد أكون قادرًا على التغلب عليه وإنقاذك إذا استطعت أن تعرفي لي شيئاً"

ساور العجوز الشك في ذلك لكنها وعدت بفعل أي شيء يطلبه الأمير الأصغر.

- «حسنًا يا جدتي. اعرفي من التنين موضع قوته، سواء في جسده أو في أي مكان آخر. اعرفي ذلك هذه الليلة وسأعود غدًا في الساعة نفسها لرؤيتك»

عندما عاد التنين إلى المنزل في تلك الليلة، وبعد أن فرغ من العشاء وجلست لتحك رأسه حتى ينعس وينام كعادته قالت له العجوز:

- "سيدي. أعتقد بأنك أقوى تنين في العالم! أخبرني الآن أين تكمن قوتك -في جسدك الجميل أم في مكان آخر؟"

- "أنت على حق أيتها العجوز (نخر التنين) أنا قوي كما ينبغي لتنين. لكنني لا أحتفظ بقوتي في جسدي. فهذا أمر محفوف بالمخاطر. إنني احتفظ بها في الموقد الذي هناك"

ركضت العجوز إلى الموقد وانحنت عليه وداعبته وقبلته:

- «أيها الموقد الجميل حيث تختفي قوة سيدي! ما أسعد الرماد الذي يغطي أحجارك!»

ضحك التنين باستمتاع وقال:

- «ها قد خدعتك أيتها العجوز! قوتي ليست في الموقد على الإطلاق! إنها في الشجرة التي أمام الطاحونة»

جرت العجوز على الفور من الطاحونة وألقت ذراعيها حول الشجرة.

- "أيتها الشجرة! يا أجمل شجرة في العالم. احرسي قوة سيدي ولا تدعي أي ضرر يلحق بها!"

ضحك التنين مرة أخرى وقال:

- «لقد خدعتك ثانية أيتها العجوز! تعالي إلى هنا وحكّي رأسي أكثر وسأقول لك الحقيقة هذه المرة لأنني أرى أنك تحبين سيدك حقًا»

عادت المرأة العجوز وراحت تحك رأسه فأخبرها الحقيقة بشأن قوته:

- «إنني احتفظ بها في مكان بعيد. في ثالث مملكة من هنا، بالقرب من مدينة القيصر، توجد بحيرة عميقة. ثمة تنين يعيش في قاع البحيرة. في داخل التنين خنزير بري. في الخنزير أرنب. في الأرنب حمامة. في الحمامة عصفور. قوتي في ذلك العصفور. دعي أي شخص يقتله وسوف أموت في التو واللحظة. لكنني بأمان؛ لا أحد يأتي إلى البحيرة إلا الرعاة، وحتى هؤلاء لم يعودوا يقتربون منها لأن التنين التهم الكثير منهم حتى نالت البحيرة سمعة سيئة. في الواقع، حتى القيصر نفسه يصعب عليه في الوقت الحاضر أن يعثر على راع. أوه، أقول لك أيتها العجوز: سيدك في غاية الذكاء!»

هكذا عرفت العجوز سر التنين. وفي اليوم التالي نقلته للأمير الأصفر الذي رسم في الحال خطة محكمة للتغلب على التنين. تنكر في ثياب راعٍ وحمل عصاه ثم انطلق مشيًا على الأقدام نحو المملكة الثالثة. سافر عبر القرى والبلدات، عبر الأنهار وفوق الجبال، حتى وصل أخيرًا إلى المملكة الثالثة ومدينة القيصر فقدم نفسه إلى حراس القصر وطلب أن يعمل راعيا عنده.

نظر إليه الحراس بدهشة وقالوا:

- «راع! هل أنت متأكد أنك تريد أن تكون راعيًا؟»

ثم نادوا على رفاقهم قائلين:

- «انظروا. هذا شاب يريد أن يكون راعيًا!»

وانتشرت الكلمة في القصر حتى سمعها القيصر، فأمر بإرسال الشاب اليه وسأله:

- «هل تريد حقًا أن تعمل راعيا عندي؟»

- "نعم، أريد"

- "إذا جعلتك مسؤولاً عن الغنم، فأين سترعاها؟"

- "ألا توجد بحيرة خارج المدينة حيث يتوفر العشب حولها بوفرة؟"

- "همم! أنت إذن تعرف عن تلك البحيرة! ماذا تعرف ايضا؟"

- "سمعت عن اختفاء الرعاة"

- "وما زلت تريد تجربة حظك؟" (هتف القيصر)

بعد قليل دنت ابنة القيصر الوحيدة، الأميرة الجميلة التي كانت تنظر بإعجاب إلى الشاب الغريب، من والدها وهمست في أذنه:

- «لكن يا أبي، لا يمكنك أن تدع مثل هذا الشاب الوسيم يخرج مع الخراف! سيكون أمرا مروعا إذا لم يعد أبدا!»

همس لها القيصر بدوره:

- «أسكتي يا طفلتي! إن حرصك على سلامة الشاب يرجع إلى مشاعرك النبيلة. لكن هذا ليس الوقت أو المكان المناسبين للمشاعر. يجب أن نفكر أولاً في خير الخراف الملكية»

ثم التفت إلى الأمير الصغير:

- "حسنًا أيها الشاب، عدّ نفسك مقبولا. جهز نفسك بكل ما تحتاجه وتولَّ واجباتك في الحال"

- "هناك شيء واحد: عندما أمضي صباح الغد مع الأغنام أود أن آخذ معي اثنين من الكلاب الضخمة التي تستخدم لصيد الخنازير، وصقرا، ومزمار قِرَب" [1]

وعده القيصر بأن يحصل على ما طلب. وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي، عندما اختلست الأميرة النظر من نافذة غرفة نومها، رأت الراعي الجديد يقود القطعان الملكية إلى المراعي. كان الصقر جاثما على كتفه، وتحت ذراعه مزمار القرب وهو يقود اثنين من كلاب الصيد القوية ممسكا بمقودها.

- «يا للعار! (قالت الأميرة لنفسها) ربما لن يعود أبدًا، وهو الشاب الوسيم!»

كانت تعيسة للغاية عندما فكرت في أنها لن ترى الراعي الجديد مرة أخرى. وامتنعت عليها العودة إلى النوم.

حسنًا، وصل الأمير الأصغر إلى البحيرة وسرّح خرافه لترعى، وأجلس الصقر على جذع شجرة، وربط الكلاب بجنبه ووضع مزمار القرب على الأرض ثم خلع ثوبه وشمّر سرواله وأخذ يخوض بجرأة في البحيرة ثم نادى بصوت عال:

- «هوو، أيها التنين، تعال لنجرب مباراة في المصارعة! هذا إذا لم تكن خائفا!»

- "خائف؟ (خار صوت فظيع) من الخائف؟"

اضطرب سطح الماء ثم انشق وظهر وحش رهيب تغطي القشور جسده. زحف على الشاطئ وأمسك الأمير من خصره، وأمسكه الأمير بنفس القوة. وهناك تمايلا يمينا ويسارا، وتمرغا في الأرض وتصارعا على شاطئ البحيرة دون أن يتغلب أحدهما على الآخر. وبحلول منتصف الظهيرة عندما سخنت حرارة الشمس ضعف التنين وكاد أن يغمى عليه فصرخ:

- "آه، لو استطعت أن أغمس رأسي الملتهب في الماء البارد لأمكنني أن أرميك عالياً في السماء!"

- "لا تتحدث بهذا الهراء! أنا الآخر يمكنني أن أطوّح بك أعلى بمرتين إذا رضيت ابنة القيصر بتقبيل جبهتي!"

عندها تملص التنين من قبضة الأمير، وغطس في الماء واختفى. انتظره الأمير لكنه لم يظهر رأسه القشري من جديد طوال ذلك اليوم.

وعندما حل المساء اغتسل الأمير من أدران القتال وارتدى ملابسه بعناية فبدا جميلا ووسيما كما كان. ثم قاد أغنامه عائدا إلى القصر والصقر على كتفه وكلاب الصيد في أعقابه وهو يعزف لحنًا مرحًا في مزمار القربة فخرج سكان المدينة الذين سمعوا المزمار من منازلهم وتنادوا قائلين:

- «لقد عاد الراعي! لقد عاد الراعي!»

هرعت الأميرة إلى شباكها، وعندما رأت الراعي حيًا وسليما وضعت يدها على قلبها وقالت:

- «آه، يا للفرحة!»

وكان القيصر نفسه في غاية السرور وقال:

- «لست متفاجئًا أبدا من عودته! ثمة شيء أحبه في هذا الشاب!"

في اليوم التالي أرسل القيصر اثنين من خدمه المؤتمنين إلى البحيرة ليرى ما يحدث هناك، فاختبئا وراء بعض الشجيرات على تلة صغيرة تطل على البحيرة. كانا هناك عندما وصل الراعي وشاهداه وهو يخوض في الماء ويتحدى التنين كما في اليوم السابق. وسمعا الراعي ينادي بصوت عال:

- "هوو، أيها التنين، تعال لنجرب مباراة في المصارعة! هذا إذا لم تكن خائفا!"

ثم سمعا صوتا فظيعا من داخل الماء:

- «خائف؟ من الخائف؟»

ورأيا سطح الماء وهو يضطرب ثم ينشق ويظهر وحش رهيب تغطي القشور جسده. زحف على الشاطئ وأمسك الأمير من خصره، وأمسكه الأمير بنفس القوة. وشاهداهما وهما يتمايلان يمينا ويسارا، ويتمرغان ويتصارعان على شاطئ البحيرة دون أن يتغلب أحدهما على الآخر. وبحلول منتصف الظهيرة عندما سخنت حرارة الشمس شاهدا التنين وهو يضعف ويكاد أن يغمى عليه ويصرخ:

- "آه، لو استطعت أن أغمس رأسي الملتهب في الماء البارد لأمكنني أن أرميك عالياً في السماء!"

وسمعا جواب الراعي:

- «لا تتحدث بهذا الهراء! أنا الآخر يمكنني أن أطوّح بك أعلى بمرتين إذا رضيت ابنة القيصر بتقبيل جبهتي!»

ثم رأيا التنين وهو يتملص من قبضة الأمير ويغطس في الماء ويختفي عن الأنظار. وانتظرا طويلا لكنه لم يظهر رأسه القشري من جديد طوال ذلك اليوم.

أسرع خادما القيصر إلى القصر قبل الراعي وأخبراه بكل ما رأياه وسمعاه. تأثر القيصر كثيرا بشجاعة الراعي وأعلن أنه إذا قتل هذا التنين البشع فسوف تكون الأميرة نفسها زوجته! ثم استدعى ابنته وأخبرها بكل ما بلّغه خادماه وقال لها:

- "اسمعي يا ابنتي. أنت أيضًا يمكنك أن تساعدي في تخليص بلدك من هذا الوحش إذا خرجت مع الراعي غدًا ثم قبلته على جبينه في الوقت المناسب. سوف تفعلين هذا من أجل بلدك، أليس كذلك؟"

تورد وجه الأميرة وارتجفت فقال القيصر وهو ينظر إليها في دهشة:

- «ماذا! هل يواجه الراعي المتواضع تنينًا فظيعا دون أن يخاف وترتجف ابنة القيصر؟»

فصاحت الأميرة:

- «أبي ، ليس التنين هو ما أخاف منه! "

- "ماذا إذن؟"

لكن الأميرة لم تعترف بما كانت تخشاه بل قالت:

- "إذا تطلبت مصلحة بلدي أن أقبل الراعي على جبهته فسأفعل ذلك"

في صباح اليوم التالي، عندما خرج الراعي والصقر على كتفه والكلاب في أعقابه ومزمار القربة تحت ذراعه، سارت الأميرة بجانبه. كانت عيناها كئيبتين ورأى أنها كانت ترتجف فقال لها:

- «لا تخافي أيتها الأميرة العزيزة. لن يلحقك أذى. أعدك بذلك! "

فتمتمت الأميرة:

- «أنا لست خائفة»

لكن وجهها ازداد توردًا وظلت ترتجف وتشيح وجهها عنه مع أنه حاول النظر في عينيها لطمأنتها.

في هذه المرة كان القيصر نفسه والعديد من حاشيته قد سبقوهما ووقفوا على التل الذي يطل على البحيرة لمشاهدة المعركة النهائية بين الراعي والتنين. وعندما وصل الراعي والأميرة إلى البحيرة، وضع الراعي صقره على جذع شجرة كما فعل من قبل وربط الكلاب بجانبه ووضع مزمار القربة على الأرض. ثم نزع قميصه وشمّر سرواله وخاض في البحيرة بجرأة ونادى بصوت عال:

"هوو، أيها التنين، تعال لنجرب مباراة في المصارعة! هذا إذا لم تكن خائفا!"

- "خائف؟ (خار صوت فظيع) من الخائف؟"

اضطرب سطح الماء ثم انشق وظهر وحش رهيب تغطي القشور جسده. زحف على الشاطئ وأمسك الأمير من خصره، وأمسكه الأمير بنفس القوة. وهناك تمايلا يمينا ويسارا، وتمرغا في الأرض وتصارعا على شاطئ البحيرة دون أن يتغلب أحدهما على الآخر، بينما وقفت الأميرة، التي لم تظهر أدنى خوف، في مكان قريب تهتف للراعي وتشجعه بانتظار اللحظة التي يحتاج فيها إلى مساعدتها. وبحلول منتصف الظهيرة عندما سخنت حرارة الشمس ضعف التنين وكاد أن يغمى عليه فصرخ:

- "آه، لو استطعت أن أغمس رأسي الملتهب في الماء البارد لأمكنني أن أرميك عالياً في السماء!"

- "لا تتحدث بهذا الهراء! أنا الآخر يمكنني أن أطوّح بك أعلى بمرتين إذا رضيت ابنة القيصر بتقبيل جبهتي!"

فركضت الأميرة على الفور وقبلت الراعي ثلاث مرات؛ الأولى على جبهته والثانية على أنفه والثالثة على فمه. وكانت قوته تزداد مئة ضعف مع كل قبلة. فأمسك التنين بقبضة قوية وطوّح به عالياً حتى لم يعد القيصر وجميع رجال الحاشية قادرين على رؤيته في السماء. ثم سقط على الأرض وارتطم بها بقوة جعلته ينفجر.

خرج خنزير بري من جسده. كان الراعي مستعدًا لهذا فأطلق كلبي الصيد اللذين انقضا على الخنزير ومزقاه إربًا.إربا، فإذا بأرنبٍ يقفز من جسده ويعدو عبر المرج، لكن الكلبين أمسكا وقتلاه وخرجت من جسد الأرنب حمامة واندفعت طائرة، فأطلق الراعي الصقر على الفور، فارتفع عالياً في الهواء ثم انقض عليها وأمسكها بمخالبه وألقى بها في يدي الراعي. شق الراعي بطن الحمامة فوجد العصفور.

- «أعف عني! أعف عني!» صرخ العصفور.

- "أخبرني أين أخويّ سأله الراعي وأصابعه تضغط على حلقه.

- "أخواك؟ إنهم على قيد الحياة في الزنزانة العميقة التي تقع أسفل الطاحونة القديمة. خلف الزنزانة ثلاث شتلات صفصاف تنمو من جذر قديم. اقطع الشتلات واضرب

الجذور. سيفتح باب حديدي ثقيل يؤدي إلى الزنزانة. ستجد في الزنزانة العديد من الأسرى الكبار والصغار وبينهم أخواك. والآن بعد أن أخبرتك بهذا، هل ستحافظ على حياتي؟"

لكن الراعي قطع عنق العصفور لأنه يعلم أنه بهذه الطريقة فقط يمكنه قتل الوحش الذي أسر أخويه. حسنًا. الآن بعد أن مات التنين، نزل القيصر وجميع حاشيته من التل واحتضنوا الراعي وامتدحوا شجاعته، وقال القيصر:

- «لقد أنقذتنا جميعًا من وحش مخيف، ولكي أظهر لك امتناني وامتنان البلد، سأقدم ابنتي زوجة لك»

- "شكرًا لك يا مولاي، لكنني لا أستطيع الزواج من الأميرة ما لم تكن مستعدة للزواج مني"

تورد وجه الأميرة وارتجفت، تمامًا كما في الليلة السابقة وفي الصباح وهما في طريقهما إلى البحيرة. حاولت الكلام لكنها لم تستطع في البداية. ثم قالت بصوت خفيض أقرب إلى الهمس:

- "بصفتي أميرة، أعتقد أنه من واجبي أن أتزوج هذا الراعي الشجاع الذي أنقذ بلدي من هذا التنين الرهيب، وأظن أنني كنت أرغب في الزواج منه على أي حال"

نطقت كلماتها بصوت بلغ من الانخفاض درجة أن الراعي الوحيد الذي سمعه. لكن ما فعلته كان الصواب لأن تلك الكلمات كانت في النهاية موجهة اليه وحده!

وهناك، بجوار البحيرة، وحتى قبل أن يتمكن الراعي من غسل وجهه ويديه ولبس قميصه، وضع القيصر يد الأميرة في يده وأعلن خطوبتهما. ثم استحم الراعي في البحيرة فانتعش وتنظف ونفخ في مزمار القربة وعاد هو والأميرة والقيصر وجميع الحاشية إلى المدينة يقودون الأغنام أمامهم. خرج جميع سكان المدينة لاستقبالهم ورقصوا على أنغام مزمار القربة وعمت البهجة بموت التنين وخطوبة الأميرة والراعي الشجاع. أقيم حفل الزفاف في الحال واستمرت الاحتفالات لأسبوع كامل. يا لها من وليمة تمتع بها سكان المدينة! يا لها من موسيقى ورقص!

وعندما انتهت احتفالات الزفاف، كشف الراعي للقيصر عن شخصيته الحقيقية فصاح القيصر في سرور:

- «أتقول أنك أمير؟ لم أتفاجأ بهذا الخبر على الإطلاق. لقد كنت في الواقع اشتبه في ذلك من البداية!»

وأضاف في زهو واعتداد:

- «هل تظن بأن من المحتمل أن ابنة لي تقع في حب رجل إن لم يكن أميرًا؟»

- "أعتقد بأنني كنت سأقع في حبك مهما كنت!" همست الأميرة لزوجها الشاب. لكنها لم تدع والدها يسمعها!

أخبر الأمير القيصر عن أسر أخويه وكيف يجب عليه العودة إلى وطنه لإطلاق سراحهما فقال القيصر على الفور إنه يمكن أن يرحل هو وعروسه شريطة أن يعودا في أقرب وقت ممكن. فوافقا على ذلك وقام القيصر بتجهيزهما بمرافقين وخدم وموكب رائع وبارك فيهما فشرعا بالسفر.

وهكذا عاد الأمير هذه المرة عبر مدن وقرى لثلاث ممالك، شاقا طريقه بين الأنهار الجبال، لكن ليس مشيًا على الأقدام كأي راعٍ متواضع، بل بصفة رجل ثري وعظيم يركب بطريقة تليق بمقامه. وعندما وصل إلى الطاحونة المهجورة وجد صديقته العجوز بانتظاره:

- «أنا أعلم يا أميري بأنك نجحت في مهمتك، فلقد اختفى الوحش»

- "نعم يا جدتي، أنت على حق: لقد نجحت. لقد وجدت التنين في البحيرة، والخنزير في التنين، والأرنب في الخنزير، والحمامة في الأرنب، والعصفور في الحمامة. فأمسكت بالعصفور وقتلته. أنت الآن حرة في العودة إلى منزلك. وقريباً سيكون كل هؤلاء الأسرى المساكين أحرارًا"

ثم ذهب إلى خلف الطاحونة ووجد شتلات الصفصاف الثلاث فقطعها وضرب الجذر القديم فانفتح باب حديدي ثقيل يؤدي إلى زنزانة عميقة مكتظة بالسجناء التعساء فقادهم إلى الخارج وأرسلهم في طريقهم. ووجد شقيقيه من بينهم فعاد بهما إلى قصر والده.

عم الفرح والابتهاج في قصر الملك وفي قلبه أيضًا لأنه كان فقد الأمل في رؤية أي من أبنائه مرة أخرى. وفتن الملك بجمال الأميرة حتى أنه عبر عن أسفه لأنها لم تتزوج من ابنه الأكبر كي تصبح ملكة يومًا ما، ثم أضاف:

- «الأمير الأصغر شاب مقتدر بالتأكيد، ما من أحد ينكر بأنه تمكن من إنجاز مهمة قتل التنين بدقة وبراعة شديدين. لكنه، بعد كل شيء، الأمير الأصغر الذي يملك القليل من الحظ في تبوء العرش. لو لم تكوني قد تزوجته بهذه السرعة، فلربما كان السهل أن يقع أحد أخويه الأكبر منه في حبك!»

فأجابته الأميرة:

- «لست نادمة قَط على تسرعي. ثم إنه الآن وريث والدي. لكن هذا لا يهم لأنني سأكون سعيدة مع الأمير الأصغر حتى لو كان مجرد راعٍ!»

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) مزمار القرب: آلة هوائية تعزف عن طريق النفخ بداخل كيس جلدي واسع يخزن الهواء وينقله إلى أنبوب خشبي ذي تسعة ثقوب لتخرج الأنغام عن طريق الثقوب واقفالها بواسطة الأصابع.



حكايات برتغالية

البنت الصغيرة الحكيمة

منذ زمن بعيد عاش تاجر لديه ثلاث بنات. كان يسافر في يوم معين من كل عام إلى مدينة بعيدة ليجمع الأموال التي له بذمة الآخرين بينما تبقى زوجته وبناته في المنزل. سارت الأمور على ما يرام حتى ماتت الزوجة ذات يوم حزين. في ذلك العام تطلع التاجر إلى رحلته بفزع لأنه سيضطر إلى ترك بناته وحدهن، لذا قال لهن:

- «لا أستطيع أن أتحمل السفر والابتعاد عنكن. قلبي مليء بالخوف لئلا يصيبكن شر في غيابي»

لكن ذلك العمل كان على قدر كبير من الأهمية ولم يكن هناك أي شخص يمكنه إرساله لإنجازه. ومع ذلك فإن ترك ثلاث فتيات جميلات بدون حماية أمر لا ينبغي الاستخفاف به.

قالت له بناته:

- «لا تخف من تركنا يا والدنا العزيز. لن يصيبنا مكروه أثناء غيابك»

- -"وما أدراكن بذلك؟ أنا أكبر منكن وأكثر حكمة وأعلم أن هناك الكثير من الشرور التي قد تصيبكن. هناك مثلا العديد من اللصوص الجريئين في هذه المدينة، وفيهم من هو على أتم الاستعداد للاستفادة من غيابي وسرقة كل ما نملك"

أجابت البنات الثلاث:

- «يمكننا إغلاق الباب على أنفسنا والبقاء في أمان داخل المنزل وعدم السماح لأي أحد بالدخول»

- "تأكدن إذن من عدم إدخال أحد أيًا كان!"

أمرهن الأب فأعطينه وعدهن بذلك. وانطلق في رحلته لكنه ظل، مع ذلك، قلقًا منشغل البال.

وحدث ان عصابة من اللصوص الجريئين كانوا خارج المدينة. وكان زعيمها قد شاهد رحيل التاجر. وعندما صار على مسافة أمينة بالنسبة لهم، تنكر بأسمال متسول عجوز، ثم قاد عصابته في المساء إلى شارع قريب وتوجه لوحده إلى منزل التاجر وطرق الباب ونادى:

- اشفقوا على الفقير التعيس! إنها تمطر في الخارج، ولا يقدر من في قلبه رحمة أن يصد من يلجأ اليه من العاصفة. دعوني أدخل، أتوسل إليكم، لأمضي الليل تحت سقفكم»

قالت الابنة الكبرى للتاجر والريح تهز بلاط السقف والمطر يسقط مدرارا على الأبواب والنوافذ:

- «إنها لعاصفة رهيبة بالتأكيد. أعتقد أننا يجب أن نشفق على متسول فقير في ليلة كهذه»

اختلست الابنة الثانية النظر من النافذة على المتسول وقالت:

- «إنه رجل عجوز فقير. لقد علمنا والدنا دائمًا أن نظهر الرحمة واللطف للمسنين»

- "تذكرا وعدنا لأبينا! (صاحت الصغرى) لقد أعطيناه كلمتنا بأن لا نفتح لأحد. يمكننا أن نعطي هذا المتسول المسكين بعض الصدقات ونباركه ثم نصرفه"

عبست الابنة الكبرى وقالت:

- «ليس من حق الأصغر سنًا والأكثر طفولة أن يأخذ القرارات»

وأضافت الابنة الثانية:

- «نحن أكبر منك وأكثر حكمة. الأمر متروك لنا لتحديد ما يجب القيام به. إذا قررنا إظهار الرحمة لهذا المتسول المسكين فليس من حقك أن تعترضي»

- "لكن يجب ألا ننسى وعدنا لأبينا!"

كررت الابنة الصغرى لكن دون جدوى. وفتحت الاختان الأكبر الباب وأدخلتا المتسول واقتادتاه إلى المطبخ كي يجفف ملابسه. ثم أعدتا له سريرًا لينام عليه وقدمتا له العشاء في المطبخ ثم جلسن لتناول طعامهن.

قالت الأخت الكبرى وهي تأكل:

- «إنها لليلة مخيفة لطرد متسول»

فقالت الأخت الوسطى:

- «أنا سعيدة لأننا آويناه هذه الليلة»

لكن الشقيقة الصغرى قالت:

- «أعتقد أن والدنا العزيز سينزعج كثيرا إذا علم أننا نكثنا بوعدنا بهذه السهولة»

- "عار عليك!" صاحت الكبرى.

فقالت الوسطى:

- «لا أظن أننا خالفا وعدنا عندما أظهرنا بعض اللطف لمتسول عجوز مسكين»

لكن الصغرى قالت: مع ذلك فإن الوعد هو الوعد.

وبينما هن منشغلات بالحديث أخذ المتسول المزعوم التفاح الذي كان على الفتيات تناوله كتحلية بعد الطعام، ورش عليه مسحوقًا منوما. أكلت الكبيرتان تفاحهما، لكن الصغرى لم تستطع أن تأكل تلك الليلة، ورمت تفاحها بعيدًا.

وبمجرد أن انتهين من الأكل، ذهبت الفتيات إلى غرفهن وغرقت الكبيرتان في النوم فور دخولهن الفراش، لكن الصغرى كانت خائفة لدرجة أنها لم تستطع أن تنام لطرفة عين.

وسرعان ما سمعت خطى المتسول وهو يدخل الغرفة، فتظاهرت بأنها نائمة أيضًا. تقدم اللص إلى سرير الأخت الكبرى ووخز قدمها بدبوس ليرى إن كانت قد غرقت في النوم تمامًا، فلم تتحرك، فعرف أن بودرة النوم قد أنجزت عملها. ثم ذهب إلى سرير الأخت الثانية وفعل الشيء نفسه. كانت فاقدة للوعي تمامًا مثل أختها. شعرت الصغرى بألم شديد عندما أدخل الدبوس في قدمها، لكنها لم تحرك ساكنا فظن اللص أن مسحوق النوم قد تغلب عليها مثل أختيها.

اختلست الشقيقة الصغرى النظر من خلال رموشها الطويلة الكثيفة، وكانت مفاجأة كبيرة لها حين رأت المتسول وقد ترك المعطف القديم الممزق الذي كان يلفه حوله حتى أثناء تناوله الطعام. لقد كان يرتدي تحته ثياب اللصوص وقد تسلح بسيف ومسدس وخنجر. انتابها خوف عارم لدرجة أنها فعلت كل ما بوسعها لمنع أسنانها من الاصطكاك.

وسمعت السارق وهو يتجول في المنزل ويلتقط الأشياء الثمينة التي يريد أن يسرقها. ثم سمعته ينزل السلم ويفتح أقفال الأبواب الثقيلة التي تؤدي إلى المتجر فنهضت بهدوء وخرجت من الغرفة لتسمعه بوضوح أكثر.

على كرسي في غرفة الطعام رأت السيف الذي نزعه. من الواضح أنه كان يعتقد أنه لن يحتاج إلى استخدام أسلحته بعد نوم الفتيات الثلاث.

وسرعان ما سمعت الأبواب الخارجية الثقيلة للمتجر وهي تُفتَح. كان السارق قد خرج لاستدعاء بقية أفراد العصابة فنزلت الدرج وأحكمت إغلاق أبواب المتجر. كانت كبيرة وثقيلة، لكن خوفها الكبير منحها القوة. وقالت لنفسها وهي تنتظر لترى إن كان السارق سيعود:

- «سيجد صعوبة في دخول منزلنا مرة أخرى»

ولم تلبث أن بلغتها أصوات خطى في الخارج، فعلمت أن اللص قد رجع ومعه آخرون. وسمعتهم وهم يطلقون شتائم وتهديدات مرعبة عندما وجدوا الباب مغلقاً.

- «الصغرى هي من خدعتني! (صاح رئيس العصابة) كنت أعرف طوال الوقت أنها لا تريد السماح لي بالدخول. كنت أشك بها منذ البداية»

- "ربما يمكنك خداعها من جديد! (صاح آخر) قد لا تكون حكيمة كما تبدو. لا يمكنك الجزم أبدا"

اقترب زعيم عصابة اللصوص من ثقب المفتاح وهمس:

- «سيدة المنزل الطيبة، اشفقي عليّ»

لم تجب ابنة التاجر في البداية. ولكن، بينما كان يواصل نداداتها سألته أخيرًا عما يريد.

- «»لقد تركت رُقيتي في الداخل! أتوسل اليك، دعيني أدخل لاستعادتها. أعدك بأنني لن أؤذيك»

ردت الفتاة الصغيرة:

- «أنا لا أثق بوعودك. لن تدخل منزل أبي»

- "مرري لي الرقية إذن"

- "إنها في النار!"

- "اذهبي واسكبي عليها الخل وأطفئيها. ثم يمكنك سحبها بأمان"

وحدث أن كان هناك ثقب صغير في الباب لكنه يكفي لدخول يد الرجل. إنها الفتحة التي غالبًا ما يدفع المتسولون أيديهم الممدودة من خلالها لطلب الصدقات.

أجابت الابنة الصغرى:

- «مدّ يدك من خلال الفتحة الموجودة في الباب كي أناولك تعويذتك»

وركضت بسرعة إلى الطابق العلوي وحملت سيف السارق الذي تركه على كرسي في غرفة الطعام. وعندما عادت كانت يده تخترق فتحة الباب فضربتها بكل قوتها بالسيف الكبير وقطعتها.

ملأت صيحات اللصوص وشتائمهم الهواء، ثم حاولوا عبثًا كسر الأبواب الكبيرة، لكنها كانت قوية ومثبتة بشكل آمن. وحل النهار أخيرًا فاضطرت عصابة اللصوص إلى الفرار.

في الصباح تلاشى تأثير المسحوق المنوم واستيقظت الأختان الكبيرتان، وعندما سمعتا قصة أختهن أخذتهن الدهشة.

- «أنا لا أصدق كلمة واحدة مما قلت! (هتفت الكبرى) أنك تختلقينها»

وقالت الثانية:

- «لقد رأيتِ حلما سيئا بالتأكيد. أنا الأخرى رأيت كابوسا فظيعا إلى درجة أنني أعاني من صداع هذا الصباح»

ولم يقتنعا إلا بعد أن أرتهم أختهم الصغيرة يد السارق والسيف العظيم.

- «آه، لماذا سمحنا للرجل بالدخول إلى منزلنا؟» صاحت الكبرى.

- "أوه، لماذا لم نفِ بوعدنا لوالدنا؟" هتفت الوسطى.

وعندما عاد التاجر أخيرًا من المدينة البعيدة التي ذهب إليها لجمع أمواله كان سعيدًا بالعثور على منزله وبناته الثلاث في سلام، فقال وهو يحتضنهن باعتزاز:

- «أرى أنه لم يصبكن شر في غيابي. كل مخاوفي عليكن كانت حمقاء»

خجلت الابنة الكبرى ونكست رأسها وقالت:

- «لقد تعرضنا لخطر كبير أثناء غيابك. لكننا نجونا بفضل أختنا الصغرى»

وقالت الابنة الوسطى:

- «لقد كانت أختنا الصغيرة أكثر حكمة منا»

وعندما سمع التاجر القصة الكاملة قال:

- «من اليوم يجب علينا جميعاً أن نصغي إلى حكمة هذه الفتاة الصغيرة. إنها تتمتع بعقل يتجاوز سنها»

(عن الانكليزية)

صديق الشيطان

ذات مرة قدم شاب فلمنكي[1] وسيم اسمه فرناندو دي هترا إلى جزيرة فايال. ووقع من فوره بحب راهبة جميلة في دير جلوريا بمدينة هورتا[2]

ذات يوم ظهر له الشيطان وقال له:

- «أرى أنك أصبحت صديقي منذ أن عشقت الراهبة الجميلة»

لم يكن الشاب يعرف شيئا عن هذا فأجاب:

- "قل بالأحرى أنني سأكون صديقك إذا ساعدتني في الظفر بهذه الراهبة التي أحبها"
- "حسنًا، لكن عليك أن تعقد صفقة معي"
- "وما هي؟" سأل فيرناندو بشيء من القلق.
- "امنحني تعهدا رسميا بأن تهبني جميع أطفالك"
- "اتفقنا!"

فعل الشيطان الكثير لكن دون جدوى. فقد كانت الراهبة تقية بقدر ما هي جميلة، فرفضت الاخلال بالوعود التي قطعتها على نفسها والفرار مع الشاب الفلمنكي وقاومته بشدة، هو والشيطان.

قال فرناندو للشيطان بحزن:

- «أنت لست صديقي الحقيقي بعد الآن»
- "لكنك تبقى صديقي"

بعد مدة وجيزة، غادر فرناندو مدينة هورتا وجزيرة فايال بأكملها وذهب للانضمام إلى أقاربه الذين استقروا في جزيرة تيرسييرا(3). وهنا كسب بوجهه الوسيم أصدقاء كثيرين بين شباب المدينة. وأسرّ لبعضهم بقصة علاقته مع الشيطان.

وحدث أن عام 1666 شهد أول مباراة لمصارعة ثيران في أنغرا.(تعد جزيرة تيرسييرا إلى الآن الوحيدة من جزر الأزور التي تمارس فيها مصارعة الثيران)

شارك فرناندو في تلك المباريات وكان أحد المنظمين الرئيسين لمصارعة الثيران التي أقيمت في يوم القديس يوحنا من العام التالي. في ذلك اليوم اجتمع جميع رجال ونساء وأطفال مدينة أنغرا في الساحة العامة أمام الحصن. وركب مصارعو الثيران وهم يرتدون ملابس فخمة على جياد متبخترة مزينة بمخمل باهظ الثمن وشرائط من الذهب والفضة تتلألأ في ضوء الشمس الساطع. كان الشباب متألقين في ثيابهم القرمزية أو البنفسجية أو الزرقاء المخملية المطرزة بكل أبهة. وكان فرناندو نجمًا مشرقًا بينهم، بسترته الزرقاء المزينة باللآلئ وقبعته المزخرفة على رأسه الوسيم، وهو يحمل لافتة صفراء مطرزة بشعار عائلته.

صدحت موسيقى مرحة وأدخلت الثيران إلى الحلبة. حيا المصارعون الجمهور وبدأ النزال.

في نوافذ القلعة جلست بنات حاكم مدينة أنغرا بين صديقاتهن. كانت الابنة الكبرى صوفيا أجمل فتاة في المدينة برمتها. راقبها الحاكم بقلق بينما كان خدها الجميل شاحبًا مرة ومتوهجًا مرة مع استمرار النزال. لم يكن من شك في أن ثمة حب في عينيها اللتين تسمرتا على الفارس الفلمنكي الشاب الوسيم فرناندو دي هوترا. لبست الفتاة ثيابا بنفس ألوانه وهي تمسك في يدها باقة من الزهور كان الشريط الذي يربطها يحمل جذاذة من الورق كُتبت عليها هذه الكلمات:

- "آه يا مالكة قلبي الجميلة

من أجل روحك العزيزة أرتمي في النار!»

انسحب القاضي بهدوء من الاحتفال المرح إلى صمت القاعة الكبرى بالقلعة وأسند رأسه على يديه وتأوه قائلًا:

- «هذا الشاب صديق للشيطان. لا يمكنني الموافقة على تزويجه ابنتي. يقولون إنه وعد بإعطاء كل أبنائه للشيطان. لا يمكنني أن أسمح بأن يهب أحفادي للشيطان!»

في ذلك اليوم بالذات بدأ يخطط لكيفية التخلص من الشاب الوسيم فرناندو.

كان ثمة جزيرتان صخريتان في الخليج المقابل لمدينة أنغرا تدعيان جزيرتي الماعز. وكان صهر الحاكم هو مالك هاتين الجزيرتين القاحلتين حيث لا شيء عدد قليل من الماعز وشجيرات التوت البري، وينبوع صغير من المياه العذبة. اتصل القاضي بزوج أخته فور انتهاء مصارعة الثيران وأخبره بكل مخاوفه وسأله إن كان بإمكانه استخدام الجزيرتين كمنفى للفارس الفلمنكي الشاب الذي صادق الشيطان فأجابه صهره:

- «على الرحب والسعة. يمكنك استخدام هاتين الجزيرتين متى شئت لاسيما لهدف بهذه الأهمية. كثيرا ما اعتقدت في الواقع بأن الكهف العميق في الجزيرة يؤدي إلى الجحيم. إنه المكان الأنسب لسكن صديق الشيطان!»

وهكذا ألقي القبض على الشاب الفلامنكي الوسيم ونقل إلى الجزر الصخرية القاحلة في خليج أنغرا. ولم يلبث بعد نزوله فيها أن هز زلزال كبير جزيرة تيرسيرا بأكملها. وعندما كان سكان مدينة أنغرا يتأملون في كل الدمار الذي حدث لهم، نظر بعضهم في اتجاه جزيرة الماعز فرأوا أن قطعة كبيرة قد انفصلت عن إحدى الجزر.

وهكذا استقبل الشيطان صديقه!

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) الفلامنكي: هو المنتمي أو المرتبط بإقليم فلاندرز في شمال أوروبا أو بشعبها أو لغتها أو ثقافتها، والفلمنكية هي إحدى اللغات المستعملة في بلجيكا.

(2) فايال جزيرة سياحية من جزر الآزور في المحيط الأطلسي إلى الغرب من البرتغال، تعد أبعد نقطة غربية في قارة أوربا، وقد حدثت قربها معركة مشهورة بين القوات الأمريكية والقوات البريطانية عام 1812 أما هورتا فهي مدينة في جنوب شرقي الجزيرة.

(3) تيرسيرا جزيرة أخرى من جزر الآزور تقع إلى الشرق من جزيرة فايال وتضم مدينة أنغرا.

لماذا تطير البومة في الليل

(منذ زمن بعيد ساقت الأمواج العالية لخليج أنكرا[1] أيقونة للقديس أنطونيوس الطيب[2] نحو الساحل. فبنوا في ذلك الموضع، فوق المنحدرات الشديدة لجبل «مونت برازيل» المطلة على الخليج، كنيسة صغيرة كي تضمها. كنيسة لا تزال قائمة هناك)

ذات مرة عاش صبي صغير اسمه بيدرو في كوخ صغير بالقرب من مزار القديس أنطونيوس. ماتت والدته وتزوج والده من زوجة جديدة شريرة، كثيرا ما قست عليه وألبسته ملابس رثّة ممزقة، فكان أطفال القرية الآخرون يسخرون منه ويشيرون إليه بازدراء بسبب تلك الثياب المهلهلة. في أحد الأيام عندما ركع بيدرو أمام أيقونة القديس الصالح حدث شيء غريب؛ أصبحت ملابسه جديدة وكاملة. لقد صار يرتدي زيا يشبه زي أي صبي آخر في القرية.

- "من أين حصلت على هذه الملابس؟ (سألته زوجة الأب عندما عاد إلى المنزل) كنت أعلم دائمًا أنك لا تصلح لشيء. أظن بأنك قد سرقتها"

أخبرها بيدرو الصغير بما حدث، لكنها لم تصدقه.

- «لا تقف هنا لتثرثر! (صرخت في وجهه) خذ جرار الماء واذهب إلى النبع كي تملأها لي. عجِّل. لا أريد أن أنتظر كثيرا!»

رفع بيدرو الجرتين الكبيرتين الموضوعتين على الأرض وشرع في تسلق التل بصعوبة كي يصل إلى النبع الصغير الذي يقع عند قمته ويوفر المياه لاحتياجات الأسرة معظم أوقات السنة. لكن النبع كان الآن جافا كما اكتشفت زوجة الأب في ذلك اليوم بالذات. قال رجل عجوز التقى به بيدرو الصغير في الطريق:

- «ليس في النبع ماء في هذا الوقت»

لكن الصبي أوشك على الوصول إلى النبع وجرار الكبيرة ثقيلة مع أنها فارغة، فقال مع نفسه:

- «أنا على وشك الوصول إلى هناك، سأواصل الصعود لأرى بنفسي. النبع الآخر بعيد جدًا والجرار ثقيلة ولا يمكنني حملها لمسافة طويلة. ربما لا يزال هناك القليل من الماء في هذا النبع»

عندما وصل إلى النبع تفاجأ برؤية المياه تتدفق بأسرع مما كانت عليه في كثير من الأيام، فتذكر أيضًا الملابس الجديدة التي يرتديها.

- «إنني محظوظ هذا اليوم! (هتف الصبي وهو يملأ جرار الماء) القديس الطيب أنطونيوس صديقي، وهو الذي وهبني ملابسي الأنيقة وهو الذي بارك لي في النبع»

وعندما عاد إلى المنزل وقد امتلأت الجرار بالماء نظرت إليه زوجة أبيه بدهشة. إنه لم يغب طويلاً بما يكفي لجلبه من النبع الأبعد.

- "من أين لك بهذا الماء؟" صاحت به حالما استفاقت من دهشتها ووجدت ما تقول.

أخبرها بيدرو بأنه جلبها من النبع كالمعتاد.

- «هذا النبع جاف اليوم! (صرخت بوجهه) الآن أعلم أنك كاذب ولص معا! انتظر حتى يعود والدك إلى المنزل! سأحرص على أن تنال الضرب الذي تستحقه»

تساءل بيدرو عن سبب إرسالها إلى النبع إذا كانت تعرف بأنه جاف. وبينما هو يفكر في ذلك ناولته المرأة الغاضبة سلة كبيرة وقالت:

- «هيا، اخرج إلى الحديقة واحضر لي بعض الحطب. عجل. لا تدعني أنتظر. بطؤك هذا يدفعني إلى الجنون»

كان بيدرو يعلم بأن كل الأخشاب الموجودة في الحديقة قد التقطت منذ فترة طويلة ولم يعد فيها سوى الورود؛ ورود حمراء، وورود وردية، وورود صفراء وورود بيضاء، ولكن لم يكن ثمة عود واحد من الحطب. ربما يوجد البعض منه في أعالي التلال شديدة الانحدار في مونتي برازيل، لكن الليل قد حل والمسار شديد الانحدار وطويل وبيدرو الصغير نفسه متعب، متعب جدًا لدرجة أن دمعتين كبيرتين انحدرتا على خديه. وفجأة خرج القديس الصالح أنطونيوس من الكنيسة الصغيرة ووقف أمامه. ابتسم للطفل بحنان وسأله:

- «لماذا تبكي يا ولدي؟ لقد راقبتك عن كثب لفترة طويلة وأنا أعلم أنك نادرًا ما تفسح المجال للدموع، مع أن أعباءك غالبًا ما تكون ثقالا لدرجة أن صبيا أقل منك شجاعة لن يفعل شيئًا سوى البكاء»

- "يجب أن أملأ سلتي بالحطب. لكن لا شيء في حديقتنا سوى الورود، أنا متعب والظلام حالك في الجبل فلا أستطيع أن أبحث هناك عن الحطب"

- "هوّن عليك يا فتاي العزيز (قال القديس مبتسمًا) فقط اختر الورود واملأ سلتك بها. ثم خذها إلى زوجة أبيك وانظر ماذا ستقول لك. سأكون معك"

ملأ بيدرو سلته الكبيرة بالورود الجميلة الحمراء والصفراء والوردية والبيضاء وكانت قد نمت بوفرة في الحديقة، ثم ركض بها إلى المنزل. وعندما سقط عليها ضوء الشموع رأى لدهشته أنها لم تعد وروداً. كانت السلة مليئة بالحطب!

- «من أين لك بهذا الحطب؟ (صاحت المرأة بغضب) ليس في الحديقة سوى الورود. اين كنت؟»

وأمسكت بيدرو بقسوة من ياقة معطفه الجديد وهزته حتى اصطكت أسنانه. ونظر الفتى إلى عيني القديس. كان وجهه قاسيا شديد الصرامة.

- «توقفي يا امرأة! (زمجر الصوت الذي كان لطيفًا وادعًا قبل قليل) هذا الفتى الصغير لم يفعل ما يؤذي. أما أنت فمذنبة برغبتك في إيذائه. من أجل هذه القسوة خذي العقوبة التي تستحقينها: أنت من أخرجت هذا الطفل إلى الليل الحالك. أما الآن فأنا من أرسلك إلى ظلمة الليل»

ومنذ تلك اللحظة لم تعد زوجة أبي بيدرو امرأة. لقد تحولت إلى بومة وتحولت عيناها اللتان حدقت في الوجه الغاضب الصارم للقديس أنطونيوس إلى تلكما الدائرتين الكبيرتين في وجهها. ومنذ ذلك اليوم صارت البومة لا تطير إلا في الليل!

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) القديس أنطونيوس اللشبوني، أو البادوفي: من قديسي الكنيسة الكاثوليكية. ولد عام 1195 في لشبونة عاصمة البرتغال وتوفي عام 1231 في مدينة بادوفا الإيطالية. يقال إنه شفيع الاشياء الضائعة والبحارين والصيادين.

(2) خليج أنكرا Bay of Angra: خليج طبيعي في جزيرة تيرسيرا البرتغالية في أرخبيل جزر الأزور.

لماذا لُعِن طائر السُمّان

عندما كانت السيدة العذراء تفر إلى مصر هربًا من اضطهاد هيرودتس، حلق طائر السُمّان فوق رأسها متسببا بضجة عظيمة وهو يصيح:

- «من هنا، من هنا تعالي من هنا!»

فصاحت به العذراء:

- «اسكت! سيسمعك الأعداء ويلحقون بنا!»

لكنه استمر في إثارة الضجيج. فغضبت العذراء منه وقالت:

- «عليك لعنتي! أبدا ستمشي في ذلّة ومهانة. أبدا لن تطير عاليًا وتبتسم للشمس!»

وهكذا صار طائر السمان يمشي إلى يومنا هذا في ذلّة ومهانة، وصار لديه الكثير من الأعداء الذين يتربصون به كي يذبحوه ويأكلوه!

(عن الانكليزية)

حكايات إيرانية

الأرنب الذكي

كان يا ما كان في قديم الزمان وفي مكان بعيد بعيد، كان هناك وادٍ جميل كثيف الشجر تحيط به الجبال العالية ويخترقه نهر عظيم يسقي كل أنواع الأشجار والنباتات الأخرى التي نمت فيه. حيوانات كثيرة اتخذت من هذا الوادي موطنا لها: الأرانب والطيور والسناجب والغزلان التي عاشت معًا في سعادة وأمان، فما من ذئاب أو أسود هنا كي تفترسها وتقلق راحتها.

لكن ذئبا انحدر ذات يوم من سفوح الجبال ودخل الوادي. ولم يكد يصل حتى بدأ بمطاردة الحيوانات الضعيفة المسكينة وافتراسها واحدة تلو الأخرى، فلم ينج من شرّه الا قليل منها. شعرت الحيوانات كلها بالخوف والقلق خشية أن يأتي عليها الدور، فتوجهت إلى البوم العجوز الحكيم وطلبت منه أن يجد طريقة لتخليص الوادي من شر الذئب. لكنه أجابها بأنه لا توجد وسيلة لمحاربة الذئب، ذي الأنياب والمخالب الأقوى والأكثر حدة من أي حيوان آخر في الوادي، ثم نصحها بأن تتعلم العيش مع الذئب.

احتجت الحيوانات بأنها لا يمكن أن تعيش في خوف وهلع دائمين من أن تؤكل، فدبرت خطة يائسة نالت موافقة الذئب وهي أن تختار كل يوم حيوانا من بينهم تقدمه له كي يأكله، وبهذا تستطيع الحيوانات الأخرى أن تطمئن إلى أن الذئب قد شبع وأن تنام بسلام في الأقل.

وافق الذئب، بطبيعة الحال، على هذه الخطة دون تردد، فلقد سئم من مطاردة الحيوانات وأعجبته على الخصوص فكرة أن يأتي الطعام اليه بنفسه!

وهكذا تجمعت الحيوانات في الصباح الباكر من اليوم التالي وقررت أن ترسل الأرنب الصغير الذي كان أصغر المقيمين في الوادي وأضعفهم، ليكون طعامًا للذئب.

ارتعد الأرنب من الخوف وحاول في البداية أن يهرب، لكنه سرعان ما أدرك أنه لن يجد مكانا يلجأ اليه. ثم فكر في منازلة الذئب، لكنه أقرّ بأن الذئب أكثر منه قوة وبطشًا، لذلك اضطر إلى أن يذعن ويجرجر أقدامه نحو بيت الذئب، وناداه إذ دنا منه:

- «يا ذئب! يا ذئب! أخرج من وجارك لأنني سأكون طعامك لهذا اليوم!»

خرج الذئب على الفور وأخذ يتشمم الأرنب ويلعقه بلسانه وقال:

- «همم.. يا لك من لقمة صغيرة لذيذة! لا أكاد أصدق أن حظي قادني إلى العثور على هذا الوادي حيث تقدم الحيوانات نفسَها للأكل عن طيب خاطر!»

- "هذا صحيح. لقد أتيت إلى هنا على أقدامي الأربعة الصغيرة (تنهد الأرنب ثم أضاف) لأنني أعلم أنه لا يمكنني الهروب من مصيري على يد ذئب قوي مثل حضرتك، على الرغم من أنك لست الأكثر رعبا أو الأكثر قوة في هذا الوادي"

- "ماذا تقصد؟ (صاح الذئب في اهتياج) ألست أنا أكثر الذئاب بطشا وقوة في هذا الوادي؟ ثم إنني الذئب الوحيد هنا وما من ذئب غيري فيه!"

- "هذا ما تظنه يا سيدي لأنك لا تعرف الذئب الآخر. ولكن لا يهم، كلني الآن هنيئا مريئا فأنا مأكول مأكول. حتى لو هربت منك فلن أنجو من أنياب الذئب الثاني الأشد قوة وفتكًا"

ثم حاول الأرنب أن يفتح فم الذئب ليدخل فيه، لكن الذئب استشاط غضبا ودفعه عن فمه.

- «انتظر يا هذا. لست مستعجلًا. يمكن أن آكلك في يوم ثانٍ. أرني أولا الذئب الذي تتحدث عنه وتدعي أنه أقوى مني. خذني اليه في الحال»

تنهد الأرنب دون اكتراث وقال:

- «حسنا اذن. لا فرق عندي سواء أكلتني أنت أو أكلني ذاك الذئب، صاحب الأنياب الأكبر والبراثن الأكثر حدة والساقين الأقوى. تفضل واتبعني»

- "هيا! سأريك من الأكبر والأقوى. تقدم!"

وهكذا سار الأرنب يتبعه الذئب حتى وصلا إلى بئر قديم مهجور.

- «هناك. (قال الأرنب مشيرًا إلى البئر) ذاك هو وجار الذئب الآخر، الأقوى منك والأرجح عقلا! كلما عليك القيام به هو النظر إلى البئر، وأنا متأكد من أنك ستراه هناك، يستريح بعد وليمته الأخيرة»

ما أن سمع الذئب هذا حتى قفز إلى جدار البئر وتمعن في قعره المظلم ثم قال:

- «لا أرى شيئًا، المكان هناك شديد الظلام!»

- "عليك أن تنظر عن كثب، لأنني متأكد من وجوده هناك. ضع رأسك كله في البئر وسوف تراه يبادلك النظر"

انحنى الذئب ودلّى رأسه في البئر. وبعد لحظات قليلة، عندما تكيفت عيناه على الظلام، رأى انعكاس صورته على صفحة الماء فظن أن الذئب الثاني المزعوم ينظر اليه»

- «آها! الآن رأيتك، أيها الجبان!» صاح الذئب متحديًا. ولم يكد يفعل ذلك حتى رجع صدى صوته من أعماق البئر.. أيها الجبااان!

- "هل وصفتني بالجبان. كيف تجرؤ أيها الوغد؟ أخرج الي وسنرى من منا الجبان!" غير أن البئر ردد صدى الكلمات الأخيرة.. مننا الجبااان!

قال الأرنب الذي كان يشهد جدال الذئب مع صورته في الماء:

- «لا أعتقد بأنه سيخرج إليك، لأن الذئب الأكبر والأشرس هو من ينبغي عليه مهاجمة الذئب الأصغر والأجبن، بطبيعة الحال»

حالما سمع الذئب هذا الكلام قفز إلى البئر دون تردد. لكنه لم يكن يجيد السباحة أو تسلق الجدران فعلق هناك حتى نفق. وهكذا تخلصت حيوانات الوادي من الذئب الشرير بفضل ذكاء الأرنب الصغير الضَعيف.

(عن الانكليزية)

الدرويش الفقير

كان يا ما كان في قديم الزمان، كان هناك درويش جوّال ذو قدر عظيم من التقوى والإيمان. مضت على الدرويش أيام وهو يهيم متضورا في الفيافي والقفار باحثا عن أية لقمة تسد رمقه. وفجأة أبصر كيس فاكهة خاليا ألقاه أحدهم على قارعة طريق قديم مهجور فانحنى والتقطه وألقاه على كتفه وهو يهتف بصوت عال:

- «الحمد لله الذي أعطى رجلا جائعا كيس فاكهة فارغا!»

واصل الدرويش المسير، وبعد ساعات عثر على قوس صيد قديم مقطوع الوتر فالتقطه ووضعه في كيسه وهو يقول:

- «الحمد لله الذي وهب رجلًا جائعًا قوسًا مقطوع الوتر!»

ثم مضى في طريقه، وبعد مدة رأى شجرة قديمة ميتة عارية من الثمار فكسر بضعة فروع جافة منها ووضعها في كيسه وهتف مرة أخرى:

- «الحمد لله الذي قاد رجلا يتضور جوعًا إلى شجرة فاكهة ميتة!»

ومشى قليلا بعد فإذا به يجد وعاء طهي قديم مرميا على الأرض، فالتقطه ونفض الغبار عنه ووضعه في كيسه وهو يردد:

- «الحمد لله على إعطائه رجلا جائعا وعاءً قديما مليئا بالغبار!»

ثم مضى في دربه فإذا به يعثر على صنّارة لصيد السمك لكنها من غير عصا أو خيط فالتقطها ووضعها في كيسه قائلا كما في كل مرة:

- «الحمد لله الذي منح رجلا جائعا صنارة صيد دون عصا وخيط!»

أخيرا، وبعد أيام من المسير، انتهى الدرويش العجوز إلى نهر يبلغ من السعة بحيث لم يستطع رؤية ضفته الأخرى فجثا على ركبتيه وهتف قائلا:

- «الحمد لله الذي قاد خطى رجل يتضور جوعا إلى نهر كبير لدرجة أنه لا يستطيع أن يأمل في عبوره!»

ثم قام فربط الصنارة إلى وتر القوس المقطوع وربط الطرف الثاني من الوتر إلى طرف القوس وألقى الصنارة في الماء فإذا به يصطاد سمكة كبيرة فوضعها في الوعاء القديم وطبخها على نار أوقدها من فروع الشجر اليابسة التي كان يحملها معه وأكل حتى شبع.

(عن الانكليزية)

الفلاح الأجير وكنز الملك

كان يا ما كان في قديم الزمان. كان هناك فلاح أجير فقير يدعى عبد الكريم يعيش مع طفليه وزوجته زيبا(وتعني الجميلة) في وادٍ معزول تحيط به التلال وتغطي أرجاءه البساتين الجميلة بأشجارها المثقلة بالخوخ والعنب والتوت وغيرها من الفواكه اللذيذة.

كان عبد الكريم مجرد عامل فقير على الأرض، ولم يحصل يوما على أي أجر نقدي سوى الحبوب والقماش اللذين يقدمهما له مالك الأرض بما يكفي حاجة أسرته الصغيرة، أما النقود فلم يكن يعرف عنها إلا اسمها!

في أحد الأيام كان مالك الأرض سعيدًا جدًا بعمل عبد الكريم فنفحه عشرة ريالات دفعة واحدة. بدت تلك الريالات للأجير الفقير مبلغًا كبيرًا، فركض إلى كوخه وقال لزوجته:

- «انظري يا زيبا، هذه الثروة كلها لك!»

ونثر المال أمامها على الطاولة، ففرحت زوجته وأطفاله أيما فرح. ثم سألهم عبد الكريم:

- «كيف سننفق هذا المبلغ العظيم؟ أعتقد بأنني سأذهب أولا إلى مدينة مشهد الشهيرة التي لا تبعد كما يقولون سوى عشرين ميلاً من هنا، وبعد أن أخمس مالي بأن أضع ريالين على ضريح الإمام الرضا سأزور السوق وأشتري لكم ما تشتهون»

قالت زوجته زيبا:

- «حبذا لو اشتريت لي قطعة من الحرير لأخيط منها ثيابا جديدة»

وقال ابنه الصغير يوسف:

- «أريد فرسا وسيفا»

أما فاطمة ابنته فقالت:

- «أود أن أحظى بمنديل هندي وزوج من النعال الذهبية»

- "كل هذا سيكون عندكم بحلول ليلة الغد!"

قال الأب بثقة والتقط عصا المسير الطويلة وانطلق على الفور في رحلته.

وهو ينزل صوب السهل من الجبال التي تشرف عليه، رأى عبد الكريم من بعيد مدينة مشهد التي طالما سمع عنها وتمنى زيارتها، فتملكه العجب من منظر القباب الرائعة وسقوفها المذهبة ومآذنها العالية التي تدعو الناس للصلاة. وعندما وصل إلى بوابة المزار سأل سادنا عجوزا إن كان بإمكانه أن يدخل فأجابه:

- «نعم يا ولدي. أدخل واعطِ ما يمكنك إعطاءه للمسجد، وسوف يجازيك الله»

شق عبد الكريم طريقه عبر الرواق الكبير المحتشد بالزائرين القادمين من كل الأرجاء، ونظر بعين الدهشة إلى ثروات الضريح والمجوهرات والسجاد النفيس والحرير والحلي الذهبية، ثم انحنى بتواضع ووضع قطعتين من النقود على الضريح المقدس محتفظا لنفسه بثمانية ريالات فقط.

ثم مضى في طريقه عبر الشوارع المزدحمة الصاخبة حتى وصل إلى السوق الكبير، فرأى باعة الفاكهة متجمعين في مكان، وباعة القدور والأواني في مكان آخر، ثم مر بتجار المجوهرات والخبازين والجزارين (وكل تجارة لها مكان خاص بها في السوق الكبير) حتى وصل إلى باعة الحرير.

دخل عبد الكريم أحد محلات الحرير وطلب رؤية بعض البضائع، وبعد كثير من التقليب والتفحص اختار قطعة رائعة من الحرير الأرجواني المطرز بمهارة فقال للبائع:

- «سوف آخذ هذه. ما السعر؟»

- "سأكتفي بمئتي رِيال فقط، لأنك زبون جديد. أنا في العادة لا أقبل بأقل من ثلاثمئة أو أربعمئة من واحد غيرك"

- "مئتا رِيال! (كرر عبد الكريم في دهشة) من المؤكد أنك ارتكبت خطأ ما. هل تقصد ريالات مثل هذه؟"

وأخرج أحدها من جيبه. فأجابه صاحب المتجر:

- «نعم بالتأكيد. ودعني أخبرك بأن هذا أرخص سعر يمكن أن تجده»

وعندما قال له عبد الكريم بأنه لا يملك غير ثمانية ريالات، وبأن عليه أن يشتري حصانًا وسيفًا ومنديلًا هنديًا ونعالا ذهبيا إضافة الى الحرير، غضب التاجر وألقى به خارج المحل وهو يصيح:

- «ها أنا ذا أهدر وقتي وأجعّد حريري الثمين من أجل أحمق مثلك! أغرب عن وجهي!»

ومضى عبد الكريم وهو مجلل بالخزي والخيبة، نحو سوق الخيول ليجد أن أرخص حصان يكلف مئتين وخمسين ريالا. أما تجار الخيول فقد سخروا منه عندما وجدوا أنه لا يحمل غير ثمانية ريالات فقط، بينما اقترح عليه واحد منهم أن يشتري لابنه الصغير جزءا من ستة عشر جزء من حمار!

وكذلك الحال مع السيف إذ وجد أن سعره لا يقل عن ثلاثين ريالاً. بينما بلغ سعر زوج من النعال الذهبية مئات من الريالات، وأخيرا فإن سعر المنديل الهندي (وكان أرخصها جميعا) لم يكن ليقل عن اثني عشر ريالا!

قرر عبد الكريم، وقد أخذ منه الحزن والتعب كل مأخذ، أن يعود إلى بيته كما جاء، فصادف وهو في طريقه متسولا جالسا على قارعة الدرب يناديه بصوت باكٍ متوسل:

- «صديقي العزيز، أعطني شيئا لوجه الله. غدا هو الجمعة ومن يُعْطِ الفقرَاء فكأنما يقرض ربه قرضا حسنا ولسوف يدفع الله له أضعافا مضاعفة»

- "من بين كل الرجال الذين التقيتهم اليوم، أنت الوحيد الذي أستطيع عقد صفقة معه!"

قال عبد الكريم الساذج الذي ضاق ذرعا بالمال.

- «هاك. بقيت عندي ثمانية ريالات. خذها وأنفقها لوجه الله، لعلني أستعيدها فعلاً مئة ضعف ذات يوم!»

أخذ المتسول الريالات وعقد عليها وهو يعد عبد الكريم بأن ينال مئات أضعافها بكل تأكيد.

مع المغيب صار عبد الكريم على مرمى نظر من كوخه، فركض يوسف الصغير الذي كان يتطلع بشوق لعودته، ركض لاهثا لمقابلته وصاح:

- «أين حصاني وسيفي يا أبي؟»

وسألته فاطمة التي خرجت هي الأخرى لاستقباله:

- «وأين منديلي والنعال الذهبية؟»

أما زيبا فقد تساءلت عن قطعة الحرير الصغيرة التي طلبتها منه، وغضبت كثيرا حين سمعت قصته، لاسيما منحه الريالات الثمانية للمتسول، فسارت إلى مالك الأرض لتشكو اليه من زوجها.

استشاط المالك غضباً وصرخ:

- «ماذا؟ هل وهب هذا الأحمق ريالاته للمتسول؟ أرسليه إلي في الحال!»

وعندما مثل أمامه خاطبه المالك بازدراء:

- «أيها الغبي، هل حسبت نفسك واحدا من كبار المحسنين؟ أنا نفسي لا أعطي للمتسولين أكثر من قطعة نحاسية صغيرة، لكن صاحب السعادة ينفحهم الريالات الفضية!»

ثم أمره، كعقوبة له، بأن يذهب إلى البرية ويحفر بئرا ولا يعود حتى يتدفق منه الماء! عمل عبد الكريم لأيام وأيام تحت الشمس الحارقة حتى حفر بئرا عميقة، وعثر في هذه الأثناء على جرّة من النحاس، منقوشة بتصاوير بديعة ومليئة بالجواهر البراقة والأحجار الكريمة المبهرة، لكنه، لفرط سذاجته، لم يعرف قيمة الكنز الذي وجده، غير أنه تذكر أنه رأى قطعًا جميلة من الزجاج مثل هذه تباع في مشهد، فقرر أن يزور المدينة في أول فرصة ويأخذ الحجارة معه.

ولم يكن عليه الانتظار طويلاً، إذ أنه لم يلبث أن عثر على الماء بعد أشبار قليلة مما أسعد المالك الذي أعطاه استراحة يستحقها.

بجيب مليء بالجواهر ذهب الرجل مباشرة إلى المتجر الذي شاهد فيه مثل هذه الأحجار، ودنا من الصائغ الجالس عند مدخل دكانه وهو يدخن نارجيلته بهدوء وسأله مشيراً إلى الجواهر المعروضة في نافذة الدكان:

- «هل تريد شراء أحجار مثلها؟»
- "نعم. هل لديك واحدة"
- "جيبي مليء بها"
- "لا بد أن جيبه مليء بالحصى"

قال الصائغ لنفسه. ولكن عندما أظهر له عبد الكريم كل ما يحمله عقدت الدهشة لسانه وترك المتجر بعهدة صبيّه وسارع إلى استدعاء رجل الشرطة.

- «من الواضح أن هذا الرجل ليس سوى لص! (صاح الصائغ) إن جيوبه مليئة بالماس والياقوت والزمرد واللآلئ الباهظة الثمن. لا بد أنه عثر على كنز عائد للملك وهو يحاول بيعه!»

وكان الأمر كما قال، إذ أن قانون المملكة كان ينص على أن كل الكنوز التي يعثر عليها تصبح فورا ملكا للملك. لكن عبد الكريم لم يكن يعرف شيئًا عن ذلك. وهكذا شرعوا بتفتيشه فاكتشفوا الجواهر والأحجار الكريمة التي بحوزته فقيدوه وارسلوه هو وعائلته كلها إلى العاصمة تحت حراسة مشددة لإجراء مزيد من التحقيقات.

وبينما تجري هذه الاحداث، دأب الملك، لثلاث ليال متتالية، على رؤية النبي وهو يزوره في الحلم وينظر إلى عينيه بثبات ويقول له:

- «يا عباس يا عباس! عليك أن تحمي صديقي وخادمي!»

غير أن الملك لم يجرؤ على إجابته إلا في الليلة الثالثة حين سأله في خشوع:

- «ومن هو صديقك وخادمك يا سيدي ومولاي؟»

- "إنه الفلاح الأجير الذي زكى ماله ووهب خمس ما يملك لضريح مشهد،على الرغم من فقره المدقع، وها هو الآن يجرجَر راسفا في الأغلال صوب مدينتك لأنه عثر، كما يقولون، على كنز عائد للملك"

ما أن طلع الصباح حتى انطلق الملك في رحلة دامت ليومين حتى التقى بعبد الكريم في منتصف الطريق. فرأى أولاً مئة فارس مدججين بالسلاح، ثم أقبل عبد الكريم المسكين جالسا على جمل وذراعاه مقيدتان بإحكام. ومن خلفه طفلاه وأمهما وهم يبكون. وبعدهم الجنود المشاة الذين يحرسون الكنز. أوقف الملك الجمل وجعله يجثو أمامه ثم تقدم من عبد الكريم وفك قيوده والدموع تنهمر على خديه. فركع المسكين أمام الملك وتوسل إليه ليرحم أهله:

- «إذا سجنتني يا مولاي فالأمر لك ولكن دع هؤلاء الأبرياء يذهبون لحال سبيلهم!»

رفع الملك عبد الكريم من الأرض وعانقه قائلا:

- «لقد خرجت لتكريمك لا لسجنك. لسوف تعود إلى مقاطعتك بعد أن تستريح قليلا من عناء السفر، لا بصفة سجين، بل بصفة رجل ثري! (وأضاف مبتسما) أما ثوب الحرير الذي طلبته لزيبا، وحصان يوسف وسيفه، ومنديل فاطمه ونعلاها الذهبيان فقد أعدّت بالفعل!»

وكان الملك قد قرأ تلك التفاصيل في تقرير رئيس الشرطة المرسل اليه.

وهكذا عادت تقوى الرجل الفقير وحبه للخير عليه، لا بمئة ضعف بل أكثر بكثير مما حلم به في يوم من الأيام!

(عن الانكليزية)

حكايات إيطالية

الإسكافي

في قديم الزمان عاش إسكافي فقير سئم من ترقيع الأحذية فقال لنفسه:

- «سأذهب وأبحث عن الثروة والحظ»

كان قد اشترى قليلا من الجبن ووضعه على الطاولة. لكن سرعان ما امتلأ الصحن بالذباب فأخذ حذاءً قديمًا وضرب به الجبن وقتل كل الذباب. ثم عدها بعد ذلك فاكتشف بأنه قتل منها خمسمئة وجرح اربعمئة، فتقلد سيفا ولبس قبعة مائلة وذهب إلى البلاط وقال للملك:

- «أنا زعيم محاربي الذباب. لقد أرديت منه خمسمئة وجرحت أربعمئة»

أجابه الملك:

- «بما أنك محارب ذو بأس، فأنت شجاع بما يكفي لتسلق ذلك الجبل هناك، حيث يعيش ساحران شريران وتقتلهما. إذا فعلت ذلك فسوف أزوجك ابنتي»

ثم أعطاه راية بيضاء ليلوح بها عندما يقتلهما وقال له:

- «انشر الراية وانفخ في البوق إذا تمكنت منهما، وضع رأسيهما في كيس لتريني إياهما»

غادر الإسكافي متوجها إلى مكان الساحرين ووجد في طريقه منزلاً كان يتخذ فندقا. لم يكن صاحب الفندق وزوجته سوى الساحر وامرأته. طلب منهما المبيت والطعام وكل ما يحتاجه. ثم توجه إلى غرفته. لكنه، قبل أن ينام، نظر إلى السقف فرأى حجرا كبيرا يتدلى بحبل فوق السرير فغادر الفراش ونام في زاوية الغرفة. وعندما دقت الساعة المحددة أفلت الساحران الحبل فسقط الحجر وسحق السرير وسوّاه بالأرض. في صباح اليوم التالي نزل الإسكافي من الغرفة وشكا من إنه لم يستطع النوم بسبب الضوضاء، فوعداه بتغيير الغرفة.

حدث الشيء نفسه في الليلة التالية، فوعداه مجددا في الصباح بتحويله إلى غرفة ثالثة عندما يعودان إلى المنزل ثم خرجا إلى الغابة لقطع الحطب. وعندما عاد الساحر أولا إلى بيته قال له الإسكافي:

- «دعني أساعدك على انزال حزمة الحطب من ظهرك»

وما أن أدار له الساحر ظهره حتى نزل عليه الاسكافي بضربة عاجلة من منجل كان قد خبأه بين ثيابه فقطع رأسه، ثم عاد وفعل الشيء نفسه بزوجته عندما عادت. ثم رفرف العلم ونفخ في البوق فخرج الناس لاستقباله فرحين مستبشرين. وعندما وصل إلى قصر الملك قال له الأخير:

- «الآن وقد قتلت الساحرين فسوف تتزوج ابنتي»

لكن الإسكافي اعتاد على سحب خيوط الترقيع بقوة حتى صار يفعل ذلك أثناء نومه، فظل يضرب زوجته النائمة بقربه حتى سلبها الراحة.

عندها أعطاه الملك مبلغًا كبيرًا من المال وأعاده إلى بيته!

(عن الانكليزية)

الأمير الذي عشق تمثالًا

يحكى أن ملكا كان لديه ولدان. كان الأكبر منهما عازفا عن الزواج، أما الأصغر فلم يجد فتاة تناسب ذوقه مع أنه بحث في كل مكان. ثم حدث أنه ذهب ذات مرة إلى إحدى المدن ورأى تمثالًا رائعا لفتاة جميلة فوقع في حبه على الفور واشتراه وحمله إلى غرفته، وصار يعانقه ويقبله كل يوم.

ذات يوم علم أبوه بذلك فقال له:

- «ما هذا الذي تفعله؟ إن أردت زوجة فخذ واحدة من لحم وعظم لا من رخام»

فأجابه الولد بأنه أما أن يتزوج واحدة مثل التمثال تمامًا، أو لن يتزوج بتاتا. خرج شقيقه الأكبر، الذي كان يحب أخاه كثيراً، ولم يكن لديه ما يفعله في ذلك الوقت، ليطوف العالم بحثا عن الفتاة التي يريدها أخوه. في طريقه رأى في إحدى المدن رجلاً لديه فأر يرقص كما الإنسان، فقال في نفسه:

- «سآخذه إلى البيت كي يتسلى به أخي»

ثم واصل رحلته حتى وصل إلى بلدة بعيدة وجد فيها طائرًا يغني كالملاك، فاشتراه لأخيه أيضًا. كان على وشك العودة إلى مدينته عندما مر في أحد الشوارع فرأى متسولًا يطرق بابا فتظهر على النافذة فتاة رائعة الحسن والجمال وتشبه من جميع النواحي التمثال العائد لشقيقه. لم تطل الفتاة كثيرا وانسحبت إلى غرفتها سريعا فطلب الأمير من المتسول أن يطرق الباب ويطلب الصدقة مرة أخرى. لكن المتسول رفض أن يفعل ذلك لأنه يخشى أن يعود مالك البيت (وكان ساحرا) إلى منزله فيراه ويلتهمه. لكن الأمير نفحه الكثير من المال حتى اقتنع بأن يطرق الباب من جديد. وهكذا ظهرت الفتاة مرة أخرى ثم انسحبت بسرعة.

قرر الأمير أن يدور في الشوارع مدعيا أنه يصلح المرايا ويبيعها فسمعته خادمة الفتاة وشجعت سيدتها لتنزل وترى المرايا، فنزلت اليه بالفعل. غير أنه أخبرها بأن عليها، إن أرادت اختيار مرآة على ذوقها، أن تصعد على متن سفينته وتتفرج على بضاعته. وما أن صارت هناك حتى حملها بعيدًا. بكت الفتاة بمرارة وتوسلت اليه حتى يسمح لها بالعودة إلى بيتها، لكن الأمر كان أشبه بالتحدث إلى جدار.

عندما توسطوا البحر رأى الأمير طائرا كبيرا فاحم السواد وهو يحلق فوق السفينة وينادي:

- «يا چيريو، يا چيريو .يا له من فأر جميل! ستأخذه لأخيك فتثير ذهوله. لكن إن تكلمت ستتحول إلى تمثال من رخام!»

ثم عاد وناداه:

- «يا چيريو، يا چيريو .يا له من طائر جميل! ستأخذه لأخيك فتثير ذهوله. لكن إن تكلمت ستتحول إلى تمثال من رخام!»

وعاد مرة ثالثة ليقول:

- «يا چيريو، يا چيريو .يا لها من فتاة جميلة! ستأخذها لأخيك فتثير ذهوله. لكن إن تكلمت ستتحول إلى تمثال من رخام!»

لم يعرف الأمير الكبير كيف يحدث أخاه عما جلبه لأنه كان يخشى أن يتحول إلى رخام. وعندما رست سفينته أخذ الفأر إلى أخيه. فلما رآه ورغب به أمسكه الأخ الكبير وقطع رأسه! ثم أراه الطائر الذي يغني مثل الملاك، فأراده أخوه. لكنه قطع رأسه كما فعل مع الفأر. ثم قدم له الفتاة الجميلة التي تشبه التمثال. ولأن الأخ الأكبر الذي أحضرها لم يقل شيئًا، خشي الآخر من أن يستأثر بها، فدفعته الغيرة إلى أن يتآمر على أخيه ويتسبب في سجنه. ومرت سنوات طوال واعتلى الأخ الأصغر العرش بينما مكث الكبير في سجنه، صامتا لا ينبس ببنت شفة. وكان استمراره في الصمت مدعاة لتعاظم الشكوك حوله حتى وصل الأمر إلى إصدار حكم بإعدامه. وقبل ثلاثة أيام من تنفيذ الحكم طلب مقابلة شقيقه فوافق الأخير وإن كان مكرها. وتحدث اليه الأخ المدان قائلا:

- لقد أخبرني طائر أسود كبير أنني إذا اعطيتك الفأر الراقص ثم فتحت فمي وتحدثت فسوف أتحول إلى تمثال من رخام.

وما أن نطق بذلك حتى تحجر جسمه حتى الخصر. ثم واصل الكلام:

- وإذا أحضرت لك الطائر المغني ثم تكلمت فسوف يحدث الشيء نفسه.

عندها صار تمثالا حتى صدره. وأخيرا قال له:

- وإذا جئت إليك بالفتاة ثم تكلمت فسوف اتحول إلى تمثال من الرخام.

وعندا تحول إلى تمثال من رأسه حتى أخمص قدميه. ندم الأخ الصغير على ما فعل وأخذ يبكي ويندب ويحاول إعادته إلى الحياة بأي ثمن. وتوافد كل أطباء المملكة لكنهم فشلوا جميعا حتى جاء أخيرا شخص قال إنه قادر على تحويل التمثال إلى رجل بشرط أن يوفروا له ما يحتاج إليه. وافق الملك ووعده بأنه سيفعل ذلك، فطلب الطبيب دم طفلي الملك الصغيرين! لكن الأم لم تكن لتوافق بأي شكل من الأشكال.

بعد فترة أقام الملك حفلة في القصر. وبينما كانت الملكة منشغلة بالرقص أمر بقتل الطفلين وغسل تمثال أخيه بدمهما، وفي الحال عاد التمثال رجلاً وتوجه إلى الحفل. وعندما رأته الأم فكرت فجأة في أطفالها فركضت إليهم ووجدتهم نصف ميتين فأغمي عليها. سعى كل من حولها إلى مواساتها وتشجيعها؛ فلما فتحت عينيها ورأت الطبيب صرخت:

- «أغرب عن وجهي أيها البائس القبيح! أنت من تسببت بقتل طفليّ»

فأجابها:

- «عفوا يا سيدتي، أنا لم أتسبب بأي ضرر. اذهبي وانظري إلى طفليك!»

ركضت الملكة كي تراهما فوجدتهما حيين يلعبان ويحدثان ضجة كبيرة. ثم قال الطبيب:

- «أنا الساحر، والدك الذي هجرتِه وتخليتِ عنه. لقد أرت أن أريك ما معنى حب الآباء للأبناء!»

ثم تصالح الجميع وعاشوا في سعادة وهناء.

(عن الانكليزية)

الدلو

يحكى أن امرأة كان لديها ابنتان: إحداهما سيئة الخلق والأخرى طيبة ومؤدبة غير أن الأم كانت تحب السيئة وتفضلها على الطيبة. ذات يوم قالت للبنت السيئة:

- «اذهبي واجلبي من البئر دلوًا من الماء»

لكنها لم تكن تريد الذهاب فلم تطع والدتها. فانبرت الابنة الطيبة وقالت:

- «سأذهب أنا وآتيك بالماء»

وذهبت لتأتي بالماء فسقط الدلو في البئر. خافت البنت وقالت:

- «إذا عدت إلى المنزل من دون الدلو، فمن يدري ماذا ستفعل بي أمي؟»

لذلك نزلت إلى البئر فوجدت في قعره ممرًا ضيقًا له باب صغير فطرقته وقالت:

- «هل عثرتم على حبل ودلو؟»

فأجابها قديس كان هناك:

- «لا يا بنيتي»

ثم واصلت طريقها ووجدت بابًا آخر ونادت:

- «هل عثرتم على حبل ودلو؟»

- "كلا" أجابها الشيطان من الداخل وهو غاضب منها لكونها فتاة طيبة، ولم يقل لها يا ابنتي.

ثم طرقت بابًا آخر:

- «ألم تجدوا حبلا ودلوًا؟»

فكانت السيدة العذراء (المادونا) هي المجيبة:

- «نعم يا طفلتي. اسمعي، يمكنك أن تسعديني بالبقاء هنا أثناء غيابي. سأترك معك ابني الصغير، ستقدمين له حساءه وتمسحين المنزل وترتبيه. وعندما أعود إلى البيت سأعطيك دلوك»

ثم غادرت المادونا البيت فأطعمت الفتاة الطيبة الطفل وشرعت بترتيب المنزل وكنسه. وبينما هي تكنس عثرت، بدلاً من الأوساخ، على در ومرجان وأشياء جميلة أخرى. وعندما رأت أنها ليست أوساخا وضعتها جانباً كي تعطيها للمادونا عند عودتها. وحين عادت سألت الفتاة:

- «هل فعلت كل ما طلبت منك؟»

- "نعم (أجابت الفتاة الطيبة) لكنني احتفظت بهذه الأشياء. لقد وجدتها على الأرض. إنها ليست أوساخا"

- "ممتاز! احتفظي بها لنفسك. هل ترغبين بفستان من القطن، أم فستان من الحرير؟"

- "لا ، لا! يكفيني فستان من القطن"

لكن المادونا أعطتها فستانا من الحرير ثم سألتها:

- «هل ترغبين بكشتبان نحاسي أم بكشتبان فضي؟»

- "أعطيني النحاسي إن سمحت"

- "لا، خذي الكشتبان الفضي. ها هو دلوك وحبلك. عندما تصلين إلى نهاية هذا الممر ارفعي رأسك وانظري في الهواء"

خرجت الفتاة وفعلت ذلك فسقطت نجمة جميلة على جبينها. ولما عادت إلى البيت هرعت والدتها لمقابلتها وتوبيخها لأنها تأخرت كل هذا الوقت، وكانت على وشك أن تضربها حين رأت على جبينها النجمة التي كانت تلتمع وتسر الناظر، فسألتها:

- «أين كنت حتى الآن؟ من وضع هذا الشيء على جبهتك؟»

- "لا أعرف ماذا على جبيني؟"

حاولت والدتها غسلها ومحوها لكنها، بدلاً من أن تختفي، ازدادت تألقا وإشراقا. ثم قصت الفتاة ما حدث لها فأرادت الأخت الأخرى الذهاب إلى هناك أيضًا. فتوجهت نجو البئر وفعلت كما فعلت أختها، تركت الدلو يسقط ثم نزلت وطرقت باب القديس:

- «ألم تجد حبلاً ودلوًا؟»

- "لا يا طفلتي"

ثم طرقت الباب المجاور:

- «ألم تعثر على حبل ودلو؟»

أجاب الشيطان:

- «لا، لم أجدهما. لكن تعالي إلى هنا. أدخلي يا طفلتي»

لكنها عندما سمعت بأنه لم يعثر على دلوها قالت له:

- «لا، سأستمر في البحث»

وطرقت باب المادونا:

- «ألم تجدي حبلاً ودلوًا؟»

فأجابت المادونا بأنها فعلت. ثم قالت لها:

- «أنا ذاهبة الى الخارج. ستطعمين ابني حساءه ثم تكنسين المنزل، وعندما أعود سأعطيك دلوك»

لكن الفتاة السيئة التهمت الحساء بدلاً من أن تطعمه للطفل ثم قالت:

- «يا له من حساء لذيذ!»

ثم قامت لتكنس فوجدت قدرًا كبيرًا من الأوساخ.

- «آه، كم أنا مسكينة! لقد وجدت أختي الكثير من الأشياء الجميلة لكنني لم أجد سوى الأوساخ»

وحين عادت المادونا سألتها:

- «هل فعلت ما طلبت منك؟»

- "نعم"

- "هل ترغبين بكشتبان من نحاس أم فضة؟"

- "أوه! أريد الفضي!"

فأعطتها المادونا كشتبانا من النحاس وعادت لتسألها:

- «هل تريدين فستانا من القطن أم من الحرير؟»

- "أعطيني فستان الحرير"

فأعطتها فستانا من القطن وقالت لها:

- «خذي دلوك وحبلك. عندما تصلين إلى نهاية هذا الممر ارفعي رأسك وانظري في الهواء»

وما أن خرجت ونظرت إلى الأعلى حتى سقطت على جبينها كتلة من القاذورات لطخت وجهها بالكامل. عادت إلى المنزل في حالة من الغضب لتبكي وتوبخ أختها لأنها حصلت على نجمة، بينما كانت حصتها تلك القاذورات على وجهها. حاولت والدتها أن تغسل وجهها وتفركه، لكن الأوساخ ازدادت بدلاً من أن تزول. عندها قالت الأم:

- «الآن فهمت. لقد فعلت مادونا هذا لتظهر لي أنني أحببت الفتاة السيئة وأهملت الفتاة الطيبة»

(عن الانكليزية)

الصديقان الأحدبان

في مدينة بارما[1] عاش صديقان أحدبان، لكن حدبة أحدهما أكبر من حدبة صاحبه. كانا فقيرين إلى درجة أنهما لا يملكان فلسا واحدًا. ذات يوم قال أحدهما للآخر:

- «سأخرج إلى الدنيا في طلب الرزق، ليس لدينا ما يؤكل؛ إننا نموت من الجوع. أريد أن أرى أن كنت قادرًا على تحصيل بعض المال»

فقال الثاني:

- «اذهب في أمان الله. إذا ما جمعت مالا وفيرا فعد إلى هنا كي أذهب وأرى إن كنت، انا الآخر، موفقا في ذلك»

انطلق الأحدب الأول في رحلته. وبعد أن قطع مسافة طويلة وصل إلى ساحة فيها سوق مفتوح يباع فيه كل ما يخطر بالبال. رأى الأحدب رجلًا يبيع الجبن وينادي:

- «هلموا، كلوا القليل من البارميزان- أي القادم من بارما»

ظن الأحدب المسكين أنهم يقصدونه لم يخطر بباله أنهم يعنون جبنة البارميزان فهرب واختبأ في أحد الأفنية. وعندما دقت الساعة الواحدة، سمع صليل السلاسل وتكررت كلمات «السبت والأحد» عدة مرات.[2]

فصاح من مخبئه:

- «والاثنين.. آه يا إلهي!»

تساءل المنشدون:

- «من هذا الذي تجاوب مع قافية النشيد؟»

وفتشوا فوجدوا الأحدب المسكين مختبئًا.

- «أيها السادة! (توسل اليهم وهو يظنهم يريدون عقابه) لم آت إلى هنا لألحق ضررا!»

- "حسنا! لقد جئنا لنجازيك. فقد نطقت بالكلمات التي تعوز النشيد. تعال معنا!"

ثم مددوه على طاولة وأزالوا حدبته وعالجوه وأعطوه حقيبتين من النقود وقالوا له:

- «الآن يمكنك الذهاب:

فشكرهم وغادرهم وقد تخلص من حدبته التي كان قد اعتادها حتى صار يحبها. هل تصدقون؟!

عاد الرجل إلى مدينته بارما، وعندما رآه الأحدب الآخر صاح:

- «ألا يبدو هذا مثل صديقي؟ لكن ذاك كان بحدبه! لا ليس هو!»

ثم ناداه:

- «اسمع! أنت لست صديقي فلان، أليس كذلك؟»

- "بلى إنه أنا!"

- "ولكن ألم تكن أحدب؟"

- "بلى، لكنهم أزالوا حدبتي وأعطوني حقيبتين من النقود. سأخبرك كيف حدث هذا: لقد وصلت إلى المكان الفلاني وسمعتهم ينادون، "كلوا القليل من البارميزان! كلوا القليل من البارميزاني! فظننت أنهم يقصدونني لا جبنة البارميزان فانتابني الهلع واختبأت في أحد الأفنية (وذكر المكان بالضبط) وفي ساعة معينة، سمعت صليل القيود وجوقة تغني: "السبت والأحد". فصحت من مخبئي مرتين أو ثلاثا "والاثنين" فجاؤوا الي وأخرجوني من مخبئي وشكروني لأنني نطقت بما كان يعوزه نشيدهم، وأرادوا مكافأتي فأخذوني وأزالوا سنامي وأعطوني حقيبتين من النقود

- "آه، يا إلهي! أريد أن أذهب إلى هناك أيضًا!"

- "اذهب أيها المسكين، اذهب! صحبتك السلامة!"

وصل الاحدب إلى المكان واختبأ بالضبط حيث كان رفيقه. بعد برهة سمع صليل السلاسل وجوقة تنشد «السبت والأحد!» ثم تتجاوب معها جوقة أخرى: «والاثنين!»

وعندما سمعهم الأحدب يرددون "السبت والأحد والاثنين!" أضاف عليهم "والثلاثاء!" وكررها عدة مرات فصاحوا غاضبين:

- «من هذا الذي أفسد إنشادنا؟ إذا عثرنا عليه سنمزقه إربًا إربا!!»

ولك أن تتخيل ما جرى! لقد واصلوا ضرب المسكين حتى كلّت أيديهم، ثم مددوه على المنضدة نفسها التي وضعوا عليها رفيقه وقالوا:

- « فلنلصق هذه الحدبة الثانية على مقدمته!»

ثم أخذوا حدبة رفيقه وخاطوها على صدره وطردوه وهم ينهالون عليه ضربا. وعندما عاد إلى مدينته رآه صديقه فصاح:

- «رحمتك يا إلهي! أليس هذا صديقي؟ لكن لا، لا يمكن أن يكون هو، لأن هذا أحدب من الصدر أيضا. اسمع، ألست صديقي؟»

- "بلى هو بعينه! (أجاب باكيًا) لقد كنا أضيق ذرعا بحدبتي لكن علي الآن أن أحمل حدبتك معها! وأن أتحمل ايضا كل أنواع الضرب والإهانة كما ترى!"

قال صديقه:

- «لا تقنط! هلم معي إلى المنزل، وسوف نعيش ونملأ بطوننا»

وهكذا كان الصديقان يتناولان الطعام معا كل يوم، ثم رحلا عن عالمنا، كما يخال لي!

(عن الانكليزية)

الهوامش

(1) عاصمة المقاطعة المسماة بنفس الاسم شمالي إيطاليا. تشتهر بعمارتها وسحر ريفها لكنها معروفة في العالم بسبب نسبة جبنة البارميزان اليها.

(2) هذه التفاصيل جزء من طقوس عيد الفصح في بعض البلدان.

كيف تزوج الشيطان ثلاث اخوات

في أحد الأيام تملكت الشيطان رغبة ملحة في الزواج. فغادر الجحيم، واتخذ شكل شاب وسيم، وبنى منزلًا كبيرًا رائعًا رتبه وأثثه على أحدث طراز. ثم قدم نفسه لأسرة لها ثلاث بنات جميلات، وخطب كبراهن. أعجبت الفتاة بالرجل الوسيم وقبلت به زوجًا، وكان والداها سعيدين برؤية ابنتهم تحظى بكل هذا الترف. ولم يمض وقت طويل حتى احتفلوا بالزفاف. وعندما أخذ عروسه إلى المنزل، قدم لها باقة من زهور مرتبة بذوق رفيع ووضعها على صدرها ودار بها في جميع غرف المنزل حتى وصلا أخيراً إلى باب مغلق. وعندها قال لها:

- «البيت كله تحت تصرفك، لكنني أطلب منك شيئًا واحدًا فقط وهو أن لا تفتحي هذا الباب بأي شكل من الأشكال»

وعدت الزوجة الشابة طبعا بأن تمتثل للأمر بإخلاص. لكن فضولها لم يكن يقل عن إخلاصها بالطبع، فلم يكن بإمكانها الصبر حتى اللحظة التي تخلف فيها وعدها. وما أن غادر الشيطان المنزل في صباح اليوم التالي بحجة الذهاب للصيد حتى جرت مسرعة إلى الباب الممنوع وفتحته فرأت هاوية رهيبة مليئة بألسنة النار التي انطلقت نحوها ولفحت الزهور التي في على صدرها. وعندما عاد زوجها إلى المنزل وسألها إن كانت قد أوفت بوعدها أجابت دون تردد «نعم»؛ لكنه عرف من خلال الزهور أنها تكذب فقال لها:

- «لن أختبر فضولك بعد الآن. تعالي معي وسأريك بنفسي ما وراء الباب»

عندئذ قادها إلى الباب وفتحه ثم دفعها بقوة حتى هوت في الجحيم، وأغلق الباب مرة أخرى.

بعد أشهر قلاقل استمال الأخت الثانية وحظي بها؛ لكن حدث معها كل ما حدث مع الزوجة الأولى بالضبط. وأخيراً تودد إلى الأخت الثالثة، وكانت فتاة حكيمة فقالت في نفسها:

- «لقد قتل شقيقتَيَّ بالتأكيد. ولكنه تحدٍ رائع بالنسبة لي. سوف أحاول أن أرى إن كنت أكثر حظا منهن»

لذلك وافقت على الزواج. وبعد الزفاف أهداها العريس باقة جميلة، لكنه منعها أيضًا من فتح الباب الذي أشار إليه.

لم تكن الفتاة الصغرى أقل فضولًا من أخواتها، فقد فتحت هي الأخرى الباب المحظور عندما ذهب الشيطان للصيد. لكنها كانت قد نقعت أزهارها مسبقا في الماء. وعندما رأت وراء الباب الهاوية القاتلة التي تتقلب فيها أختاها صرخت:

- «آه يا لي من مخلوقة تعيسة. لقد ظننت بأنني تزوجت رجلاً اعتياديًا فإذا به الشيطان بعينه! كيف يمكنني التخلص منه؟»

ثم مدت يدها لأختيها وأخرجتهما من النار وأخفتهما. وعندما عاد الشيطان إلى المنزل نظر على الفور إلى الباقة التي وضعتها مرة أخرى على صدرها، وعندما وجد الزهور طرية لم تمسسها النار لم يطرح أي أسئلة أخرى، بل اطمأن على سره، فقد صار الآن يحبها حقًا ولأول مرة.

بعد أيام قلائل طلبت منه أن يحمل لها ثلاثة صناديق إلى منزل والديها دون وضعها على الأرض أو الراحة في الطريق. ثم اشترطت عليه:

- «عليك أن تحافظ على كلمتك، لأنني سأراقبك»

وعد الشيطان أن يفعل ما أرادت بالضبط. فوضعت إحدى شقيقاتها في صندوق كبير وضعته في صباح اليوم التالي على أكتاف زوجها. كان الشيطان قويا جدًا لكنه كسول وغير معتاد على العمل. وسرعان ما تعب من حمل الصندوق الثقيل وأراد أن يستريح قليلا قبل أن يخرج من الشارع الذي يعيش فيه؛ فنادته امرأته:

- «لا تنزله. إنني أراك!»

استمر الشيطان في حمل الصندوق على مضض حتى استدارة الشارع ثم قال في نفسه:

- «إنها لا تستطيع رؤيتي هنا. سأرتاح قليلا»

ولكن لم يكد يهم بإنزال صندوقه إلى الأرض حتى صرخت الأخت التي في داخله:

- «لا تضعه على الأرض. ما زلت أراك!»

أطلق الشيطان لعنة، وجرجر الصندوق إلى شارع آخر، وكان يهم بوضعه على عتبة أحد الأبواب، لكنه سمع الصوت مرة أخرى:

- «لا تنزله أيها الوغد. ما زلت أراك!»

وتساءل الشيطان:

- «أي نوع من العيون تملكها زوجتي حتى ترى من وراء الزوايا وكأنها ترى ما أمامها مباشرة وأن تنظر من خلال الجدران كما لو كانت مصنوعة من الزجاج!؟»

وهكذا وصل إلى منزل حماته متعبا يتصبب عرقًا، فسلمها الصندوق على عجل، وسارع للعودة إلى المنزل ليتقوى بوجبة إفطار جيدة.

في اليوم التالي تكرر الأمر نفسه مع الصندوق الثاني. وفي اليوم الثالث، كان من المقرر أن تنقل هي الأخرى إلى بيتها. فأعدت دمية كبيرة ألبستها ثيابها ووضعتها في الشرفة بحجة أنها ستتمكن هكذا من رؤيته بشكل أفضل، ثم تسللت بسرعة إلى داحل الصندوق وجعلت الخادمة تضعه على ظهره.

- يا للشيطان! (قال مع نفسه) هذا الصندوق أثقل بكثير من الصندوقين الأخرين. لكنني سأحظى بفرصة أقل للراحة لأنها جالسة في الشرفة. وهكذا بذل جهدا عظيما وحملها دون توقف إلى حماته ثم أسرع إلى المنزل لتناول الإفطار وهو يتذمر وظهره يكاد ينقصم. لكن زوجته لم تخرج لاستقباله، ولم يجد فطوره جاهزاً فصاح:

- "مارجريتا، أين أنت؟"

لكنه لم يتلق جوابا فراح يجري في الممرات باحثا عنها، وعندما نظر من النافذة رأى الدمية على الشرفة فهتف بها:

- «مارجريتا، هل نمتِ؟ انزلي. أنا متعب مثل كلب، وجائع مثل ذئب!»

لكنه لم يسمع رداً فصرخ غاضبًا:

- «إذا لم تنزلي فورًا فسوف أصعد وانزلك عنوة»

لكن مارجريتا لم تحرك ساكنا فاتقد غضبه وأسرع إلى الشرفة وأعطاها لكمة قوية على أذنها فطار رأسها. فإذا به يكتشف أن الرأس لم يكن سوى رأس دمية لعرض القبعات أما الجسد فعبارة عن حزم من الخرق. واندفع هائجًا ونزل السلالم وفتش المنزل كله. لكن عبثًا. إذ لم يجد سوى علبة مجوهرات زوجته الفارغة.

- «الويل لها! (صاح في غضب) لقد سرقتني وأخذت مجوهراتها أيضًا!»

وركض على الفور لإبلاغ والديها بالمحنة. لكن عندما اقترب من المنزل عقدت الدهشة لسانه حين رأى في الشرفة جميع الأخوات الثلاث، زوجاته اللائي ينظرن إليه بضحكات ساخرة.

رؤية ثلاث زوجات معا أرعبت الشيطان لدرجة أنه لاذ بالفرار بأسرع ما يمكن.

ومنذ ذلك اليوم فقد الشيطان كل رغبة في الزواج!

(عن الانكليزية)

المصادر

أولا: باللغة العربية

1. عبد التواب يوسف، الطفل والموروث الشعبي، بغداد، دار ثقافة الأطفال، 1989
2. عبد التواب يوسف، ألف ليلة وليلة وحكايات الطفولة، بغداد، دار ثقافة الأطفال،1986
3. صفاء خلوصي، الأدب المقارن في ضوء ألف ليلة وليلة، بغداد، دار الشؤون الثقافية، 1986
4. د. محسن الموسوي : ألف ليلة وليلة في الغرب ، بغداد ، 1981
5. لطفي الخوري، مدخل إلى البحث الميداني في الفلكلور، بغداد، دار الشؤون الثقافية، 1986.
6. ناثانيال هوثورن، كتاب العجائب، ترجمة سهير القلماوي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1964.
7. منير البعلبكي، قاموس المورد، بيروت، دار العلم للملايين، 1998
8. نبيلة إبراهيم، الأسطورة، بغداد، وزارة الثقافة، 1979
9. عبد الفتاح أبو معال، أدب الأطفال- دراسة وتطبيق، عمان، دار الشروق، 1984
10. كاظم سعد الدين، تحديد أجناس الأدب الشعبي في الخليج والجزيرة العربية، بغداد، كتاب التراث الشعبي، 1986.
11. عز الدين مصطفى رسول، ممي آلان، ملحمة فلكلورية كردية، بغداد، وزارة الثقافة، 1984
12. فاروق خورشيد، أضواء على السير الشعبية، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 1964.
13. مجموعة مؤلفين، أبحاث في التراث الشعبي، الكتاب الثاني من سلسلة كتاب التراث الشعبي، بغداد، دار الشؤون الثقافية، 1986.

ثانيا: باللغة الانكليزية

1. Stith Thompson, Motif-Index Of Folk-Literature, A Classification Of Narrative Elements In Folktales, Ballads, Myths, Fables, Mediaeval Romances, Exempla, Fabliaux, Jest-Books, And Local Legends (Bloomingtoni, NDIANA UNIVERSITY PRESS
2. BLOOMINGTON And INDIANAPOLIS, 1955-1958).

3. GRACE JAMES, Green Willow And Other Japanese Fairy Tales, London : Macmillan And Co, 1910

4. John T. Naaké, Slavonic Fairy Tales, Collected And Translated From The Russian, Polish, Serbian, And Bohemian, London, Henry S. King & Co, 1874.

5. Matilda Chaplin Ayrton, Child–Life In Japan And Japanese Child Stories, London, Clay, Sons And Tylor Printers, 1879.

6. William Elliot Griffis, Dutch Fairy Tales For Young Folks, New York, Thomas Y. Crowell Co, C1918.

7. William Elliot Griffis, Japanese Fairy World, Stories From The Wonder–Lore Of Japan, N.Y, SCHENECTADY, 1880.

8. William Elliot Griffis, China's Story In Myth, Legend, Art And Annals, BOSTON AND NEW YORK, HOUGHTON MIFFLIN COMPANY, 1911.

9. William Elliot Griffis, Korean Fairy Tales, New York, Thomas Y. Crowell Company, 1922.

10. Cornelius Mathews, The Indian Fairy Book .From The Original Legends, New–York, Allen Brothers, 1869

11. Mabel Cook Cole, Philippine Folk Tales, A.C. Mcclurg & Co1916

12. CHARLES SELLERS, Tales From The Lands Of Nuts And Grapes, (SPANISH AND PORTUGUESE FOLKLORE), Chicago, Field & Tuer, LONDON, The Leadenhall Press, E.C, 1888.

13. Alexander Chodsko, Fairy Tales Of The Slav Peasants And Herdsmen, London, George Allen, 156 Charing Cross Road, 1896.

14. Flora Annie Steel, Tales Of The Punjab Told By The People, London, Macmillan And Co. And New York 1894

15. Mrs. Howard Kingscote And Paṇḍit Naṭêsá Sástrî,. Tales Of The Sun Or Folklore Of Southern India,. London, W. H. Allen & Co. 13 Waterloo Place, And At Calcutta. 1890.

16. Thomas Frederick Crane, Italian Popular Tales, Boston And New York, Houghton, Mifflin And Company, Cambridge, 1885.

17. Zitkala-Sa (Gertrude Bonnin), American Indian Stories, Washington, Hayworth Publishing House 1921.

18. Hartwell James, The Cat And The Mouse A Book Of Persian Fairy Tales, Philadelphia, Henry Altemus Company, 1906.

19. Mohammed Hamasalih Tofiq, Kurdish Folktales-2nd Edition, Suleimani - Iraqi Kurdistan, Ministry Of Culture-Translation House, , 2005.

ثالثا: باللغة الكُردية

1. عبد العزيز خياط، ده رافه ك ز ده ريا فولكلورى (خليج في بحر الفولكلور) دهوك، 2005

2. عبد الرحمن بامرني، ز بَربَرين كَفن سَرهاتين كوردي (أوراق قديمة من الحكايات الكردية)، دهوك، معهد التراث الكُردي ، 2007.

3. الكسندر زابا، جيروكين كورماجي (حكايات كرمانجية) ، دهوك، دار سبيريز للطباعة والنشر، 2008.

رقم الإيداع القانوني في دار الكتب والوثائق ببغداد
(3178) لسنة 2022

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

أُسطورة الخَلْق

قصص وأساطير عالمية

الأسطورة، بوصفها أحد الأجناس الرئيسة للأدب القصصي الشعبي تمثل أقدم محاولة بشرية لفهم العالم وإضفاء قدر من المعقولية عليه. لقد مثلت النماذج الأولى (التي سبقت الدين والفلسفة والعلم) للإجابة عن التساؤلات الكبرى التي لم تزل أصداؤها تتردد في أذهاننا: من نحن؟ كيف جئنا؟ ما الوجود؟ كيف خلق هذا الكون؟ ما العناصر الخارقة التي تتحكم فيه؟ وغيرها الكثير. بسبب الطبيعة الخالدة الكبرى لهذه الأسئلة يندر أن نجد شعبًا أو أمة، غابرة أو معاصرة، إلا وقد خلقت لنفسها منظومة من الأساطير التي تطمح للإجابة عنها، منظومة تتأثر بالظروف البيئية والمناخية والجغرافية والسايكولوجية الجمعية لتلك الأمم. ومن هنا نجد أن أساطير الخلق لدى بعض الأمم عنيفة دموية عاصفة مثل صيحات حروب وغزوات وعويل كوارث بيئية هوجاء بينما نجدها، عند أمم أخرى، مسالمة هادئة مثل جداول من ماء رقراق ينساب وسط الخضرة. في هذا الكتاب تقدّم دار المأمون لقرّائها باقة منتقاة من الأساطير والحكايات الشعبية التي تجمع بين المتعة والتأمل.



(10000) دينار



